الأديب صبحى الجيار
والمحنة المضيئة

إعـــداد

مصطفى عبد الوهاب

تقديم

يوســـف الشارونى

إعـــــداد : مصطفى عبد الوهاب
الكتـــــاب : الأديب صبحـــى الجيار
النـاشـــر : نادى القـــصـــة
الطبعـة الأولى : ٢٠٠٢ م
رقـم الإيـــداع : ٢٠٠٢/٤٦١١

نـــادى القصـــة
٦٨ شارع قصر العينى القاهرة ت : ٧٩٤١٩٢٩



هيئة المكتب

فهرس

• نعمات المرأة الذهبية

• صبحى الجيار ونهاية المطاف

• حوارات فى زوايا المرايا

• صبحى الجيار فى كتب أدبية

تقديم :

صبحى الجيار

الأديب الذى صبّ نفسه فى التمثال الذى سيكونه

بقلم : يوسف الشارونى

ولد صبحى الجيار فى حى مصر القديمة بالقاهرة فى السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٢٧، ولم يستطع أن يتم تعليمه حيث داهمه مرض حرمه من الصحة والتعليم قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره،، كما حرمه من العمل فيما بعد وبالتالى من كسب عيشه رغم احتياجه المضاعف للمال لتغطية نفقات علاجه ومن يقوم على خدمته، كما حرمه حقه فى تبادل العواطف رغم مشاعره المرهفة الجياشة، ومن الجنس برغم صراخه فى أعماقه وبالتالى من الزوجة والأبناء حتى وجد نفسه حبيساً فى قوقعة، غير أنه استطاع - بما جبل عليه من إرادة وطموح - أن يطل منها على العالم الخارجى بما وهب من روح الفن والأدب.

لهذا فإن صبحى الجيار رغم ظروفه المرضية القاسية الشاذة التى أمسكت بخناقه منذ سنى مراهقته، استطاع أن يلفت الأنظار

إليـه – لا بمرضـه – بل بقـدراته كرسـام وصـحـفى وأديب يجـمع بين كتابة القصة والترجمة والتمثيلية الإذاعية والتمثيلية التليفزيونية. فمن مجموعاته القصصية التى نشرها يستر عرضك عام ١٩٦٠، وسوق العبيد التى صدرت عام ١٩٦٣،، والعيون الزرق التى صدرت عام ١٩٦٦، أما درة مؤلفاته فهى بلا شك سيرته الذاتية «ربع قرن فى القيود» التى نشرها على ثلاثة أجزاء وصدرت ما بين عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩. الجزء الأول بعنوان المأساة، والثانى بعنوان الكفاح أما الثالث فكان بعنوان الحصاد. وقد نال عن هذا الكتاب جائزة الدولة التشجيعية فى السير الذاتية.

ويذكر صبحى الجيار فى مقدمة سيرته الذاتية الضخمة – التى يبلغ عدد صفحاتها أكثر من ألف ومائة صفحة – أن تجربة حياته الفريدة هى التى دفعته إلى تسجيل هذه السيرة ، فقد أمضى معظم سنى حياته على الفراش مقيد الحركة لا يشغل من هذا العالم العريض سوى جزء لا يتعدى مساحة ظله أو – على حد تعبيره الساخر المرير – نفس القدر الذى يحتله ميت فى قبره. عشرات السنوات أمضاها فى وضع أفقى وقد التصق ظهره بالسرير وتطلع بصره إلى السقف لا تنبسط له ساق، ولا تنثنى فقرات ولا يلمس جنبه الفراش، ولا يفرق بين ليله ونهاره إلا حركة الجفون.

وتعد «ربع قرن فى القيود» من أجرأ السير الذاتية التى ظهرت فى أدبنا العربى المعاصر، رغم إدراك كاتبها مزالق كتابة سيرته فى

مجتمع محافظ مثل مجتمعنا يضع كثيراً من القيود على أدب الاعتراف. فهو يعترف أن الصراحة المطلقة غير مستحبة لاعتبارات كثيرة كأن يمس أطرافاً أخرى مشتركة معه فى أحداث معينة، لهذا فهو يعلن أنه مضطر أحياناً إلى التلميح دون التصريح، بل إلى حذف بعض الحقائق، ورغم هذه التحفظات فقد جاءت سيرته الذاتية أجرأ نسبياً من كثير من السير الذاتية المعاصرة.

وقد اهتم صبحى الجيار - قبل أن يقدم على كتابة سيرته الذاتية - بقراءة السير الذاتية لكبار الأدباء والفنانين تعرفا على أساليبهم وبحثا عن أسلوب لنفسه، فيقف بوجه خاص أمام كتاب الأيام لطه حسين لأنه بهره بوصفه لأحاسيس الطفل الضرير فى عالمه المظلم البائس، وما كان يصادفه من مشاكل خاصة لا يدركها ولا يتصورها إلا مَنْ يعانيها، ولأنه يشاركه كفاحه فى عالم الاصحاء بل محاولة التفوق عليهم رغم انتمائهما إلى عالم المعوقين، وحين يقرأ اعترافات جان جاك روسو يعترف بأنه لا يصل فى كتابه إلى مستوى شجاعة روسو، لكنه سيحاول أن يكون حريصاً بقدر ما تسمح به تقاليد مجتمعنا الشرقى، من ذلك - على سبيل المثال - محاولة التحرر من مجاملة نفسه وأقرب الناس إليه بحكم الوراثة أو الصلات الروحية والإنسانية والعاطفية أو من تربطهم به صلات العمل المادية أو التلمذة أو الزمالة الأدبية.

ويتوقف صبحى الجيار طويلا عند مرضه الذى أقعده عن الحركة،

فيذكر أنه بعد محاولات علاجية مختلفة منها ما هو طبى ومنها ما هو روحى ومنها ما هو على مستوى عالمى، التقى أخيرا بالطبيب الذى صارحه بأن مرضه ليس له علاج، قد يتركه فى أى وقت وقد يستمر فيتلف مفاصله وييبسها، ويجب افتراض الأسوأ حتى لا يندم بعد فوات الأوان . ونصحه الطبيب قائلاً : يجب أن تفترض أن جسمك قد يصبح يوماً بدون مفاصل، كالتمثال المتحجر. لذا عليك أن تختار الوضع النهائى الذى تصب فيه هذا التمثال، ويوفر لك الوضع المريح دون اهتمام بالناحية الجمالية. وهكذا تمت هذه التجربة الفريدة فى تاريخ البشرية: إنسان يصب نفسه بنفسه فى التمثال الذى سيكونه.

ويستطرد صبحى الجيار قائلاً : وراح الطبيب يشرح بخبرته الوضع المريح، فرفع رأسى على وسادة مرتفعة حتى أرى أمامى وأقرأ بسهولة وابتلع طعامى فى شىء من الراحة، ثم ثنى ساقى قليلا بحيث يسمح للتمثال - الذى هو صبحى الجيار - بالارتكاز ولا أقول الجلوس على كرسى، ولو أنها جلسة غير مريحة لأن زاوية انثناء فخذى ليست قائمة، ونصحنى بأن اسمح لذراعى وساقى بالانفراج قليلاً لأن تلامسهما يولد الحرارة فالعرق، فالالتهاب أما الوضع المنفرج - وإن كان منظره سخيفاً - إلا أنه يضمن التهوية للإبطين والفخدين.

ويلخص لنا صبحى الجيار حياته التى تتوزع ما بين طموح وقلق على مستقبله قائلاً : لعلنى اكتسبت بعض القلق بمعاشرتى الطويلة

للوالد، لكن الأرجح أن القسط الأكبر منه أكسبتنى إياه ظروفى الخاصة فإن أسلحتى فى الحياة محدودة... لا شهادة جامعية تكفل لى وظيفة ثابتة، ولا معاش يؤمن شيخوختى، ولا نقابة ترعانى إذا أعاقتنى القيود عن ممارسة عمل، ولا أبناء يتكفلون بى عندما احتاج إلى سند فى الحياة، هذا إلى جانب قيودى التى تعوقنى عن شغل وظيفة ثابتة لعدم قدرتى على الذهاب إلى مقر عملى - ولم أجد مؤسسة تقبل استخدامى بصفة ثابتة لسبب بسيط هو أنى لا أستطيع أن أوقع فى دفتر الموظفين.

ثم يحصر صبحى الجيار فى سيرته الذاتية ربع قرن فى القيود أعباءه، فهو محتاج للآخرين فى عمله وفى حياته الخاصة حتى يعوض ما كان يجب أن يقوم به بنفسه وهذه الخدمات لها ثمن إلى جانب ذلك استنفاد جزء كبير من دخله فى الأدوية الدائمة التى يحاول بها السيطرة على قائمة الأمراض المزمنة التى ابتلى بها، ثم يستطرد قائلاً : فإذا أضفت إلى هذه المبررات أنى لا أتصور ولا احتمل أن اقترض قرشاً أو أكون عالة على غيرى مهما كان، فإن هذا وحده قد يفسر سبب قلقى وحرصى على تأمين مستقبلى.

لكن صبحى الجيار لا يستسلم كما استسلم كثيرون غيره ممن تعرف بهم خلال اتصالاته بهم محاولا تكوين جماعة تتبادل المشورة فى طرق العلاج ووسائل مواجهة الحياة، وهكذا ابتدأ صبحى الجيار - وعلى حد تعبيره - من الصفر فتناسى قيوده وخاض صراعاً

مريراً استفاد فيه من مواهبه فنماها بالدراسة والمثابرة والكفاح المتفائل العنيد حتى أنه اخترع لنفسه أدوات تعينه على حركته المحدودة كتلك الآلة التى صممها بنفسه لتنقله إلى ومن دورة المياه، وبسن قلمه استطاع أن ينقب جدران سجنه ويخرج منه إلى عالم الأصحاء.

ونجح صبحى الجيار أن يلفت إليه أنظار المسئولين، فأوفدته الدولة فى رحلة علاج على نفقتها إلى لندن، كما وافقت وزارة الثقافة على تفرغه عامين ليكتب فيهما قصة حياته التى نال عنها جائزة الدولة التشجيعية كما ذكرنا.

وهكذا فإن حياة صبحى الجيار ليست تجربة فريدة بمذاقها بالنسبة اليه فحسب بل وبحلاوة نضالها أيضا، وهو يقدم لنا عن طريق سيرته بأجزائها الثلاثة الدليل العملى على انتصاره المتواصل على قيوده وعلى مدى ما تستطيع الإرادة الإنسانية أن تحققه. وهو درس عملى - كما كان من قبله طه حسين الذى قدم لنا تجربة حياته فى كتابه الأيام - لهؤلاء الذين يبالغون فى القليل الذى حرموا منه وينكرون الكثير الذى يتمتعون به، ولهذا فإن صبحى الجيار كان يرفع جفنيه - فهو لا يستطيع أن يرفع عينيه - إلى السماء ممتنا شاكراً على ما وهبته من سعادة لا يتمتع بها كثيرون من ذوى الأجسام الفتية.

لقد كان الأديب صبحى الجيار مثلاً من أمثلة الكفاح الإنسانى

الذى لا يعرف اليأس، وإذا كان الأمريكيون يفخرون بالصماء العمياء البكماء هيلين كيلر فإننا نفخر بصبحى الجيار لأنه رغم مرضه المزمن الذى أقعده عن الحركة استطاع أن يقوم بدور إيجابى ويشارك فى الحركة الأدبية فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين تأليفا وترجمة. ولا شك أن حياته وكفاحه مع المرض أعظم قصة وأفضل مثل قدمه لجيله ويقدمه للأجيال التالية.

وتحقيقاً لطموح نادى القصة فى إنعاش ذاكرة الحياة الأدبية، فإن مبدعى القصة - سواء ممن رحلوا عنا أو ممن أمد الله فى أعمارهم لكن ظروفهم الصحية أجبرتهم على الانزواء عن الأضواء - يحرص النادى على أن يقيم ندوات لمناقشة إبداعهم من جانب، أو نشر بعض ما حالت ظروفهم عن تحقيق تطلعهم إلى نشره من جانب آخر.

والكتاب الذى بين أيدينا «صبحى الجيار والمحنة المضيئة» أسلوب ثالث لتكريم هؤلاء الأدباء ونفض الغبار عن مسيرتهم. فقد تحمس زميلنا بمجلس إدارة النادى الأديب «مصطفى عبد الوهاب» لإعداد هذا الكتاب عن صبحى الجيار، فقدم نموذجا من إبداعه القصصى وآخر من ترجماته وثالثا لما أطلق عليه «رسائله الصحفية». ثم استدعى من بطون الصحف والمجلات الأدبية كتابات لأصدقاء ارتبطوا مع صبحى الجيار بعلاقات حميمة فاستوحوا من حياته حينا قصصا (كما فعل مصطفى عبد الوهاب نفسه)، وكتبوا عنه

الدراسات النقدية حينا، وأجروا معه حوارات حينا ثالثة، فمقتطفات نقدية عن كتاباته، فضلا عن بورتريه لصبحى الجيار بقلم أديبنا الصديق خيرى شلبى.

وأخيراً نماذج من لوحاته التشكيلية فصبحى الجيار من المبدعين الذين لا يستوعبهم قالب فنى واحد، فكان ممن يجمعون بين الريشة والقلم.

ونحن إذ نحيِّى الأديب مصطفى عبد الوهاب على هذا الجهد المخلص،، وعلى أنه لم يبخل علينا بما يختزنه فى أرشيفه من كنوز يحرص على أن يمتعنا بها كما استمتع هو بها من قبل، نرجو أن يكون النادى قد حقق بهذا الكتاب - وباشقائه المماثلين - ما يطمح إليه من تواصل الأجيال فى حياتنا الأدبية. فسلسلة «الكتاب الفضى» إذ تنشر لجيل الأبناء نحرص على أن تذكرهم بجيل الآباء.

يوسف الشارونى

رئيس نادى القصة

شهادة :

صبحى الجيار .. الأديب الإنسان

بقلم : عبد العال الحمامصى

لم يكن صبحى الجيار مجرد نموذج انسانى فريد أو صديق حميم جمع بيننا حب الأدب والمشاركة الفعالة فى حياتنا الثقافية.. بل كان أديبا مثابرا أتاح لجيل كامل كنت واحدا منهم فرصة النشر بمجلة قصتى التى كان يديرها من على فراشه.

فقد كنت قبل الالتقاء به أكتب فى مجلة «الصباح» ومسئولا عن تحرير بابها الأدبى الاسبوعى بالتبادل مع صديقى الأديب الراحل محمد الخضرى عبد الحميد .

ومن هنا راسلنى الخضرى على أخميم مقر اقامتى بينما كان هو مقيما فى ملوى ونرتبط معا بعلاقة وثيقة جعلتنا نبادر إلى دعوة اقامة مؤتمر لأدباء الأقاليم فى اوائل الخمسينيات قبل انشاء الثقافة الجماهيرية ذاتها والاشراف على اعداده وتنظيمه.

ومن خلال مراسلاتى مع الخضرى عرف أننى أكتب قصصا لا أعرف كيف أنشرها.. فأشار علىَّ بأن هناك مجلة سوف يصدرها الأديب صبحى الجيار الذى كان يكتب وقتها فى مجلة «روايات الاسبوع».. ثم أعطانى عنوان المجلة ١١ شارع فم الخليج بمصر القديمة.. فقمت بارسال قصة لى بعنوان «بلا خطيئة».. وعندما اشتريت العدد الأول من مجلة قصتى فور صدورها فوجئت باسمى منشوراً فى باب بريد المفتى وبرسالة موجهة لى من المحرر الذى عرفت فيما بعد أنه صبحى الجيار نفسه يقول فيها :

«الزميل عبد العال الحمامصى.. أسلوبك جيد ومتمكن وقصتك ممتازة وسنقوم بنشرها العدد القادم».

وبالفعل كانت هذه القصة هى أول قصة تنشر لى فى بداية حياتى الأدبية.

ولم يكتف صبحى الجيار بذلك بل قام بارسال خطاب شخصى إلىّ بهذا المعنى وأبدى استعداده للتعاون المستمر بيننا فى مجال الكتابة القصصية للمجلة.. وقد كان.

وفى الحقيقة استمرت بيننا المراسلات ووجدت من خلال خطاباته أننى اتعامل مع انسان نبيل وعظيم وهذا ما دعانى إلى أن أفضى إليه بهمومى الشخصية أيضا وما كان أكثرها فى هذه الفترة وخاصة فى أوائل الخمسينيات.. فقد تعرضت لمحن عديدة بسبب

آرائى الثقافية والسياسية الصريحة التى لم تكن تتفق مع وجهة نظر جماعات معينة من أصحاب النفوذ فلاحقتنى أفانين الاضطهاد.. بالاضافة إلى محنة ذاتية كان لها الأثر العميق فى أحزانى عندما فقدت الانسانة التى أحبها بالموت.. وسيطر على اليأس والشعور الشديد بالتشاؤم الذى كاد يدفعنى بالفعل الى التفكير فى الانتحار. وكتبت إلى صبحى الجيار وشرحت له ظروفى كنوع من الفضفضة فهون علىَّ أحزانى ودعانى الى الحضور اليه بالقاهرة على الفور وقال لى أنه سيرينى شيئا ربما يبدد ما أعانيه من أحزان وهموم ويهدأ من معاناتى النفسية.

وذهبت إليه بالفعل وكان أول مكان اذهب اليه هو ١١ شارع فم الخليج بمصر القديمة.. وعندما ادخلتنى عليه السيدة نعمات سكرتيرته التى مازالت على وفائها له حتى هذه اللحظة فهمت ما كان يعنيه صبحى الجيار.. فعانقته واختلطت دموعنا معا.. وتملكنى التأثر الذى هز كيانى فلم استطع حقيقة أن اعبر عن مشاعرى فى هذه اللحظة.

وكنت اتساءل بينى وبين نفسى كيف لهذا الرجل فى هذه الظروف بالغة الصعوبة أن يصدر مجلة من فوق فراشه يرسمها ويحررها ويترجم موضوعاتها وهو بهذه الحالة التى رأيته عليها.. ومن وقتها امتدت بنا الصداقة وكنت حريصا أن أحضر مرتين

شهريا الى ندوته الأدبية الاسبوعية ومن خلالها تعرفت على كثير من الكتاب رفقاء الرحلة منهم غالى شكرى وأحمد بهجت وصبرى موسى وكمال مرسى وغيرهم ممن كانوا يكتبون فى المجلة.

وتعددت لقاءاتنا ككتاب وأدباء داخل الندوة الاسبوعية وخارجها تجمعنا طموحات الابداع ومناقشة العديد من القضايا الأدبية والمذاهب الفنية فنتحدث عن الواقعية والماركسية والوجودية والسيريالية والواقعية الاشتراكية وغيرها.

ومن خلال هذه التجمعات انخرطنا جميعا فى الحياة الأدبية.. واستمرت المسيرة.

رحمه الله فقد كان صديقا وأخا وانسانا وبئرا للأسرار التى كان يضعها كل منا أمانة بين يديه.

عبد العال الحمامصى

سكرتير عام نادى القصة

شهادة للتاريخ :

قصتى مع صبحى الجيار.. ومجلة الهواء

بقلم : صفوت عبد المجيد

فى أواخر عام ١٩٥٤.. وأنا فى ختام المرحلة الثانوية بمدرسة الواسطى الاعدادية الثانوية.. وفى شغفى بالأدب والصحافة الأدبية.. وناظر المدرسة يعاقبنى بالحرمان من طرد كتب حمله الى البريد وعلى غلاف أحد الكتب صورة بصدر نصف عار.. وأقسمت للناظر عبد المنعم النجمى أن طرد الكتب جائزة من مجلة الصباح لفوزى فى مسابقة المجلة .. فيصر على حرمانى من مجموعة الكتب كلها..

وأعود إلى بائع الصحف أبحث عن مجلة أدبية محترمة لا يعاقبنى الناظر على قراءتها فيهدينى أول نسخة من مجلة قصتى لصاحبها ورئيس تحريرها صبحى الجيار..

وأقع فى غرام المجلة وصاحبها من العدد الأول وأرسل خطابا الى صبحى الجيار.. أتمنى فيه أن يجعلنى مراسلا أو صديقا لمجلة «قصتى» عن مدرسة الواسطى محافظة بنى سويف..

ويحمل الى البريد رسالة مشحونة بالمشاعر ويرحب بى مراسلا

وصديقا للمجلة.. ويرحب بنشر محاولتى القصصية الأولى وأنا فى السادسة عشر من عمرى..

وفى العام التالى اضطر الى قطع دراستى الثانوية دون أن أتمها.. وأشد الرحال الى القاهرة لأعمل كاتبا صغيرا فى أحد مصانع النسيج بالزيتون..

وفى السنوات الأولى لى بالقاهرة ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨، ١٩٥٩.. بهرتنى الحياة الأدبية فى العاصمة.. فى نادى القصة وجمعية الأدباء ورابطة الأدب الحديث.. وحضرت المؤتمر الأول للأدباء العرب عام ١٩٥٧.. وشاهدت بأم عينى عماليق الأدب العربى فى قاعة المتحف الزراعى بالدقى وفى القاعة الذهبية بقصر محمد على بالمنيل.. رأيت العقاد وطه حسين ويوسف السباعى ومحمود تيمور ومحمود البدوى ونجيب محفوظ وعبد اللطيف السحرتى ود. محمد مندور والشاعر ابراهيم العريض..

وأفقت فى عام ١٩٥٩ على حصولى على الجائزة الثانية من نادى القصة .. واتصلت بالأديب الكبير صبحى الجيار الذى أشار الى أننى موهبة قصصية واعدة.. فشكرته على دعمه المعنوى لى.. فدعانى الى زيارته..

وفى شارع الفرنساوى.. التقيت أول مرة بالمعجزة الانسانية الأديب القاص صبحى الجيار.. يكتب ويقرأ ويراسل الصحف ويحصل على الجوائز ويصدر الكتب ويترجم الروايات وهو طريح

الفراش.. ومعاونته السيدة نعمات تقوم بأكثر من دور.

وفى صالونه الاسبوعى من مساء كل جمعة تعرفت على جمال الغيطانى وحسن محسب وأحمد الخميسى وسمعان اسكندر وسوريال عبد الملك والداخلى طه.

ولأول مرة يأخذ منى صبحى الجيار قصة من قصصى القصيرة ليذيعها فى مجلة الهواء التى كان يشرف عليها فهمى عمر واستمع اليها بصوت الفنان حسن يوسف وأحصل على خمسة جنيهات مكافأة هى ثمن أول قصة لى.

وتأخذنى الحياة لالتحق بالجيش لتأدية الخدمة العسكرية واحصل على الثانوية والتحق بالجامعة واتصل بين الحين والحين بالأديب الأستاذ صبحى الجيار.. وأبلغه ما طرأ على حياتى من تطورات فيحفزنى على تكملة مشوارى الجامعى.. وألا أنسى موهبتى القصصية..

ويفجعنى القدر برحيل صبحى الجيار فى ٢٥ فبراير وأغلق حجرتى على نفسى أبكى الرائد الذى أخذ بيدى.. فى ظلام الحياة الأدبية..

وعندما تتاح الفرصة لأكتب هذه الشهادة أجد دمعة اعتراف بالفضل أذرفها على الورق.

صفوت عبد المجيد

عضو مجلس إدارة نادى القصة

مقدمة :

حول تكريم نادى القصة لابنها البار صبحى الجيار

بقلم : مصطفى عبد الوهاب

بدأت علاقتى بالأديب صبحى الجيار منذ اللحظة التى أعجب فيها بقصتى القصيرة «الرجل والثلاجة» باعتباره أحد المحكمين فى مسابقة نادى القصة التى تقدمت إليها لأول مرة عام ١٩٦٦ وفزت بجائزتها الخامسة التى تسلمتها فى حفل النادى السنوى من الأديب الكبير يوسف السباعى عام ١٩٦٧، وقد نشرت بمجلد النادى للقصص الفائزة ثم أعدت نشرها بأول مجموعة قصصية أصدرتها على نفقتى الخاصة «أحزان عبد الجليل أفندى عام ١٩٧٩» باسم «عم جابر» فوضعنى النادى على بداية الطريق.

وقد طلب الأستاذ الجيار من الصديق الأستاذ محمد صبرى السيد سكرتير النادى ابلاغى برغبته فى التعرف علىّ.. وبعد أول مكالمة تليفونية معه شرفنى بدعوته لحضور ندوته الأدبية الاسبوعية

فى منزله بمصر القديمة ظهر كل جمعة.. ومنذ تلك اللحظة لم تنقطع صلتى به طوال عشرين عاما على المستوى الأدبى والإنسانى حتى قبل أيام قليلة من وفاته فى ٢٥ فبراير ١٩٨٧ وقبل عيد ميلاده الستين بيومين فقط !

وإذا كان الأستاذ الجيار قد تحدث عن الجيل الأول من أصدقائه الأدباء الكبار الذين نعرفهم اليوم وقدمهم من خلال مجلتى قصتى وشاركوه فى تحريرها ولعل أبرزهم الأساتذة :

عبد العال الحمامصى - أحمد بهجت - محمد الخضرى عبد الحميد - غالى شكرى - صبرى موسى - كمال مرسى - حسين البلتاجى - مصطفى كامل فليفل - خيرى شلبى - محمد عبد الحميد وأحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب الحالى.. وغيرهم.

فقد سبقنا بحضور ندوته الاسبوعية الأساتذة الأدباء :

يوسف الشارونى - فتحى سلامة - يعقوب الشارونى - رستم كيلانى - هدى جاد - احسان كمال - كوثر عبد الدايم - نجيبة وفتحية العسال.

أما أنا وأبناء جيلى فقد بدأ حضورنا المنتظم فى الندوة مع الأدباء :

محمود عبد الوهاب - رمسيس لبيب - محمد إبراهيم مبروك - يسرى العزب - رجائى فايد - محمد جابر غريب - محمد هويدى -

حنيفة محمد - مرعى مدكور - سلوى مرسى - مديحة أبو زيد - اخلاص فخرى - بهاء السيد - أحمد الشيخ - محمد أبو دومة - حسنى أمين - أحمد عمر شاهين - الداخلى طه - على عيد - حسن نور - شوقى فرج - محمد بكرى - رجب حسن - ممتاز عسكر- سمير عبد الفتاح .. وغيرهم.

ولقد كان أشد ما يحزننى أنه على الرغم من العضوية التى كان يتمتع بها الأديب الراحل صبحى الجيار بنقابات مهنية شهيرة مثل اتحاد الكتاب ونقابة الصحفيين أو بجمعيات ثقافية عريقة ومرموقة مثل نادى القصة ودار الأدباء. فان ذكراه السنوية فى الخامس والعشرين من فبراير كل عام تمر مرور الكرام دون أن ينتبه إليها أحد.

بل أن كثيرا من الكتاب والأدباء أنفسهم مازالوا يخلطون حتى الآن بينه وبين الشاعر الراحل محمد الجيار !

أو يلتبس عليهم الأمر بينه وبين الأديب المرحوم حسين القبانى لمجرد انهما كانا معوقين بنسب مختلفة، وانهما سافرا معا الى العلاج إلى لندن بقرار من الرئيس جمال عبد الناصر فى نهاية الخمسينيات، وانهما أبناء منطقة سكنية واحدة بمصر القديمة ويعقد كل منهما ندوة أدبية اسبوعية كل جمعة.

ونفس هذا الجهل أو التجاهل أو السهو أو عدم الاهتمام أو فقدان

الذاكرة أو انعدام الوفاء.. تتصف به مجموعة أخرى من زملائه بالصحف والمجلات التى كان يكتب فيها قصصه ومقالاته النقدية وأبوابه الثابتة مثل آخر ساعة ووطنى والاذاعة والتليفزيون وغيرها.

ولكن مع الدورة الجديدة لنشاط نادى القصة سعدت كثيرا بعقد ندوة لتكريمه فى ذكراه خلال شهر فبراير ٢٠٠١ بحضور السيدة الفاضلة نعمات حامد عيسى رفيقة حياته وقمت بادارتها.

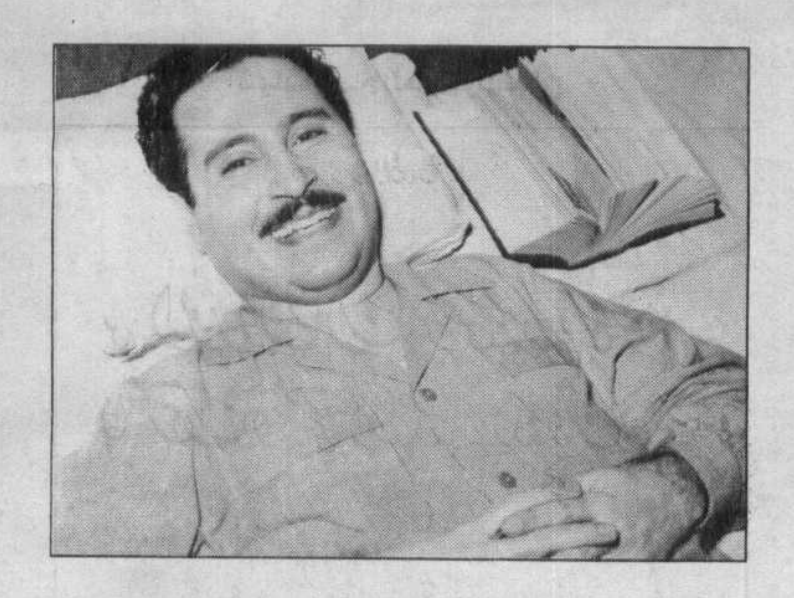
كما كانت فرحتى غامرة عندما اتخذ مجلس إدارة النادى قراراً فى اجتماع شهر يونيو ٢٠٠١ بالموافقة على إصدار كتاب تذكارى تكريما له شرفنى المجلس بإعداده وبتقديم من الأستاذ يوسف الشارونى رئيس مجلس الإدارة.

وأرجو الله أن أكون جديرا بهذه الثقة لانجاز هذه المهمة التى كلفت بها.

فلنادى القصة خالص شكرى وتقديرى.

مصطفى عبد الوهاب

عضو مجلس إدارة نادى القصة



الاهــــداء

إلـــى روح الأديـب الـفـنـان

صبحـى الجـيـار

« ٢٧ فبراير ١٩٢٧ - ٢٥ فبراير ١٩٨٧ »

شهادة وسام العلوم والفنون

بسم الله الرحمن الرحيم

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية

إلى الأستاذ صبحي الجيار ، الأديب

تقديراً لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم للترجمة ، قد منحناكم

وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ،

وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذاناً بذلك .

تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم الرابع من شهر ذي القعدة

سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وتسعين من هجرة خاتم المرسلين

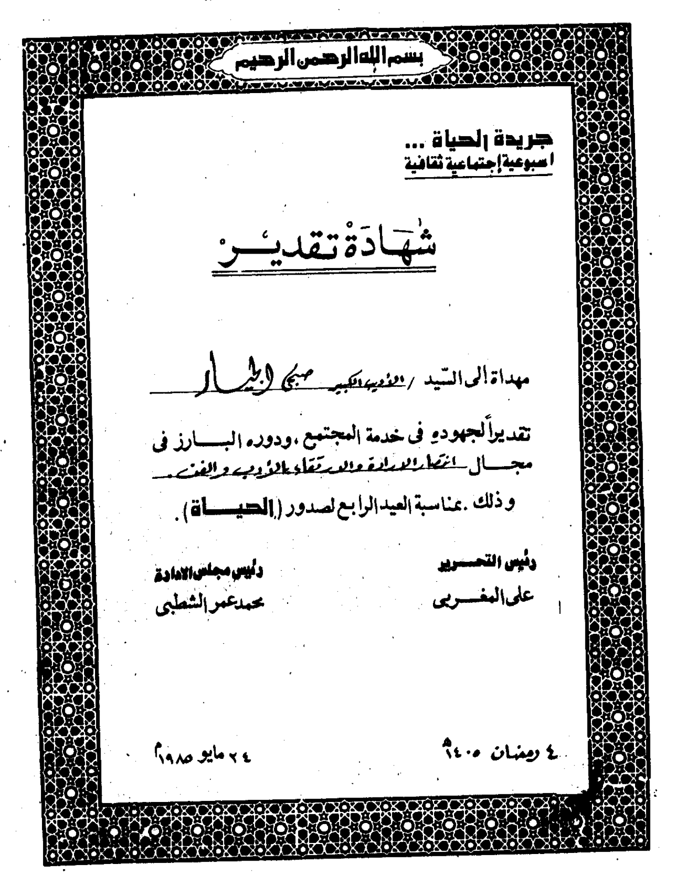
٢١ ديسمبر ١٩٧١

أنور السادات

مستشار رئيس الجمهورية

[توقيع]

شهادة تقدير جريدة الحياة



بسم الله الرحمن الرحيم

جريدة الحياة ...
اسبوعية إجتماعية ثقافية

شهادة تقديــر

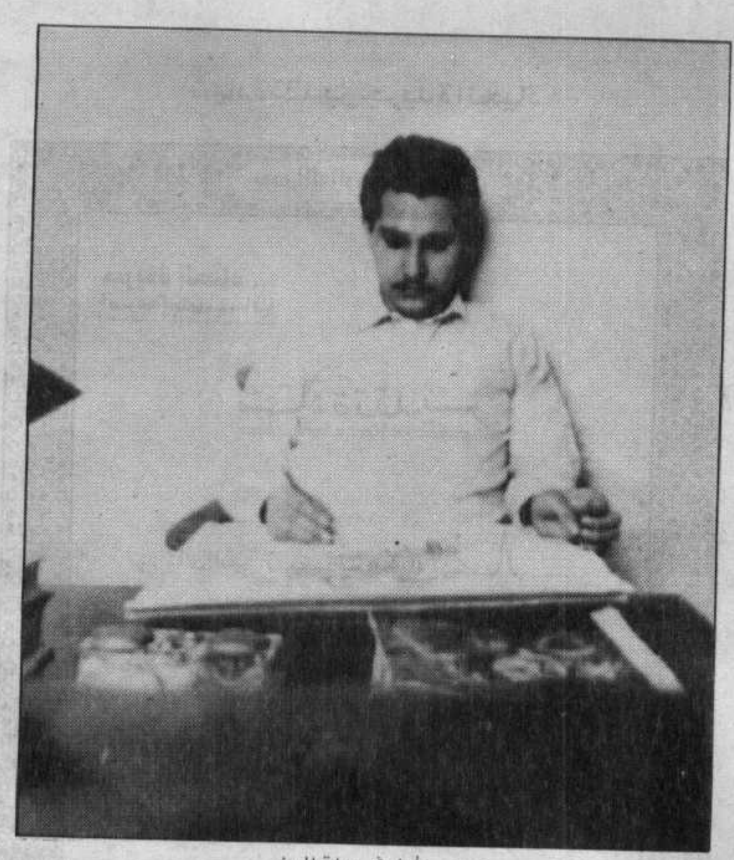
مهداة الى السيد / الأديب الكبير صبحي الجيار

تقديراً لجهوده فى خدمة المجتمع، ودوره البـــارز فى مجـــال انتصار الإرادة والارتقاء بالأدب والفن.

وذلك بمناسبة العيد الرابع لصدور (**الحيـــاة**).

رئيس التحـــرير	رئيس مجلس الادارة
على المغـــربى	محمد عمر الشطبى

٤ رمضان ١٤٠٥هـ — ٢٤ مايو ١٩٨٥م



صبحى الجيار فى بداية المرض

نماذج من قصص صبحى الجيار

- المقطوع .. تأليف
- قطعة من قماش أحمر .. ترجمة

عن أعماله الأدبية المؤلفة

١ - لم قدر عليّ هذا ؟ عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٦٠
«مقدمة اشترك فيها مع الأستاذ حسين القباني» عن قصة حياة الكاتب الأمريكي المعوق ايرل شنك مايرز الذى تصادف أن يكون مولده فى نفس اليوم الذى ولد فيه صبحى الجيار، مع اختلاف السنة»
حيث ولد مايرز فى ٢٧ فبراير ١٩١٠
بينما ولد الجيار فى ٢٧ فبراير ١٩٢٧
والكتاب ترجمة الأستاذة / فاطمة محجوب - أما الناشر فهى مؤسسة الخانجى بالقاهرة.

٢ - يستر عرضك - مجموعة قصصية - دار الناشر العربى - عام ١٩٦١

٣ - سوق العبيد - مجموعة قصصية - روز اليوسف - عام ١٩٦٣

٤ - العيون الزرق - مجموعة قصصية - هيئة التأليف والنشر - عام ١٩٦٥

٥ - على الأرض والسلام - مجموعة قصصية - مؤسسة أخبار اليوم - ١٩٧٢

٦ - نهاية المطاف - مختارات قصصية - مؤسسة أخبار اليوم - عام ١٩٨٩.

(أعد هذه المجموعة مصطفى عبد الوهاب من مجموعاته الأربع السابقة).

• قصة ألفها:

ومن بين أعماله الأدبية المؤلفة نختار قصته القصيرة «المقطوع» التى حاز بها على جائزة نادى القصة الأولى الشرفية عام ١٩٥٨ ونشرها بمجموعته «سوق العبيد».

المقطوع

مددت يدى فشددت الغطاء إلى صدرى، ورحت أرقب زملائى فى ملل.. المكان يوحى بالكآبة، والحياة راكدة.. يحركها من وقت لآخر أنين مكتوم، أو سعال حنجرة ملتهبة... ثم يعود الصمت...

دخلت ممرضة فى خطوات سريعة نشيطة، وهى تدفع أمامها عربة صغيرة عليها زجاجات وعقاقير وآلات للغيار... وفى لحظات وزعت العلاج مع بسماتها الحانية، وانصرفت إلى عنبر آخر.. وأحاول دفع الملل فاسحب طرف الحديث..

- البنت دى شاطرة وعندها ضمير...

- أى والله.. بنت حلال.

قالها سرير سبعة بحماس وتجاوب معنا الشيخ عبد العال، فقال وهو يدعك مكان الإبرة فى ذراعه :

- وايدها خفيفة فى ضرب الحقنة.

بدأت الدعوات تنطلق من الأسرة البيضاء، وتتجمع باقة ممتنة تصعد إلى السماء لتضم الى سجل حسنات المرضة عواطف.

وعاد الصمت من جديد.

كنا فى يوم الزيارة... والكل متلهف مترقب والشيخ عبد العال يسألنى للمرة الرابعة عن الساعة... فرفعت ذراعى المثقلة بالروماتيزم فى اعياء... وقلت بصبر نافد :

– فاضل ساعة وربع يا شيخ عبد العال..

وعاد يثرثر عن ابنه محمد افندى المستخدم فى وزارة الاوقاف وابنته أم الواد زغلول... اللى بسم الله ماشاء الله أخذ الشهادة هذا العام... ودخل المدرسة الثانوية...

الوقت يمر بطيئا متثاقلا، والأجساد الهزيلة تتململ تحت الأغطية الناصعة. ولفتت نظرى حركات «مسعود غير المستقرة» كان يتردد بين سريره ونافذة العنبر المطلة على فناء المستشفى، وقد اتخذت ملامحه البلهاء مظهرا جديدا فيه توجس وقلق.

كان مسعود.. أو سرير أربعة كما تسميه الممرضة... شابا أعجف جلده أصفر، قد تساقط شعره من فرط الهزال حتى بانت مساحات متفرقة فى جلد رأسه... ولم تنفعه عمليات نقل الدم المتكررة، وكأن أوردته متصلة بمواسير المجارى...

عرفت أنه يتيم، ويعمل أجيرا فى مزرعة بالصعيد لقاء قروش ضئيلة لا تعوض ما يستهلكه من خلايا جسده الضامر التى تحترق فى أرض سيده. ولما هده المرض، ولم يعد مجهوده يساوى

الدريهمات التى يقتات بها، تخلص منه صاحب الأرض بأن أرسله إلى القاهرة ليعالج مجانا فى مستشفى قصر العينى.

كان يوم الزيارة بالنسبة لمسعود فوق ما تحمل أعصابه المتهالكة، فكان يجلس فوق سريره فى ذلة واستسلام وقد قرفص ركبتيه حتى تلتصقا بصدره،، وأسند رأسه فوقهما، وتتسكع عيناه الذابلتان بين الزائرين، وما تحمله أيديهم من خيرات لزملائه المرضى. وتغلبه الحسرة فيدفن وجهه بين ذراعيه ويستسلم لمصيره المظلم وحاضره الأسود... وكثيرا ما كانت انفعالاته هذه تهز مشاعرنا وتستدر عطفنا متمثلا فى عنقود عنب أو بضع أصابع من المحشى، أو سردينة مملحة.... أما السجاير فكان رزقه فيها ميسرا اذ أنه لا يتعفف عن أى نوع.. سواء كانت سيجارة كاملة أو مستهلكة..

لكن مسعود اليوم اهتم بيوم الزيارة على غير عادته، ولا يكاد يستقر فى سريره. والسر أعرفه أنا فقط ... فقد حرص على اخفائه عن باقى العنبر...

الفكرة بدأت منذ أيام وكان مسعود يتمسح فى سريرى وهو يرمقنى بفرح وعلى فمه الواسع بسمة مستجدية... حاولت أن أتجاهله حتى لا يعطلنى عن كتابة مذكراتى التى كنت أحرص على تدوينها من وقت لآخر، ولكنه كان قد بيت فى نفسه أمرا فلم يردعه تجاهلى... اقترب منى، وجلس على حافة السرير وهو يهمس فى

بلاهة :

- مش لازمك حاجة

فأجبت فى اهمال:

- لأ متشكر.

وتجاهل اجابتى وعاد يلح:

- يعنى بأقول يمكن تحب أناولك الدوا أو أملالك كباية ميه...

فقلت بصبر نافد :

- يا سيدى كتر خيرك.. سيبنى بس أكمل الكلمتين دول...

وكأنما فتحت له ثغرة فى الحديث فسرعان ما استغلها ببرود :

- أصل أنا عايز منك خدمة يعنى.

وظننت أنه يحوم بأفكاره حول طبق التين الذى نسيته فوق «الكومودينو» منذ قليل، فمددت يدى وأعطيته واحدة... ولكنه حدجنى بنظرة ساخرة... وهو يقول :

- لأ ... دانا مش قصدى على التين.

وقفز قلبى فقد تأكدت انه يعنى (المانجاية) اليتيمة الرابضة فى الدرج، والتى أدخرها لما بعد الغداء...

فصحت بشىء من الغضب،، حتى أحطم الأمل فى نفسه :

- أمال عاوز ايه يا أخى؟.. ماقلتلك مش فاضى...

ولم يشأ أن يتراجع. يبدو أنه كان مصمما على بلوغ هدفه. فمال

نحوى وهمس فى استجداء:

- أصلى بقول يعنى... عايزك تكتب لى جواب للبلد.

- بس كده؟.. بسيطة قوى.

قلتها وأنا أتنفس الصعداء بعد أن اطمأنت معدتى لأن «المانجاية» بخير... وسألته فى دهشة :

- لكن الجواب ده لمين يا مسعود... انت مش بتقول ان مالكش أهل ؟

وتجهم فجأة، وازداد اصفرارا.. فشعرت أنى صفعته بهذه الحقيقة المهينة. فعدت استدرك فى ارتباك:

- قصدى يعنى... فى البلد.

فهز رأسه وتمتم بمرارة :

- لا فى البلد... ولا فى المديرية كلها...

وسألت بلطف :

- أمال الجواب ده لمين ؟... لازم لواحد صاحبك؟

ولحت ومضة مشرقة تعبر وجهه، وقال فى زهو :

- طبعا يا أخى صاحبى... هو انت فاكرنى مقطوع... والا يعنى مقطوع ؟

ده أنا والزهيرى أبو أحمد زى الاخوات... اخوات كده تمام.

فقلت أطيب خاطره :

- طيب يا أخى لما لك صاحب بالشكل ده،، ماجاش ليه يزورك؟ مالوش حق.

- لا والله ... هو ما يتأخرش.. بس تلاقى ايده مش طايلة أجرة القطر... حاكم بين بلدنا ومصر سبعة وثلاثين صاغ فى الركاب...

- آه ... على كده يبقى معذور...

فقال فى حزم وقد زم ما بين حاجبيه فى اصرار :

- لكن لازما برضك ييجى... اكتب قول له كده... قول له أخوك مسعود بيترجاك لازما تيجى تزوره... وكل مصاريفه دين علىَّ... أسدده عن داير مليم لما ربنا ياخد بيدى.

وهمس فى رجاء :

- بس وحياة الشدة اللى انت فيها ما تجيب سيرة لحد...

وكنت عند حسن ظنه فكتمت السر...

* * *

امتلأت الأسرة وأرض العنبر بالزائرين والحلل وقراطيس الفاكهة. والتمورجى يمر بين الأسرة فى حملة تفتيشية يجمع ما تيسر مع كرم أهل المريض، وقد عود المرضى على حنانه. وخدماته التى تتدفق يوم الزيارة وتتبخر فى الأيام التالية .. اللهم إلا فى لحظات ضعف تنتابه أمام الكومودينو العامر .. واليد الحاتمية.

وقد اعتاد التمورجى فى ختام جولته أن يلسع مسعود بلسانه

الزفر.. متهكما على وحدته.. ولا يتورع أن يخزه متظرفا:

- وانت يا واد يا مقطوع.. الواحد يخدمك طول الاسبوع، ومايستفدش منك بحاجة ..؟

ولا يسع مسعود إلا أن يرد عليه بنظرة احتقار، تخفى كل ما يعتمل فى أعماقه من حسرة وألم ...

ان مسعودا اليوم يتحفز للانتقام من التمورجي، وقد صمم على أن يسد حلقه بقدر كبير من زيارة صديقه الزهيرى أبو أحمد.

ولكن هاجسا خفيا يخنق الفرحة فى صدره، هل يستجيب صديقه حقا لتوسلاته؟.. هل فى امكانه أن يدبر تكاليف السفر والزيارة؟... ان مسعودا يعلم تماما أن المبلغ كبير.. لكن الزهيرى أبو أحمد رجل شهم وجدع...

وتطلع بقلق :

- فاضل كتير على ما الزيارة تخلص ؟...

فقلت مشفقا :

- لسه نص ساعة ...

ومضت دقائق ثقيلة رهيبة خلت مسعودا فيها لا يتنفس... وقد ازداد وجهه امتقاعا، وتكوم فوق سريره داخل قميص المستشفى الدمور، وعيناه مركزتان على الباب الخشبى الضخم ذى الفتحة الزجاجية المستديرة.

وفـجـأة... هرول إلى الداخل شـاب أسـمـر فى جلبـاب أزرق رخيص... وعلى رأسه طاقية بيضاء... ما كاد مسعود يلمحه حتى قفز من سريره فى لهفة. وقد لاح له فى وحدته خيط يربطه بالبشر. صرخ مرحبا بالزهيرى وهو يعانقه ولم يفطن لأول وهلة الى ذراعيه الفارغتين تطوقانه فى شوق..

جلسا متجاورين فوق السرير.. وبدت فى عينى مسعود خيبة الأمل عندما رأى صديقه خالى الوفاض... وتمتم فى نفسه:

– .... كسفنى المغفل... ده اللى كنت عاوزه يطول رقبتى؟!!

وبكل وقار مد الزهيرى يده فى عبه وأخرج كوزين من الذرة المشوى... قدمهما لمسعود مبتسما فى تواضع. فتلقفهما هذا فى شراهة، وراح يعمل أسنانه فى أحدهما وهو يدمدم بكلمات شاكرة، انتشى الزهيرى فمد يده فى بطء شديد وأخرج من جيب جلبابه ثلاث ليمونات كبيرة.. قدمها لمسعود فى ود وهو يربت على ظهره... وراح مسعود يلعب بالليمون فى الهواء كطفل سعيد يستعرض ممتلكاته...

بدأ مسعود يرمق صديقه الماكر فى حب، وهو ينتظر مزيدا من مفاجآته الرائعة... ولم يطل صبره، اذ أخرج صديقه علبة صغيرة من السجاير الهوليود، وبحركة لا ارادية تهلل وجه مسعود ومد يده.. لكن الزهيرى تجاهلها، وأخذ يفض ورق السلوفان فى هدوء... وانتزع منها سيجارة قدمها لمسعود، ووضع أخرى خلف أذنه...

فصاح مسعود والسيجارة تتذبذب بين شفتيه :

- عندك ولعة يا عم الشيخ عبد العال ؟...

لكن صديقه أسرع باخراج الكبريت فأشعل له السيجارة.

ولاح لى مسعود وهو ينفث الدخان عاليا فى العنبر وكأنه - لفرط سعادته - يملك مصير البشر بين أصابعه...

وقطع أحلامه دخول التمورجى، وهو يصفق صائحا:

- ياللا يا جماعة ... الزيارة انتهت... ياللا يا سيدنا انت وهو .

ولمح مسعود وزائره.. فتقدم نحوهما، وقد استل لسانه للسخرية، فأسرع مسعود يدس فى يده كوز الذرة الباقى.. فقلبه هذا بين يديه متأملا... ثم قال فى قناعة مصطنعة:

- وماله يا عم، مقبول منك برضه.

وعاد يصرخ معلنا انتهاء الزيارة...

وقف مسعود يودع الزهيرى، ويؤكد له فى همس أنه لن ينسى دينه الذى سيسدده فى أقرب فرصة... فنهره صديقه :

- عيب اختشى .. دين ايه.. داحنا اخوات يا مسعود..

- حفظت... لكن انت جبت الفلوس منين ؟

وكأنما تنبه مسعود لمفتاح السر ... فصاح :

- الله ... امال فين جلابيتك الصوف يا جدع ؟

ولم يجب الزهيرى!

عن أعماله الأدبية المترجمة

١ – معركة السفينة – تأليف: فيكتور مايز عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٦٢.

٢ – قصة فيلادلفيا «مسرحية» – تأليف: فيليب بارى – عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٦٤.

٣ – مختارات قصصية – تأليف: فرانك ستكتون – عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٦٤.

٤ – السيف المعقوف ج ١ ، ج ٢ ، تأليف : هارولدلاب

ترجمة بالاشتراك مع الأستاذ حسين القبانى» عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٦٨.

٥ – الشمس كم هى نائية – تأليف: دوبرتسا تشوسيتش – عن هيئة التأليف والنشر – عام ١٩٧١.

٦ – برج الجوزاء – دار المعارف – عام ١٩٧٣.

٧ – كيف تقوى ذاكرتك – دار المعارف – عام ١٩٧٤.

• قصة ترجمها:

ومن بين أعماله الأدبية المترجمة نختار قصة قصيرة بعنوان «قطعة من قماش أحمر» تأليف فرانك ستكتون.

قطعة من قماش أحمر

كنت ذاهباً إلى المدينة ذات صباح. وقبل أن أغادر مسكنى الكائن فى إحدى الضواحى، ناولتنى زوجتى قطعة صغيرة من القماش «الشيت» الأحمر، وطلبت منى أن اشترى لها ياردتين ونصف ياردة من هذا القماش، إذا سمح لى وقتى خلال النهار. فأكدت لها أن هذا لن يضايقنى مطلقاً، ووضعت «العينة» فى جيبى، ثم أخذت القطار إلى المدينة.

وعند الظهيرة، توقفت عند متجر كبير لبيع الأقمشة، معتزماً قضاء المهمة التى كلفتنى بها زوجتى. ورأيت رجلا أنيقا يمشى بين مناضد البيع «ريونات» حيث كانت صفوف طويلة من الفتيات يقفن فى خدمة صفوف أطول من العملاء. وسألته أين استطيع أن أجد هذا القماش الأحمر.

فقال وهو يقودنى إلى داخل المتجر:

- من هذا الطريق يا سيدى.

وقال لفتاة شابة :

- يا آنسة «ستون».. أطلعى هذا السيد على بعض الأقمشة الحمراء.

فسألتنى الآنسة «ستون»:

- أى درجة تريد من اللون الأحمر؟

فأريتها قطعة القماش الصغيرة، التى أعطتنى زوجتى إياها. فنظرت إليها وأعادتها لى، ثم سحبت لفافة كبيرة من القماش الأحمر، ونشرتها على منضدة البيع. فقلت :

- كلا .. إنه ليس من نفس درجة اللون.

- فعلا .. ليس مثله تماماً.. ولكنه أجمل من «العينة» التى تحملها.

فقلت :

- قد يكون هذا صحيحاً. ولكنى - كما ترين - أريد لونا يطابق تلك القطعة، فإن ثمة شيئا مصنوعاً فعلا من هذا النوع من القماش.. وهو بحاجة إلى توسيع أو ترميم.. أو شىء من هذا القبيل. وأنا أريد قماشاً من نفس درجة اللون.

ولم تجب الفتاة، بل سحبت لفة أخرى، وقالت :

- هذا هو نفس اللون.

فأجبت :

- نعم .. ولكنه مخطط...

فقالت :

- إن قماش «الشيت» المخطط يستعمل أكثر من غيره فى الثياب.

- نعم .. ولكن هذا لن يلبس.. إنه لتنجيد الأثاث على ما أظن.

وعلى أى حال.. فإنى أريده قماشاً غير مخطط.. ليطابق شيئا مستعملا فعلا.

– لا أظن انك تستطيع أن تجد هذا الطلب ما لم تأخذ لونا أحمر تركيا.

– وما هو هذا الأحمر التركى؟

فأجابت :

– اللون التركى الأحمر يكون «سادة» غير مخطط فى قماش الشيت.

– إذن .. دعينى أرى شيئا منه.

– لم يبق لدينا شىء من الشيت الأحمر التركى.. ولكن لدينا بعض أنواع الشيت السادة الجميل فى ألوان أخرى.

– أنا لا أريد أى لون آخر.. أريد قماشا يضاهى هذا.

– من العسير العثور على قماش يضاهى مثل هذا الشيت الرخيص.

ومن ثم تركتها وانصرفت.

وبعد ذلك ذهبت إلى متجر آخر يبعد عنه بضع خطوات فى نفس الشارع.

وعندما دخلت، تقدمت إلى المشرف الذى يمر بين المناضد، وناولته العينة التى معى وقلت :

– هل لديكم قماش من هذا اللون؟

– نعم يا سيدى.. المنضدة الثالثة إلى اليمين.

ذهبت إلى منضدة البيع الثالثة إلى اليمين، وأريت قطعة العينة للبائع المختص هناك، فنظر إليها من كلا وجهيها، ثم قال :

– ليس لدينا أى قماش كهذا.

– لقد قيل لى إن لديكم منه.

– كان عندنا من هذا النوع.. لكنه نفد الآن. يمكنك أن تجد هذا النوع لدى أحد المنجدين.

فاخترقت الشارع، ودخلت عند أحد المنجدين، وسألته :

– هل لديك قماش من هذا النوع؟

فقال البائع.

– كلا .. ليس لدينا منه شىء.. هل هو لتنجيد الأثاث؟

– نعم...

– إذن فأنت تريد اللون الأحمر التركى؟

فسألته :

– وهل الأحمر التركى يطابق هذا ؟

– كلا .. ولكنه أفضل منه كثيرا.

– هذا لا يهمنى.. فأنا أريد شيئا مثل هذا.

– ولكن هذا لا يستعمل للأثاث.

فعلقت على قوله بحدة :

– أعتقد أن الناس يستطيعون أن يستعملوا أى شىء يريدون للأثاث.

فقال بهدوء تام :

– إنهم يستطيعون .. لكنهم لا يفعلون . إنهم لا يستعملون لونا أحمر كهذا. بل يستعملون الأحمر التركى.

لم أقل شيئا، بل انصرفت من عنده، وقصدت بعد ذلك إلى متجر أقمشة كبير للغاية. واستفسرت من أول بائع رأيته عما إذا كان لديهم قماش من «الشيت» الأحمر كالعينة التى معى، فقال :

– ستجد طلبك فى الطابق الثانى.

وصعدت إلى الطابق الثانى، وسألت رجلا هناك:

– أين أجد القماش الأحمر؟

– هناك.. فى الحجرة البعيدة إلى اليسار.

وأشار إلى ركن بعيد.

مشيت بين جموع متجمهرة من البائعين والمشترين، وحول مناضد البيع، والمناضد المليئة بالبضائع، إلى أن وصلت إلى الغرفة البعيدة إلى اليسار، وسألت هناك عن قماش «الشيت» الأحمر، فقال الرجل:

– المنضدة الثانية فى هذا الجانب.

ذهبت إلى هناك، وقدمت العينة، فقال الرجل.

– أقمشة «الشيت» فى الطابق الأسفل.

– لقد أخبرونى أنها هنا.

– ليست هنا الأقمشة السادة. سوف تجدها فى الطابق الأسفل ، فى ظهر المحل، هناك فى ذلك الجانب.

وهبطت إلى الطابق الأسفل وإلى ظهر المتجر. وسألت :

– أين أجد قماشا من «الشيت» الأحمر مثل هذا؟

فقال الرجل الذى وجهت إليه الحديث، وهو يسير معى فى الاتجاه المذكور:

– يا «دان».. اعرض عليه «الشيت» الأحمر.

وتناول السيد «دان» العينة منى، وراح ينظر إليها، ثم قال :

– ليس لدينا نفس درجة لون هذا الصنف من القماش.

فسألته :

– إذن.. هل لديك نفس درجة اللون فى أى صنف آخر؟

– .. نعم لدينا أفخر منه.

وسحب قطعة من «الشيت»، ونشر منها ياردة أو اثنتين على منضدة البيع ، فقلت :

– هذا ليس من نفس درجة اللون.

– نعم.. ولكن القماش أفخر.. واللون أفضل من العينة.

– وأنا أريد قماشاً يطابق هذه العينة.

فقال البائع:

– ظننت أنك لست معنيا بتطابق العينة، فقد قلت إنك لا تهتم بنوع القماش. وأنت تعلم أنه لا يمكن مطابقة الأقمشة، ما لم تدخل في اعتبارك الصنف واللون معا. فإذا كنت تريد هذا الصنف من القماش الأحمر، فيجدر بك أن تحصل على أحمر تركي.

لم أجد ضرورة لإجابته على هذه الملحوظة، ولكني قلت :

– إذن فليس لديك شيء يطابق هذا؟

– كلا يا سيدي. لكن ربما وجدت طلبك في قسم التنجيد في الطابق السادس، لذلك أخذت المصعد، وصعدت إلى قمة المبني، وسألت شابا هناك:

– هل لديك قماش أحمر كهذا؟

– قماش أحمر؟ في قسم التنجيد، في الطرف الآخر من هذا الطابق.

فذهبت إلى الطرف الآخر من الطابق، وسألت رجلا هناك :

– أريد قطعة من قماش «الشيت» الأحمر.

فسألني :

– أقمشة تنجيد ؟

– نعم ...

– المنضدة الرابعة إلى اليسار.

وذهبت إلى المنصدة الرابعة إلى اليسار، وقدمت العينة إلى البائع، فنظر إليها، وقال :

– يمكنك أن تحصل على هذا من الطابق الأول.. قسم الأقمشة «الشيت».

فدرت على عقبى،، وهبطت فى المصعد، وخرجت إلى الشارع. كنت قد ضقت تماماً «بالشيت» الأحمر. ولكنى صممت على أن أقوم بمحاولة أخيرة. كانت زوجتى قد اشترت قماشها الأحمر منذ وقت ليس ببعيد، وهو لهذا يجب أن يكون موجوداً فى مكان ما. وكان جديراً بى أن أسألها من أى مكان حصلت عليه. ولكنى ظننت أن شيئاً بسيطاً كهذا من الممكن أن يشترى من أى مكان.

وذهبت إلى متجر آخر كبير لبيع الأقمشة. وما كدت أدخل من الباب حتى تملكنى دوار مفاجئ. ولم أحتمل إخراج قطعة القماش الأحمر. ولو كان معى أى نوع آخر من الخرق البالية – كالتى أمسح بها القلم الحبر أو شيئا من هذا القبيل – فأعتقد أنى كنت أخرجتها وسألتهم عما إذا كان فى استطاعتهم أن يطابقوها على قماش من نوعها، ولكنى خطوت نحو شابة هناك، وقدمت لها العينة، مع السؤال المعتاد، فقالت :

– الحجرة الخلفية.. منضدة البيع التى إلى اليسار.

فذهبت إلى هناك، وسألت البائعة التى خلف منضدة البيع.

– هل لديك «شيت» أحمر مثل هذا ؟

– كلا يا سيدى، ولكن عندنا نفس القماش من اللون الأحمر التركى. أحمر تركى من جديد؟! وقلت مستسلما..

– وهو كذلك.. أعطنى أحمر تركيا.

– كم تريد يا سيدى؟

– لا أعرف.. قولى خمس ياردات مثلا.

فتطلعت إلى بشىء من الدهشة، لكنها قطعت لى خمس ياردات من «الشيت» الأحمر، ولفتها على المنضدة، ونادت : «الخزينة»، فتقدمت ببطء فتاة صغيرة، شعرها أصفر مجدول فى ضفيرتين طويلتين، وكتبت البائعة على قطعة من الورق عدد الياردات، واسم القماش واسمها الخاص والسعر، وقيمة الأوراق المالية التى ناولتها إياها، وبعض معلومات أخرى،، من المحتمل أن يكون ضمنها لون عينى،، واتجاه الريح وسرعتها. ثم نسخت كل هذا فى دفتر صغير تحتفظ به إلى جوارها، ثم ناولت قصاصة الورق والنقود والأحمر التركى إلى الفتاة ذات الشعر الأصفر. وهذه الشابة الصغيرة نقلت ما فى القصاصة فى دفتر صغير تحمله معها، ثم انصرفت بقطعة القماش، وقصاصة الورق والنقود.

وبعد وقت طويل، من المحتمل أن الفتاة ذهبت خلاله بالقماش

والنقود والقصاصة إلى مكتب التحصيل، حيث تسلموا منها الورقة، وأدرجت قيمتها ورقمها فى دفتر، وأعطيت بقية النقود للفتاة، وكتبت نسخة من قصاصة الورق وأدخلت فى الحساب. وروجع ما قيدته الفتاة واعتمد . وحزم القماش فى لفافة، وسجلت الفتاة، وأحصى عدد ثنيات القماش، وقيدت على قطعة من الورق، وأدخلت فى الحساب. ورصدتها الفتاة فى دفترها، ثم أخذت الفتاة إلى صنبور المياه واغتسلت، وقيد رقم المنشفة على قطعة من الورق، ونقلتها الفتاة فى دفترها، وقيدت فى حساب الصبية قيمة الفاتورة ومقدار «الفكة المتبقية»، وسجلت هذه العملية على قصاصة من الورق، ورصدت فى دفترها. وبعد كل هذا جاءتنى الفتاة، ومعها «الفكة» المتبقية وربطة «الشيت» الأحمر التركى.

وتبقى لى من الوقت ما يكفى لقضاء مهمة صغيرة للغاية فى المكتب بعد ظهر ذلك اليوم، وعندما وصلت إلى بيتى، ناولت ربطة القماش إلى زوجتى ففضتها وصاحت فى دهشة :

– ما هذا؟ إن هذا القماش لا يطابق القطعة التى أعطيتها لك.

فصرخت قائلا :

– يطابقها؟! كلا.. إنه لا يطابقها.. فإنك لم تكونى تريدين مطابقتها، لقد كنت على خطأ.. فإن ما كنت تريدينه هو الأحمر التركى، على المنضدة الثالثة إلى اليسار. أقصد أن الأحمر التركى

هو اللون الذى يستعملونه.

تطلعت زوجتى نحوى فى دهشة وعجب، ومن ثم سردت لها تفاصيل متاعبى، فقالت :

– لا بأس.. فإن هذا الأحمر التركى أجمل بكثير مما كان عندى، وقد أحضرت منه كمية كبيرة، لدرجة أنى لن احتاج إلى استعمال القماش الآخر على الإطلاق.. ليتنى فكرت فى الأحمر التركى من قبل.

فقلت :

– وأنا كنت أتمنى هذا من أعماق قلبى.

قصتان عنه:

- صبحى الجيار فى ليلة الكريسماس
- زائر الفجر

مصطفى عبد الوهاب

صبحى الجيار فى ليلة الكريسماس

كنا مجموعة من الأدباء والفنانين اعتادت على الالتقاء به فى ندوته الاسبوعية.. لم نشعر يوماً واحداً كما لم يشعرنا هو أبداً أننا فى حضرة رجل مريض مسجى على الفراش.. وما أكثر حالات الضيق التى اختنق بها كلما حضر إليه زائر جديد حاملاً بين كفيه باقة زهور.. وربما اضطر للخروج عن طبيعته الودودة قائلاً معاتباً له:

– يا أخى أنا لست مريضاً.. كما أننى لم أمت بعد كى تكون هذه الورود صالحة لالقائها على قبرى!

كان صبحى الجيار أنيقا دائماً.. رقيقاً ومهذباً.. كريماً ومضيافاً.. شديد العناية بهندامه.. حليق الذقن.. لامع الشعر.. مضىء الوجه.. يمتاز بذوق رفيع فى اختيار الملابس التى كان حريصاً على مقابلتنا بها: قميصه الصيفى الحريرى الجميل المكوى ذو الأزرار المعدنية المصقولة «البلوفر الصوفى ذو الألوان البهيجة أيام الشتاء» ولو تأخرنا عليه دقائق معدودة عن موعد الندوة استقبلنا هاتفاً وقلقاً :

– شـغلتـونى عليكم يا جـمـاعـة:. لقد كنت أتأهب وأنتم تدقـون الجرس للخروج والبحث عنكم فى شوارع مصر المحروسة !

وحدث أن زرناه يوماً صبيحة ليلة رأس السنة ووجدناه ضعيف الجهد.. متعب الحركة.. مجهد النطق.. يحاول بحساسيته المعهودة المفرطة إخفاء حقيقة حالته عنا حتى لا يحرمنا من لقائه وكى يأتنس بوجودنا معه.

أمسك بالعصا الخشبية التى وضعها امتداداً لسماعة التليفون وتحدث مع أخيه الطبيب حريصاً على إيهامنا أنها مكالمة عائلية.. وطلب نعمات التى وضعت قرصاً بين شفتيه ابتلعه بالشفاط الطويل من كوب الماء.. أمسك بعصا اسطوانية قصيرة ولف عليها منديله الأبيض المفرود وجفف بعض حبات العرق فوق جبينه.. ضغط على مفتاح «بكاتسيرة» أجراس بجواره على السرير فاستمعنا إلى موسيقى هادئة وحالمة من المسجل الذى يحتل مكاناً ثابتاً فوق مكتبته الأنيقة.. قلنا ونحن نضحك معه متسائلين فى خبث :

– مـالك يا أسـتـاذ صبـحى؟.. يبدو أن ليلة الكريسمـاس كـانت عاتية!

أجاب بأسى وكأنه يحاول إخفاء أمر ما عنا : أبداً.. لا شىء!

وقلنا نستحثه على الكلام: علينا هذا الكلام.. اعترف .. أين وكيف قضيت ليلتك ؟

وكأنه كان ينتظر سؤالنا المحدد.. فأجاب فى مكر طفولى:

- تكتمون السر؟!

قلنا فى نفس واحد.. فى بير !!

قال : سأقص عليكم كل شىء.. بشرط ألا يقاطعنى أحدكم حتى انتهى من كلامى

- تفضل !

- سهرت ليلة أمس.. خارج البيت.. لقد قضيت ليلة حمراء حتى الصباح.. وبمنتهى الأمانة هى التى هدت حيلى كما ترون.

قال أحدنا وهو يكتم الضحك:

- ليلة حمراء.. وخارج البيت أيضا!؟

قال فى حزم :

- وبعدين.. ألم أقل لكم ممنوع المقاطعة.. أسكت يعنى؟!

- لا لا .. أكمل !

- كانت ليلتى فى أشهر شارع مُلعب «بضم الميم» بقاهرة المعز!

- شارع الهرم ؟!

- لا .. عماد الدين.. شارع الأنس كله!

ولم يترك لنا فرصة أخرى لنستفسر عن سر هذه الليلة الليلاء.. وراح يقص علينا بجدية شديدة :

- أمس.. وقبل أن تدق الساعة الثانية عشرة بعدة دقائق.. حضر

إلىّ عدد من أصحاب العمر وزملاء الشقاوة وأخذونى لشارع عماد الدين. وهناك حجزوا لى ترابيزة محترمة. وعلى ضوء أحمر شاعرى هادىء دفعوا بى إلى إحدى الحجرات.. ووجدت نفسى فجأة أمام بنت حلوة وصغيرة ووشها كالقمر فى الليالى العتمة.. وقفلوا علينا الباب.. ولم تفارقنى هذه الفتاة لحظة واحدة طوال الليل.. وما إن ننتهى من زجاجة إلا وأجدها فى إصرار غريب قد فتحت غيرها وأجبرتنى على الشرب منها.. وباشرت مهمتها.. وظللنا على هذه الحالة حتى صاح الديك معلنا ميلاد فجر جديد.. وما كدت أعطيها حسابها حتى لفت الدنيا بى فلم أدر شيئاً إلا بعد أن فتحت عينى وصحوت على سريرى.

قلنا فى لهفة : وبعدين ؟

قال : ولا قبلين !

– طبعا حدث هذا فى أحلامك الوردية ؟

قال صارخاً فينا بصوته الواهن :

– فشر ! .. لقد كان هذا واقعاً ابن واقع !

– حقيقى؟ حقيقى يا أستاذ صبحى ؟

قال مستنكراً بلاهتنا مقلداً لنا ساخراً منا :

– نعم.. آه طبعا حقيقى يا أستاذ صبحى.. ما الغريب فى هذا..؟ نحن ولا فخر من غير مؤاخذة ناس «مخَلَّصة» – بكسر الميم وفتح

الخاء وتشديد اللام !

– إذاً.. كيف حدث ذلك ؟

– أقول لكم :

أنتم تعلمون بالطبع أننى أعانى منذ عدة شهور من آلام متكررة من المغص الكلوى الحاد الذى لم يفارقنى نتيجة الرقدة الطويلة وتعرضى الدائم لتكوين الحصوات.. وفى كل مرة كنت أتغلب على هذه الآلام بحكم خبرتى بها وعشرتى معها.. لكن بالأمس كان المغص شديداً والآلام قاتلة وكنت أصرخ بعلو صوتى.. ولم تفلح المهدئات.. وأسرعت نعمات بالاتصال بطبيب صديقى وجارى.. وعلى الفور اتصل هو بدوره تليفونياً لاستدعاء اثنين من أصحابه.. وحضروا جميعاً وأخذونى «هيله بيله» وأدخلونى العربة.. كانت عربة الاسعاف لأن جسدى المتصلب المفرود لا تصلح معه أية سيارة عادية.. نقلونى إلى عيادة متخصصة فى شارع عماد الدين.. ورقدونى على ترابيزة طويلة احتجزوها لى.. وأدخلونى على الطبيبة المعالجة التى كانت فى جمال ممثلات هوليود.. وظللنا وحدنا أنا وهى طوال الليل لم تفارقنى لحظة.. كانت الإضاءة خافتة وناعمة وحمراء كى تساعدنى على هدوء الأعصاب وبعد أن حقنتنى بالمهدئ.. أمسكت بيدها الطرية التى تُلف فى حرير وأحضرت أربع زجاجات بيرة وظلت تسقينى حتى عميت من الشرب وكل ما انتهى من زجاجة

تصر رأسها وألف سيف أن تبدأ من جديد.. ثم شعرت أن شيئا ما يدفعنى للحمام فلازمتنى إلى أن سقطت الحصوات بحمد الله وخفتت الآلام.. فارتحت قليلاً.. ثم أعطيتها الفيزيتا.. ولفت الحجرة بى من معاناة تلك الليلة العصيبة.. فنمت إلى أن صحوت منذ قليل استعداداً لاستقبالكم – ثم قال غير واثق فينا :

– بذمتكم.. وأنا راضى ذمتكم التى يجرى فيها الديزل المجرى.. هل يستطيع أحدكم قضاء ليلة الكريسماس مثلى مع فتاة جميلة طوال الليل.. ولم تفارق الكأس شفتيه لحظة واحدة.. دون أن يغمى عليه ويكسفنا ويجعل رقابنا جميعاً بعد خمس دقائق فقط كحبة السمسمة؟! (*) .

* * *

---

* «مجلة الفجر الأدبية» سبتمبر ١٩٩٨.
* المجموعة القصصية «دبوس فى الرأس» ١٩٩٨.

زائـر الفجـر

هناك مثل شهير نطلقه على ما نريد التعرف عليه «قل لى ماذا تقرأ؟.. أقل لك.. من أنت!.. وأحيانا نجد من يقلب المثل على وجوه عديدة» قل لى مَنْ تسمع / تشاهد / تأكل / تلبس / تعمل .. أو أين تسكن أو مَنْ تُصاحب؟. واسمحوا لى أن أضيف. ما هى أقصى قدرة يمكنك أن تتحمل فيها - لا سمح الله - مرضاً معيناً.. فتصاحبه ويصاحبك خلال مدة محدودة يوم.. أسبوع .. شهر .. سنة بالكثير؟ لكن ماذا لو قلت لك أن الأديب صبحى الجيار (٢٧ فبراير ١٩٢٧ - ٢٥ فبراير ١٩٨٧) كان فى حالة تعب مستمر مع أمراضه العديدة التى زحفت إلى جسده واستوطنت فيه حتى بلغت ستة عشر مرضاً وظلت ملازمة له كاللزقة الإنجليزى.. وفرضتها عليه القيود طوال خمسة وأربعين عاما بالتمام والكمال على كاهل جسده الرقيق.

خمسة وأربعون عاماً لم يكف عن اللعب مع كتيبة الأمراض التى عششت فى جسده ولم تمس روحه على أثر رقدة السنين الطويلة التى كثيراً ما كانت تعطل وظائف أعضائه فكان صديقا لها ومحاورا

ومناورا ومكتفيا معها. فإذا أعطته السيدة نعمات رفيقة حياته قرصاً للامعاء تألم البنكرياس.. وإذا أعطته حقنة للكلى صرخ من الكبد - وإذا وضعت له قطرات لأذنيه أثرت على القنوات الأنفية وإذا شرب دواء السعال احتقنت اللوزتان.. وإذا تسلخ الجلد احتبس البول.

كانت ظروفه الصحية غير العادية تفرض على السيدة نعمات ألا تسمح لأحد بزيارة الأديب صبحى الجيار إلا فى مواعيد الندوة الاسبوعية أو بموعد سابق إذا اقتضت الضرورة فتحدد له زمن الزيارة فإذا تحرج صبحى الجيار من انهائها تدخلت هى بكل لطف وحزم، لتحميه من طولها الذى يحول مثلاً دون دخوله الحمام أو أخذ قسط من النوم أو الراحة بعد عناء القراءة والكتابة.

وفى أحد الأيام هاجمته الحمى وفرهدت جسده وارتفعت حرارته بطريقة مزعجة، وبكل الحسم من جانبه هذه المرة قال لها بعد أن تناول الدواء: لست اليوم على استعداد لاستقبال أحد.. أغلقى من فضلك الأبواب والشبابيك.. أغلقى التليفزيون والراديو.. أغلقى البوتاجاز والنملية. لا أريد شيئا مفتوحاً.. لا أريد صوتا أو همسا أو حركة ودعونى أنام فى هدوء ولا تيقظونى إلا إذا صحوت وحدى ولا تسمحين لأى مخلوق بالاقتراب من حجرتى حتى ولو كان أبى !.

ومرت هذه الليلة على خير حتى منتصف الليل.. وقبل الفجر بساعتين .. دق جرس الباب دقات قوية وسريعة ومتلاحقة أقلقت

الجيران وصوت الزائر يخترق سكون الليل ويصرخ بأعلى صوته : افتح الباب.. افتح الباب!..

– شوفى مين يا نعمات – قالها بعد أن فتح عينيه مذعورا .. وينادى الزائر :

– افتح يا صبحى الدنيا تلج والهوا رصاص .. وفزعت نعمات وقامت وقلبها يدق رعبا وهى تجرى من حجرتها تهرول نحو الباب.. وفتحت..

– ده الأستاذ أحمد بهجت يا أبيه صبحى..

لقد كان صديقه الحميم.. والوحيد من بين أعزائه الذى يمكنه زيارته فى أى وقت يشاء دون أى قيد من أى نوع.

اندفع الأستاذ بهجت إلى حجرة نومه وفى يده اليمنى لفة بها جبنة وعيش وطماطم.. ويده اليسرى تلتف حول بطيخة شيليان كبيرة!.. أقبل على صديقه وصافحه بحرارة.. واحتضنه بشوق.. وقبله فى مودة وكان يعاتبه وهو يقول له ضاحكا :

– جرى إيه يا صبحى .. بقى يا راجل آجى أقعد معاك شوية .. ألاقيك نايم م المغرب؟!..

---

* مجلة الأديب العدد الثانى فبراير ٢٠٠١.



صبحى اجيار مع نعمات والكلب ركس

دراستان حول سيرته الذاتية
وأعظم انجازاته الأدبية :
ربع قرن فى القيود

- حاز صبحى الجيار على جائزة الدولة التشجيعية عن هذا الكتاب فى التراجم الأدبية عام ١٩٧٠.
- وكذلك على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى العلوم والفنون والآداب عام ١٩٧٠

ربع قرن بلا قيود

بقلم: محمود عبد الوهاب

بصدفة رائعة أو معجزة الهية سمها ما شئت ولد صبحى الجيار ابنا لهذه الأسرة بالذات، وترتبت على ذلك نتائج باهرة كان لها أكبر الفضل فيما يحسه الآن من سعادة. والسبب ببساطة أن سعادة صبحى الجيار نابعة من العلاقة الفريدة بين وجوده الروحى وبين وجوده المادى.. بين صبحى الجيار الانسان وصبحى الجيار الفرد، وقبل أن نعايش معا أبعاد هذا الوجود أحب أولا أن أتلمس جذوره الأولى فى أسرته.. فهى أسرة لا تعرف النرجسية وما يترتب عليها من عشق للذات وتأمل للدنيا من خلال قوقعة الوجود الفردى، واعتبارها دائرة كبيرة خلق الفرد ليكون مركزها الوحيد.. هذا الأسلوب فى التفكير لا تعرفه الأسرة.. بل العكس هو الصحيح فالوجود الفردى عندها ليس إلا قاعدة صغيرة تنطلق منها إلى العالم المفتوح تأخذ منه وتعطيه. ودليلى على هذا الرأى الموقف البسيط الذى اتخذه شقيقه الدكتور مكرم من قصصه المترجمة التى كانت

تنشر فى مجلة قصتى، لماذا وقع بحروفه الأولى فقط وقد كان يبذل فيها جهدا لا يكافأ عليه ماديا فلا أقل من المكافأة المعنوية فى قدر من الشهرة يسير، ولكنه بايثار فطرى فى طبعه خاف أن يشغل ولو مساحة ضئيلة من الشهرة التى صنعها صبحى الجيار لاسم الجيار.. والموقف الآخر هو موقف الأم التى تنازلت عن حليها ببساطة فى مشروع الزواج.. وأكاد أتصور أنها أقدمت على هذه التضحية بلا أى قدر من الاحساس بالحرمان من شىء عزيز، أو بأنها صاحبة فضل كبير إلى آخر هذه المشاعر التى قد تنبعث فى انسان أنانى انتزعت منه أشياءه الغالية. والموقف الأخير هو موقف الأب الذى يحيا مأساة تدهوره المالى حتى الصفر دون أن يرهق الآخرين بشكواه.

ولنتأمل معا بعد هذه النظرة السريعة.. أبعاد الوجود الروحى الكبير فى حياة صبحى الجيار، وفى ظنى أن أحسن طريقة لمعاينة هذه الابعاد أن نتأمل خطوة بخطوة كيف يفلت هذا الوجود المعنوى من قيود كل اطار يفرضه عليه وجوده الفردى.

وجوده الفردى مثلا يفرض عليه جسدا مقيدا لكن صبحى الجيار الانسان يتعامل مع هذا الجسد من علو شاهق.. يتأمله ويسخر منه ويبرز تناقضاته المضحكة وهو منفصل عنه تماما: مثلا عندما يصاب بشلل فى نصف وجهه يقول نصف وجهى يضحك أما النصف الآخر فيبدو كأن الأمر لا يعنيه، أو كأنه وجه تمثال لا يؤمن بالمرح، وهو

يقول استطيع أن أتصور كيف تتلكأ حصوة الكلى هنا وتتسكع هناك، ويقول من يدرى لعلنى أستطيع أن استبدل عظامى المتصلبة فى قدمى بعظام جديدة لقدمى لاعب كرة أو راقصة باليه مثلا، أو يصف مرضه الذى لا يترك له إلا قدرا ضئيلا من الحركة فيقول أما الأماكن «المحببة» اليه.. الخ.

ووجوده الفردى يفرض عليه أن يكون ابنا لهذه الأم بالذات وهذا الأب بالذات لكنه يصفهما كأنهما شخصيات روائية فى قصة واقعية.

ووجوده الفردى يفرض عليه أن يكون مسيحيا ولكنه ليس مسيحيا تماما وليس مسلما بالطبع، بل أنه ليس ملحدا، وتصوراته الدينية ليست عربية تماما فهو مقتنع بوجاهة فكرة تناسخ الأرواح وهى غريبة عن التصور الدينى العربى.. وهو مؤمن بالله ولكن دون أن تقيده حدود ، هو مؤمن به كما هو فى الفلسفة «المطلق»، أو كما هو فى نظر الصوفية سر الأسرار الحكيم، أو كما هو فى النظرة العلمية القوة المجهولة التى تبث فى الفوضى المادية فكرة النظام، مثل هذا النوع من الايمان هو الذى يناسبه لأنه يطلق روحه فى آفاق بلا حدود.

ووجوده الفردى يفرض عليه أن يحب انسانة بالذات لكنه يشهر كل أسلحته ليهاجم فكرة الحب وما يترتب عليه من رغبة فى الامتلاك واحساس بالغيرة وإشعال للأنانية، ويفضل عليه الصداقة، والمسألة رغم ما قد يبدو فى حججه من وجاهة لا تعدو أنه يأنف من الاطارات

الثابتة، فالحب يفرض عليه انسانة واحدة لكن الصداقة تؤمن بالتعدد، وهذا التعدد ليس ثابتا ولكنه متجدد على الدوام وبذلك يفلت من اطار الحب حتى ينعم بحريته فى الاستجابة عاطفيا لكل النساء.

والآن وقد أدركنا ضخامة هذا الوجود الذى يبعده تماما عن التعصب لأى كاتب ولأى مذهب.. لأى مطربة.. لأى حزب.. هذا الوجود الذى يفتح ذراعيه للدنيا بأسرها فلنتأمل معا آثار هذا الانطلاق من الفردية فى فكره وفى حياته.

أولا كان محتما وصبحى الجيار له هذه الخصائص الفكرية أن يكون موضوعيا.. يؤمن بالنظرة العلمية ويحترم المنهج العلمى، وادراك المسببات من نوع النتائج ومن سمات هذه النظرة العلمية أنه يؤمن مثلا بوجود الأرواح وبقدرتنا على الاتصال بها، لكنه ايمان حذر لا ينكر ولا يؤكد ولكن يترك للعلماء مهمة البحث عن القانون العلمى الذى يؤكد هذه الظواهر. هذا بالاضافة إلى الأسلوب العلمى الذى ينتهجه حتى فى ممارسة هواياته .

ومن مظاهر هذا الوجود الضخم فى حياته نوعان من الاحساس لا أدرى كيف تصور انهما عيباه الرئيسيان الخجل والاحساس الزائد بالكرامة.. وبقدر من التحليل البسيط لمجموعة من المواقف التى يحس فيها بالخجل فى المعاملات المادية مثلا أو طلب المساعدة من شخص غريب نكتشف أنه فى كل مرة يحس فيها بالخجل كان وجوده الروحى مهددا بالانحناء ليلبى طلبات وجوده الفردى القزم..

وقد صور صبحي الجيار في سيرته موقف وقوعه من الدراجة ورفضه أى مساعدة من الغرباء ووصف ذلك بأنه صورة من صور التدخل السقيم لإحساسه بالكرامة.. فى الوقت الذى كان ينبغى فيه أن يرضى عن نفسه وأن يحس بالفخر لأن جسده يحوى هذه الروح المتشامخة فوق كل ألم.. كان صبحى يدرك أنه يكفى أن ينحنى مرة واحدة حتى يفقد وجوده الكبير إلى الابد.. يفقد أغلى وأنبل ما فيه من أجل وجوده المادى الضيق السجين.. فليحتمل جسده أقسى أنوا ع الألم ولتصرخ كل عظامه ولكنه لن يقسر العملاق فى داخله أن تتداخل عضلاته وأن تنقبض بكل ما يترتب على ذلك من آلام من أجل أن يصبح قادرا على خدمة الجسد الضئيل.

وكان بفضل احتفاظه بقوة روحه دائما أنه أصبح قادرا أن يتحدث عن مأساته دون قتامة أو تشاؤم أو سخط، وإذا كنت قد تأثرت حتى البكاء فى بعض مواقف فقد كانت هذه المواقف أبعد ما تكون عن جو المأساة.. تأثرت جدا من خطاب توفيق الشمالى.. أحسست بالانسان فى صبحى يسترد احساسه بالثقة بعد أن أبعده توفيق عن العمل بلا سبب رغم كل ما كان يبذله من تفان فيه وتأثرت من المكالمة التليفونية بينه وبين السيدة المجهولة حين اضطرت أن تصحح فكرتها المريضة عنه.

ولا أحب لأحد أن يتصور أن صبحى الجيار الانسان هو صبحى الجيار الأديب أو الرسام أو الشاب ذو الأفكار العلمية المبتكرة.. فما

أعنيه بصبحى الانسان أكبر من كل هؤلاء والدليل على ذلك أن صبحى الإنسان يتأمل دائما من عليائه كل ما يصدر عن صبحى الجيار الفرد. أو الأديب أو الرسام.. وهو ليس تأملا سلبيا فقد يتدخل أحيانا بكلمة ساخرة أو بتعليق يؤثر به فى تصرفات هؤلاء الأشخاص الذين هم بعض وجوده.. ولكى أعطى صورة من صور هذا التدخل يكفى أن نقرأ معا تحليله المنطقى للفرق بين كلمتى منحة التفرغ واجازة التفرغ فالتفرغ فى رأيه ليس طريقا ملتويا لدفع تبرعات، ولكنه عمل جدى يكافأ عليه إنسان ما لابد أن تتوفر فيه أولا بعض المميزات حتى يمكن التأكد من كفاءته للقيام به.. قرأت هذا التحليل منه ثم إذا بى افاجأ بأن صبحى يقول فى نهاية تعليقه ربما كان هذا غرورا منى.. وصدمتنى الكلمة ربما لأنها بلا مناسبة، عدت أقرأ الفقرة من جديد فوجدته يقول إنها اجازة تمنح للمتفوقين ولابد أن تعليقا ساخرا تناهى إلى سمع صبحى الأديب من صبحى الانسان وأتصور أنه قال مثلا .. آل يعنى.. ويسارع صبحى الأديب ليصحح ما قد يبدو منه مغالاة فى تقدير نفسه باعتبار نفسه واحدا من المتفوقين.

وصبحى الجيار ليس له قدرة على ايلام الغير حتى الذين آلموه فهو يتحدث مثلا عن أحد النقاد ببساطة وبكل ما يستحقه من تقدير واحترام رغم أن هذا الصديق بالذات كتب نقدا لمجموعة قصصية له وكان قاسيا فى هجومه عليه. ربما لأنه يحس بأنه لا ينبغى أن يخسر

أصدقاءه لمجرد أنهم أغضبوا صبحى الجيار الأديب.

لكن صبحى الجيار ليس قديسا وليس نبيا فهو يحس أحيانا بالضعف حتى ينكمش كل وجوده ويتضاءل ويصبح سجينا بين قضبان جسده، لاحظ مثلا مشاعره بعد فشل علاجه بالخارج وحاجته إلى فترة زمنية طويلة نسبيا حتى يعود إلى شخصيته السوية..

وصبحى الجيار مع هذا يفقد فى بعض الأحيان نظرته العلمية للأمور ويبدو غيبيا قدريا متواكلا.. وإلا كيف يمكن لإنسان يرفض فكرة الحظ ويعتبرها مجرد شماعة يعلق عليها الفاشلون فشلهم.. أن يؤمن بالنحس وهو الوجه الآخر لنفس العملة والغريب أنه يتحدث بثقة تامة عن نحس المكان وكيف ارتبط فى ذهنه البيت القديم بالفشل والبيت الجديد بالنجاح.. رغم أنه مدين بمقتضى النظرة العلمية بنجاحه للبيت القديم لأنه بدأ فيه محاولاته الفاشلة المتكررة حتى يستقيم له أسلوب متميز، ولو أنه بقى فى البيت القديم لكان من الحتمى أن ينجح بعد أن أثمرت المحاولات المتكررة فى موعدها تماما.

وصبحى الجيار مع هذا لا يفلت من التأثير الذاتى القاتم فى وصفه لأبيه وقد كنت أتمنى أن يتأمل من علياء احساسه الإنسانى الناضج كل ظروفه السيئة، وأن يدرك العلاقة بينها وبين تعامله القاسى معه.

كنت أتمنى أن يقوله له أحبك يا أبى رغم كل كلماتك القاسية التى

كانت تؤلمنى أكثر من كل آلامى.. أحبك وأقدر كفاحك الدائم معى، وأستطيع أن أفهم الآن لماذا كنت تعارض فكرة زواجى رغم الكلمات المدببة التى طعنت بها رجولتى.. لابد انك كنت تدرك أننى فى سنى الصغيرة وبمنطقى الساذج أخضع الحياة لعمليات حسابية لا تقبلها الحياة .

وليكن احتقارك لنشاطى الأدبى ما يكون فاننى استطيع الآن أن أعرف أنك كنت أسير نظرة المجتمع للفنان الذى لم يكن فى بلدنا محترما حتى وقت قريب.. ربما لأنه لا يقدر وظيفة بلا سلطة.. وربما لأنه لا يضمن حياة مادية مستقرة.. كنت تتمنى أن تطمئن على مستقبلى المادى ولكن صياغتك لطريقة حرصك على مستقبلى كانت تؤلمنى.

ولتكن مهاجمتك لى حين أبدى رأيا أعنف ما تكون لأننى لا أكسب قرشا، فبوصفى انسانا كان ينبغى أن يكون لى دائما رأى، فلعلك كنت تتصور أننى قد أقول رأيا لى فى وجودك ولكن ترى من يضمن لى إبداء رأى بعد رحيلك..

ولتفسد يا أبى فرحتنا ببكائك يوم نجاح أخى ولكنى افهم الآن أن ذلك كان حرصا على مشاعرى فإذا كنت فى نظرك فاشلا فلابد أن نجاحه يؤلمنى أنا الذى كان ينبغى لولا قسوة الظروف أن أكون متخرجا قبله.

ولا أدرى كيف طاوع صبحى الإنسان قلمه فى كلماته عن والدته

لا أدرى كيف سمح له الرقيب اليقظ أن يقول أنها لا تهتم إلا بانسانة واحدة لا تراها إلا فى المرآة.. أن النظرة العلميـة التى تجـمع من الجزئيات صورة متكاملة ترفض هذا الوصف.. لا أدرى هل ينبغى أن نعتبر تضحيتها بالحلى من أجل مشروع زواجه تصرفا شاذا لا يقاس عليه؟. هل نعتبر سعيها لاقناع بعض الفتيات بالزواج منه اهتماما بنفسها؟ هل نسقط من حسابنا الكلمة الصغيرة التى كانت بداية اهتمامك بالرسم حين قالت «ما تحاول ترسم زيه يا صبحى»؟. هل ننسى بكاءها ساعة سفرك وتمنياتها لك بالشفاء؟ كنت أتصور أن تقول أن أمى قادرة بارادة صلبة على السيطرة على عواطفها.. فقد كانت تتألم حين أمسكت قدم أخيك المجروحة ولكن الألم كان أضعف من احساسها بالواجب.

مسألة أخرى لا أدرى كيف سمح بها مقص الرقيب اليقظ.. الذى يهمنا فى الواقع من كتاب عن حياة صبحى الجيار هو هذا الاصرار الدؤوب من وجوده الروحى لكى يخرج إلى العالم رغم كل العقبات والصعاب، وهو اصرار لا يبدو فى الرسم والأدب فقط ولكن فى المخترعات الصغيرة التى تتغلب بها على مشاكلك. فى محاولاتك التجارية المبكرة / فى مجلة قصتى / فى الترجمة / فى استمتاعك بالحياة / فى تلقى الضربات فى مشاريع الزواج الفاشلة دون أن تصرع هذه الضربات الفتى العملاق فى داخلك.. هذا هو فى الواقع الجانب الإنسانى الذى نرى فيه جميعا بعضا من وجودنا فى وجودك

الكبير، لكننى لا أدرى كيف سمح هذا الوجود لنفسه بالانزواء حتى تضخم الوجود الفردى وراح يتحدث عن غرامياته باسهاب.. كنت اتابع كتابك واحساس قوى أنه من حقى أن أقرأ وأعرف كثيرا عن حياتك بوصفى انسانا عايش تجارب انسان كبير ينتصر على العقبات المتوالية.. لكن فصل الغراميات أشعرنى أنى أتلصص من ثقب الباب على حياتك الخاصة .. غرامياتك فى الواقع لا تهم سوى صبحى الجيار الفرد.. فقد حدثت بمحض الصدفة فان تحبك انسانة هو شىء عادى يحدث لكل الناس فلا قوانين للحب ولا أحد يعلم أين ومتى يرمى شباكه.. وكان من الممكن أن تصبح هذه الغراميات مجرد خلفية فى آخر الصورة ندرك بها تأثيرها فى أدبك أما الحديث بهذا التفصيل فلا أعتقد أنه يهم أحدا.

كلمة أخيرة أقولها للذين يتفوهون بعبارات الاشفاق فى وجودك أن يدخروها لأنفسهم، فليس هناك من هو أحق بالشفقة من انسان لا تبصر عيناه الكليلتان من جسد العملاق إلا جرحا فى اصبعه.. أما أنا فاتمنى أن تنحنى بكرمك التقليدى وتلتقط من ذراعى المدوتين حبى وتقديرى واعجابى.

كانت تلك قراءة نقدية لسيرة صبحى الجيار التى كتبها بقلمه واختار لها عنوانها، وفى ظنى أن هذه القراءة الموجزة لا تغنى بأية حال عن قراءة الكتاب . نظرا لأن التفاصيل الواقعية لأحداث حياته والتى سجلها فى هذا الكتاب بأقصى ما استطاعه من تحرى الصدق

ليست رغم أهميتها واشتمالها على الكثير من قيم الكفاح والصبر والاصرار على النجاح.. ليست أهم ما فى الكتاب، لأن ما هو أهم منها هو الروح التى سرت فى سرد مراحل حياته.. والتى تتكشف فيها محبته للحياة وللبشر، ونفسه السوية البريئة من المرارة أو السخط أو الحقد أو الحسد. وأفقه الواسع الذى يجمع فى انسجام وتوافق بين إقباله على الأدب وعلى العلم. وسماحته التى تكره التعصب الطائفى والدينى. وقدرته على معاونة الآخرين واسعادهم، وعبقريته الخاصة فى أن يجعل - وهو السجين - من أيامه كلها أياما حافلة بالبهجة والنشاط والعمل والانس بالأصدقاء والاستمتاع باللوحة والتمثال والأغنية والدراما والشطرنج والقراءة والكتابة والموسيقى، ولعل حجر الزاوية فى هذه الحياة الحافلة بالمحبة والصداقة والنجاح والاستمتاع بكل ما هو طيب ونبيل.. كان ايمانه الراسخ بعدالة السماء.. ذلك الايمان الذى اتسع لكل الأديان التى استمد منها الحكمة والرضا والقناعة، واستمد منها اليقين بأن اخلاصه فى عمله ومثابرته واصراره لابد أن يتوج بالنجاح، وهو ما قد تحقق بالفعل ووفر له حياة طيبة وآمنة.

يكتب صبحى الجيار فى مقدمة كتابه أن الحياة حلوة رغم كل شىء وهو بذلك يثبت وبالدليل العملى أن الإنسان يحيا بالروح وبالارادة وبالجلد وبالايمان ، وبالعلاقات الحميمة مع الأهل والأصدقاء وبالانتماء العميق للوطن وبمحبة الجمال والصدق والخير..

يحيا بكل هذه القيم والمبادئ قبل أن يحيا بالجسد وبالمتعة وبالأنانية أو الطموح الفردى.

صبحى الجيار:

ســوف نظل نذكـر اجـتـمـاعنا الاسـبـوعى فى منزلك ننهل من ابتسامتك وبشاشة وجهك ورحابة صدرك وكرم ضيافتك، وقدرتك على احتمال جموحنا وشططنا وأوهامنا وخيلائنا حين نقرأ ما نكتبه من قصص جديدة غامضة، وحين نتعالى على ما نسميه القصة ذات الهدف الواضح أو القصة التقليدية أو الواقعية التى كنت منحازا لها، كنت تتقبل منا كل ذلك بصبر جميل وسماحة وتواضع ومحبة، نعم.. سوف نظل نتذكر كل ذلك باعتزاز حتى آخر العمر.

محمود عبد الوهاب

ربع قرن بلا قيود

نموذج رفيع من التراجم الذاتية

بقلم : مصطفى عبد الوهاب

فى مقالة (الأدب وكتابة السيرة الذاتية) المنشورة بالمساء فى ٩ سبتبمر ١٩٨٠.. قال الأديب شمس الدين موسى (وعندما أحاول احصاء من كتبوا سيرة حياتهم فاننى لا أجد إلا الأيام لطه حسين وزهرة العمر وسجن العمر لتوفيق الحكيم) .

بينما هناك مجموعة كبيرة من الأدباء كتبوا سيرتهم الذاتية أمثال : زكى نجيب محمود - عباس محمود العقاد - سلامة موسى - فتحى رضوان - أحمد أمين.. وغيرهم.

ولعل من أجل هذه التراجم وأصدقها وأن لم تكن أشهرها تلك السيرة الذاتية التى كتبها الأديب الفنان (صبحى الجيار) بعنوان ربع قرن فى القيود فى ثلاثة أجزاء هى : المأساة - الكفاح - الحصاد. وقد حاز عنها جائزة الدولة فى الأدب فى أوائل السبعينيات.. وللأسف الشديد لم تحظ بالاهتمام الواجب من

المتخصصين فى شئون الكتابة والنقد.. بالرغم من أنها تعتبر نموذجا رفيعا من التراجم الذاتية المصرية.

• الجزء الأول: «المأساة»:

أثناء قراءتى للأجزاء الثلاثة من حياة الأديب الفنان صبحى الجيار.. كنت أحس كمن تسرى فى أوصاله تيارات من شحنات متدفقة ترتفع بحرارتها لتتسامى بروحه.. ولم تلبث هذه التيارات أن تتحول فى نهاية الجزء الثالث إلى طاقة معنوية هائلة تتفجر بكل قوتها لتصل إلى ذروة ايقاظ الرؤية فى جميع الخلايا الحسية داخلى وتضيىء نفسى بأشعة نورانية تملأ قلبى وتطلق اشارة البدء فى محاولة جديدة إلى عقلى للنظر فى كل ما يتعلق بحياتى كانسان.

وأشهد أننى لم أشعر لحظة واحدة بالرثاء أو العطف أو تبادر الى نفسى أية عاطفة رخيصة تتسم بالسطحية تجاه أى مشهد من المشاهد الحرجة الكثيرة فى حياته .. ولكننى كنت أحس بالتعاطف الشديد الذى يرتفع إلى مستوى القوة والصمود والكفاح المستميت من جانبه.. وأنا هنا أفرق بين العطف والتعاطف.. فالعطف احساس يوجه عادة إلى شخص ضعيف أما التعاطف فهى صفة وجدانية نبيلة تمتاز بخاصية المشاركة مع انسان قوى فى محنة وتعترضه بعض الظروف التى يحاول اجتيازها.

ويكفى جدا من قراءة هذه الترجمة الذاتية الفريدة أن يتحقق المعنى الرائع الذى أطلقه فى مستهل كتابه.. (أن الحياة حلوة رغم كل شيء) دون ما استعراض أو استعلاء أو القاء مواعظ منبرية أو تعبيرات جافة مملة مسلوبة الاحساس خاوية القيمة فقدت تأثيرها لجمودها ويكفى أن يعيد كل منا النظر فى تصرفاته ومشاكله وآلامه ومتاعبه وأمراضه أيضا ليشعر بمدى تفاهتها وضآلتها وأن عليه اذا كان حقا يرغب فى الخلاص منها أن يكون أكثر صلابة ورجولة وصمودا فى تحمل الآلام، وأن يفكر بطريقة عملية ومنطقية فى الخلاص من متاعبه ليستطيع الحصول على أعلى مراتب النجاح.

واذا كان صبحى الجيار قد استطاع بمجهوده الذاتى وطموحه العريض أن يقطع مرحلة كبيرة فى طريق النجاح الذى كان يصبو إليه منذ كان طفلا فى المدارس الابتدائية ، واذا كان هذا المجهود فى حد ذاته من الأشياء التى نال عليها احترام واعجاب الصحافة والقراء والدولة متمثلة فى أجهزة الاعلام ووزارة الثقافة. فانه لجدير بالذكر أن نقول أن صبحى الجيار بطبيعته المتفائلة المحبة للخير دائماً.. لم يكتف بشق الطريق لنفسه فقط .. بل على عكس كثير من زملائه الأدباء المتاحة لهم فرص أوسع لمساعدة الأدباء الشبان.. قام بمعاونتهم وتوجيههم والأخذ بأيديهم وتزكية أعمالهم واتاحة فرص النشر لهم وخاصة فى مجلة (قصتى) التى أصدرها فى الخمسينيات

لسنوات طويلة وقدم خلالها العديد من الأدباء المعروفين ومنهم الأساتذة أحمد بهجت - كمال مرسى - عبد العال الحمامصى - صبرى موسى - محمد الخضرى عبد الحميد.. وغيرهم.

ومن الحقائق التى يجب أن أؤكدها - من وجهة نظرى على الأقل - حتى لا يكون الحكم عاما فاتهم بالمجاملة أو التعصب.. أن ما من شخص سوف يتعرض بالتعليق أو النقد على هذا الكتاب إلا وسيجد نفسه بمنتهى الرضى يشيد فى النهاية بروح هذا الانسان الذى استطاع برغم كل ما يعانيه أن يحقق ما لم يستطع أن يصل إلى ربعه كثير من ذوى القدرات التى حرم منها فى مجال التأليف القصصى والترجمة والكتابات النقدية والفنون التشكيلية.. بعد أن استطاع بشدة ايمانه بالله وبارادته القوية أن يجتاز كل المعوقات التى اعترضت طريقه ويواصل مسيرته فى صلابة وجلد بفضل ذكائه وطموحه وصدقه الشديد مع نفسه، والكلمات هنا أقولها وأنا واثق من عجزى عن قدرتى على التعبير بامكانياتى المحدودة لتقدير هذا الفنان وما له فى نفسى من منزلة الأستاذ والأخ والصديق.

يستهل الكاتب الحديث عن مولده ببداية درامية وبقدر تأثيرها الذى يحبس الأنفاس لحظة قراءتها إلا أنها تذكرنى بلقطة حزينة بفيلم تراجيدى مثلا، أو بنجيب الريحانى عندما يصف لصديقه مدى النحس الذى لازمه طيلة حياته فيقول له أن أول يوم ولد فيه حدث زلزال. وأعجبتنى الفصول القصيرة المركزة عن الأب والأم.. بقدر ما

كـان يتطرق إلى الملل أحـيـانا فى بعض المواقف التى كـان يمكن اختصارها ولم يكن هناك داع لذكرها بكل دقائقها التفصيلية مثل الحرص الشديد على ذكر التقديرات والدرجات فى المواد الدراسية.. وحادثة النصب فى طفولته مع ابنة عمته، وكان يمكن ذكرها ضمن حوادث النصب التى تعرض لها الكاتب فى مراحل نضجه الفكرى والفنى مع اختلاف بسيط هو تعرضه للنصب فى صغره لأنه كان يفتقد إلى أسلحة الخبرة بطبائع البشر أما فى كبره فقد وقع فى شراكه بسبب تسلحه بنفس هذه الخبرة وكان أهم فرسان عمليات النصب عليه سكرتير تحرير مجلة قصتى (س) الذى سعدت جدا لعدم ذكر اسمه ترفقا به وحرصا على سمعته ككاتب يحاول أن يكسب عيشه من الجرائد التى يوافيها بانتاجه.

أمـا بالنسبـة للمدرسـين فـفى رأيى أنه كـان يمكن الاكتـفـاء بالمدرسين الذين أثروا نفسيا وفنيا فى الكاتب مثل مدرس اللغة العربية وأثره فيه ككاتب، ومدرس اللغة الانجليزية ونطقه السليم المنغم الذى حبب إليه اللغة واتجه به إلى الترجمة، ومدرس التربية الفنية وأثره فيه كرسام، وكان يقطع من رتابة هذه المقاطع أن يقفز الكاتب الى النقط التى يتلهف القارىء لمعرفتها ويجدها شديدة الالتصاق بتكوينه النفسى مثل حديثه عن عقدة الخوف من الأماكن المظلمة وعقدتى الضرب والذبح.. ثم التحدث عن بذور هواية الرسم.

فى باب بين المسيحية والاسلام يؤكد الكاتب عن اقتناع أنه

استطاع أن يتكيف بتفكيره إلى حد محايد لا يوحى بتعصبه لدين معين فكل الأديان تؤكد وحدانية الله وكلها بلا استثناء تحث على الفضيلة وتدعو إلى أن يرتفع الانسان بروحه عن الماديات حتى يتحرر وينشر الخير والحب والسلام .

وبنظرته العلمية التى يقوم بتطبيقها فى كل التصرفات الحياتية التى تمر به يعتنق ما يؤمن به وينحى جانبا مالا يراه صحيحا فيقول فى حديث الخواطر : «إن الايمان الموروث يسهل انهياره أمام صراع النفس القلقة المتمردة.. أما الايمان الناتج عن تجربة واقتناع فهو راسخ أكيد لا تزعزعه الاضطرابات النفسية».

وهذا التسامى الذى يستشفه كل من عاشر الأستاذ الجيار هو نتيجة من نتائج عدم التعصب الذى يتيح له مناقشة كل ما يثار حوله الخلاف حتى ينتصر المنطق وصوت العقل .

وأنا أذكر حادثة طريفة مبعثها الأستاذ صبحى نفسه وهو عندما كنت اقرأ هذه الأجزاء وألاحظ أن الكاتب يستدل فى حديثه ببعض آيات من القرآن الكريم على المواقف العصيبة التى يصادفها فى حياته.. وأخبرت أمى بهذه المسألة فقالت لى فى براءة الأمهات وطيبتهن:

– هل الأستاذ صبحى يا بنى مسلم؟ وأجبت بالنفى..

فقالت : يا خسارة لو كان مسلما لأصبح فى مصاف أولياء الله الصالحين لهذا العصر..

فقلت لها : فى النهاية هو رجل وثيق الصلة بربه شديد الايمان بعدالة السماء وبالخير لكل البشر .. وهو صادق أمام الله ونفسه والآخرين..

وبقدر ما كنت شديد الشوق لمعرفة أى شىء عن حياة صبحى الجيار لأنها قطعا حياة حافلة وخصبة وثرية وفريدة وقد كتبها بصياغة أديب واع مما يجعلنا مستغرقين تماما فى معايشته لكل دقائقها.. بقدر ما كنت شديد الغوص فى أعماق هذه الحياة.

وكنت فى قمة انفعالى عندما بدأ يسرد الفصول الأدبية العظيمة من بداية المأساة والتى كانت كل كلمة منها تهز وجدانى ويغزو التأثر كل مشاعرى بصورة لم اعهدها من قبل.. حتى أننى لم استطع السيطرة أو التحكم فى بضع قطرات من الدموع الساخنة التى انفلتت من عينى فى ثلاثة مواقف.. المرة الأولى عند وصف احدى طرق العلاج البدائية بالكى بالنار فى قرية نزلة السمان بالهرم على أيدى الشيخ «على الكرشى».. والمرة الثانية فى لجوئه للعلاج الدينى والروحى مع المبشرة الأمريكية عندما قالت له بصوت آمر وحازم :

– قف .. باسم يسوع المسيح أمرك بالوقوف.. وقد لف المكان الصمت والرهبة والترقب القلق ولحظات الانتظار المتوتر.. والمرة الثالثة أثناء السقطة الثانية له بقصر العينى على الأرض التى افترشتها المياه والصابون.

كان فصلا ممتعا تعرفنا فيه على صور تفصيلية من ضروب الكفاح فى شتى الوسائل الاعلامية والثقافية وفى مختلف النواحى الفنية من قصة وترجمة ورسم وقيادة حكيمة ونشاط لا يستهان به فى إدارة المجلات.. وخفف هذا الفصل كثيرا من حدة التوتر الذى أصابنا فى الجزء الأول وأن لم أشعر أنه فى قوته وتماسكه.. ولعل من أجمل الأشياء المستخلصة من هذا الجزء تعرفنا على مراحل النجاح والفشل فى كل التجارب التى تعرض لها.

ومن التعليقات البسيطة التى أحب أن أذكرها بالجزء الثانى أننى وقد بلغ بى التأثر والانفعال بعد مشهد وفاة الأب - أطلق الأستاذ صبحى عبارة مضحكة فى نهاية حديثه الحزين عنه فقال فى البداية «أنى أتذكر الآن كلما ابتسمت لى الدنيا أتمنى لو أنه عاش ليشاركنى سعادتى وأشعر بحنين جارف لوجوده بيننا لاعوض تعاسة السنين الغابرة وأحقق له رغباته المادية التى كان يهفو اليها» وكان جديرا بالكاتب أن يتوقف عند هذه اللحظة حتى لا تضاف إليها أية عبارات تشوه هذه المعانى الجميلة ولكنه استطرد قائلا «فهو رغم قناعته وزهده كان يعشق ثلاثة أشياء.. صوت أم كلثوم وقطعة من الكباب وزجاجة صغيرة من البيرة».. وفى ختام هذا الفصل أحب أن أسجل بالشكر العميق كل المجهودات الرائعة التى قامت ومازالت تقوم بها بمنتهى الكفاءة والأمانة السكرتيرة المنظمة الدقيقة الحازمة

«نعمات» التى أفرد لها فصلا خاصا بعنوان «هدية من السماء» والتى تمثل فى نظرى نموذجا فريدا لشخصية على أرقى مستوى من الوفاء والنبل والإنسانية.

• الجزء الثالث «الحصاد»:

يعود الكاتب إلى مستواه القوى الذى وصل إليه فى الجزء الأول الذى تميز بالحيوية والنضج وخاصة فى روايته «عن العلاج فى لندن - الجهاد - الترجمة - الاذاعة - مؤلفاتى - منهجى فى التأليف»

وبالنسبة لفصل خطيباتى فكان يمكن ضغطه فى موضوع واحد مع احدى الفصول الموجودة بالجزء الثانى لنفس الموضوع تحت عنوان «انتفاضات عاطفية» ولى ملاحظة على فقرة من فقرات كراسة الأفكار الخاصة بالطفولة حيث يقول :

« إن الطفولة أتعس مرحلة لأنها تخلو من المسئولية. فالمسئولية هى احدى عناصر السعادة لأنها الابنة الشرعية للحرية والسلطة. وبقدر ما ينال المرء من سلطة وحرية تكون مسئوليته عن تصرفاته».

وأنا اختلف مع الأستاذ صبحى فى هذا الرأى لعدة اسباب، أولها ان هذه المعانى كبيرة جدا حتى يدركها طفل.. وثانيا أنها من أجمل مراحل العمر حيث يعيش الطفل فى عالم خيالى جميل من صنعه لا يشوهه أو يحد من التحليق فيه مرارة الواقع بمشاكله وهمومه واضطراباته النفسية وفوق هذا مسئوليته الملقاة على عاتق من يقومون برعايته وتربيته .. وطبعا ليس كل طفل يعيش هذا الخيال

المثالى الذى أشرت اليه.. ولكنها الحياة يعيشها بكل سعادتها وشقائها. بحلوها ومرها.. بافراحها واحزانها.

واحب أن أؤكد أن طفولته هو شخصيا كانت سعيدة قبل بداية المرض وهو يحاول ان يستفيد من وقته فى مجموعة من الهوايات النافعة وكان سعيدا بمزاولتها وخصوصاً أن والده يرحمه الله كان شديد الحرص على توفير متطلباته.. ذلك أنه كان يرى فيه الولد المتفوق الذى سوف يحقق أهدافه وآماله العريضة التى لم يستطع هو نفسه بحكم ظروفه أن يحققها ..

وفى النهاية أتقدم بتحيتى لروح الأستاذ صبحى الجيار على تقديم هذا العمل الفنى عن تجربته الذاتية للمكتبة العربية والتى عرضها علينا بكل الصدق والأمانة.. ولا أملك فى آخر كلماتى غير الانحناء لعظمة الفنان فى شخصه.

مصطفى عبد الوهاب

فى ١٩، ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ جريدة المساء.



احتفال جمعية رفاعة الطهطاوى الأدبية بالمعادى فى ذكراه الأولى.
الأدباء من اليمين : مصطفى كامل فليفل - عبد العال الحمامصى - الكاتب العراقى
- محمود الدره - أحمد بهجت - كريمة الأنصارى - ومصطفى عبد الوهاب

من كتابات رفيق العمر
أحمد بهجت

صفقوا لهذا الرجل ...

تصور نفسك راقدا فى فراشك برغم أنفك، تصور نفسك سجين قيد لا تراه وانما تحسه، كم ساعة تستطيع أن تمضيها هكذا بلا حركة؟ ساعة، ساعتين، عشرة، عشرين!؟

ما رأيك اذن فى شاب أمضى ١٢١ ألف ساعة وهو يرقد بلا حراك ! إذا وقفت إلى جواره لم يستطع أن يدير رأسه ليراك، كل شىء فيه كف عن الحركة إلا نصف ذراعه اليمنى وقلبه وعقله.

إن صبحى الجيار هو الشاب الذى أمضى ١٢١ ألف ساعة وهو يرقد على ظهره كالتمثال المتحجر النائم.

لم يمرض بالشلل وانما أصيب بمرض غريب لا جرثومة له ولا اسم ولا علاج وقاومه من فراشه بابتسامته المشرقة وصبره وكفاحه..

إن صبحى الجيار نموذج مشرف للكفاح الإنسانى.. من أجل الأمل.. لم يلعن الدنيا ولم يفكر فى الانتحار وانما تعلم اللغات ودرس فن القصة والرسم وأصدر أكثر من مجلة أدبية.

إن صبحى له قصة كفاح دامعة حزينة.. ولكنه يحكيها بنفس الابتسامة الحلوة التى تغلبت على الألم واليأس والمرارة، لقد كان فى الرابعة عشرة من عمره حين عاد من مدرسته وقدمه تؤلمه، ونام ليلتها وهو يحسب الألم عارضا سوف يذهب. ولكنه لم يذهب، بل سرى فى قدميه وزحف لساقيه واحتل المفاصل وأحس صبحى أنه يتألم اذا سار، ويلهث إذا جرى، ويحس بالتهاوى كلما جاهد ليسير أو يعدو.

ولم يمض غير شهر حتى كان يقف فى صعوبة ويسير فى وهن ولا يستطيع أن يمشى إلا متوكئا على عصا..

وأسرع والده للدكتور كامل حسين أستاذ جراحة العظام بكلية الطب حينذاك والدكتور سيد عفت أستاذ الأمراض الباطنية، والدكتور عبد العظيم سلامة اخصائى الروماتيزم، والدكتور أنيس سلامة أخصائى القلب المعروف.

وكان رأى الجميع أن مفاصل القدمين تتآكل، لكن كيف ؟ ولماذا؟... أن هذا لم يكن يعرفه الطب..؟

وبدأوا جهادهم لوقف زحف المرض فعرضوه للأشعة وعالجوه بالتدليك والكهرباء وثقبوا جسده آلاف الثقوب وهم يحقنونه فى العضل والوريد وتحت الجلد.. وفى كل مكان.. لم يتركوا عقارا إلا وصفوه له. البنسلين، الذهب مصل التيفويد فى الوريد، حقن

الارتيزون ذاتها وكانت عقارا أمريكيا جديدا لم يصل إلى مصر بعد...

وعلى الرغم من ذلك فشل العلاج. فشل لأنهم كانوا يقاومون مرضا لا يعرفون سببه.

وراحت الغضاريف تتآكل، والأنسجة تتحجر، والعظام تلتحم، ثم يصيب العضو كله همود له مظاهر الشلل وليس بالشلل..

يستذكر فى فراشه وينجح

ومر عام كان صبحى أثناءه يقاوم آلامه ويدرس فى فراشه، وفى نهاية العام كان لا يستطيع أن يسير فذهب إلى الامتحان على مقعد متحرك وعاد ينتظر النتيجة.. هل تعرفون النتيجة؟ لقد كان أول فرقته من المنقولين إلى الثقافة.

وفى عام الثقافة لم يكن يستطيع أن ينهض من فراشه إلا إذا حملوه، وبرغم ذلك كان يستذكر حتى حل ميعاد امتحانه، واستطاع بالحقن والمسكنات وتثبيته فى مقعد الامتحان واشراف الطبيب أن يؤديه وينجح، فانتقل للتوجيهية وتقدم لامتحانها من منزله وعاد يستذكر.

حتى اذا انتصف العام كانت مفاصل القدمين والساقين والحوض والرقبة والكتفين قد تآكلت تماما، فاستلقى صبحى على ظهره كتمثال من اللحم والدم والعظم المتصلب..

لم يعد يستطيع أن ينهض ليجلس فى فراشه، لم يعد يستطيع أن يحرك قدميه أو رقبته، إذا أراد أن يأكل وضعوا طعامه على صدره ليتناوله بيده السليمة، إذا أراد أن يستحم حملوه وخلعوا ملابسه ومروا على جسده بأسفنجة مبللة بالماء والكولونيا .

أول مرض من نوعه فى الشرق

وزاره الدكتور أحمد منيسى أستاذ جراحة العظام بكلية الطب وشخص مرضه بأنه التهاب التصاقى بالمفاصل وكانت تسمية جديدة لأول حالة من نوعها فى الشرق، وخامسة حالة بهذا الشكل فى العالم.

ثم زاره الطبيب الألمانى هرمان انجل أخصائى العظام بكلية الطب، والدكتور كروكولو الفرنسى وأخصائى الروماتيزم .

وقال الأطباء الثلاثة لا أمل ! وفقد صبحى الأمل حتى زار مصر الدكتور ويلسون أستاذ الجراحة الامريكى ضمن بعثة طبية. وقال الجراح الشهير حين شاهد صبحى أن المفاصل الطبيعية انتهت، ولم يعد فيها أمل، ولكنه نصح بالسفر لأمريكا لاجراء ست عمليات جراحية تستغرق ثمانية أشهر، يمكن بعدها لصبحى أن يسير فى حجرته بمفاصل صناعية من مادة الفيتاليوم.

وقدر الجراح تكاليف الجراحة بما فيها نفقات السفر والاقامة بثلاثة آلاف من الجنيهات.

وحين سمع صبحى عن الرقم أيقن أن رقدته ستطول.. ستطول إلى أن يوفر ثمن المفتاح الذهبى للخروج من سجنه الكبير..!

هو ووالده

أما والده الذى أنفق كل ما يملك فى سبيل علاجه. فقد وقف عاجزا أمام هذه العقبة. كان يرى ولده مقيدا يتألم فلا يملك فك قيوده...

يقول عزيز الجيار - والده - أن هذه الكارثة علمتنى البكاء فى الليل والنهار...

ولكن صبحى يقول :

- أننى لم أبك حين علمت بالنبأ وانما فكرت، كنت أفهم أن حياتى المستقبلة تتوقف على هذه اللحظة، لحظة مواجهتى للواقع..

كنت أعلم أننى إذا بكيت فقد رسمت لنفسى حياة الأنين والشكاة والتوجع، واذا ابتسمت فقد ولدت من جديد، وفضلت أن أكبت آلامى لأولد من جديد .

ولهذا كله ابتسم.. اغتصب صبحى الجيار ابتسامة لشفتيه وواجه حياته الجديدة ليفكر وينتج ويدرس ويتطلع للأمل..

وعاد يستذكر للتوجيهية ولكنه اصطدم بعجلة الروتين فرفضت التماساته بأن يؤدى امتحانه راقدا على ظهره فى فراش متحرك.

ومرة ثانية لم ييأس، ولم يلعن الدنيا ويفكر فى الانتحار، ولكنه انصرف الى القراءة وممارسة هوايته القديمة.. الرسم.. كان يرسم الجمال.. لم يكن يرسم غير نساء عاريات وكان يكتب قصصا يقول عنها الآن أنها بدائية تافهة وأن كان رأيه فيها أيامها أن ليس فى الامكان أبدع مما كان . ولهذا أرسلها جميعا إلى أكثر من مجلة، ولكن انتاجه أعيد إليه بعودة البريد..

دراسة جدية..

ولم ييأس صبحى حين رفض انتاجه وانما فهم حقيقته، وأيقن أنه يحتاج إلى دراسة جدية، فراسل احدي جامعات انجلترا واستطاع فى عامين أن يدرس منهج القصة القصيرة، ثم التحق بالمراسلة بجامعة London Art College وقد استطاع فى ثلاثة أعوام أن يدرس الرسم الكاريكاتورى، والرسم الصحفى. وأثناء هذه الأعوام الثلاثة كان يدرس الإنجليزية والفرنسية دراسة واعية ويقرأ لتوفيق الحكيم وتيمور والعقاد وطه حسين، وكان الكتاب الذى غير حياته هو «الأيام»..

فقد قال لنفسه بعد قراءته: اذا كان طه حسين برغم ظروفه السيئة، وامكانياته اليسيرة قد صنع من نفسه أحد عباقرة الوجود، فلم لا أكافح؟ ولم لا أبذل الجهد وانتظر الثمرة من يد الله؟

وعاد يبعث بانتاجه للمجلات ثانية، وفى هذه المرة لم يعد له

انتاجه، وانما وصلته ستة خطابات شكر رقيق، وبدأ يكتب ويرسم ويترجم فى ست مجلات.

واستطاعت روايات الاسبوع أن تغريه بالعمل فيها كسكرتير للتحرير فاقتصر عليها وقام بالعبء الأكبر فى المجلة.. ورسم فيها يوما صورة كاريكاتورية للسفير الأمريكى سير جيفرسون كافرى،، فأرسل اليه السفير يطلب أصل الصورة ليحتفظ بها ضمن مجموعته التى جمعها من رسامى العالم، ثم زاره حين علم قصته وتوثقت بينهما صداقة مازال صبحى يحتفظ منها بخطابات السفير اليه.

وظل صبحى يعيش للرسم والقصة حتى احتجبت روايات الاسبوع فأصدر مجلته القصصية المصورة «قصتى» وكتب فيها عن الحب وهو لم يحب، وتحدث عن الزواج وهو لم يتزوج، وتصور السعادة وهو الوحيد الراقد.

كان أبطال قصصه يتحركون يسيرون، يسافرون، وكان هو فى فراشه لا يغادره..

كان رحيما مع أبطال قصصه فوهبهم كل ما حرم منه وكل ما يتوق اليه.

ومكث صبحى يصدر قصتى ويكتب فيها عشرين شهرا ثم أصدر أخيرا كتابا أدبيا للقصة العالمية القصيرة.

تعال معى نسأله

تعال معى نسأله عن حياته وآماله وآلامه ومشروعاته..

سألته عن شعوره عندما يفكر فى حياته ومرضه، وهل أورثه هذا التفكير احساسا بشىء معين ؟

فقال : كنت أشعر بمركب النقص فى بداية مرضى، ولكنى أجاهد الآن كأى رجل صحيح ولا أترك لعقلى فرصة للتفكير فى النقص الجثمانى..

وعدت أسأله عن أمانيه فقال وعيناه تومضان بالأمل :

- أن انتقل من نجاح إلى نجاح، وأكون عضوا منتجا فى المجتمع، وأوفق فى بناء حياة عائلية مستقرة مع زوجة أحبها، وأبناء أعوض فيهم ما حرمت منه.

س : هل كان للحب أثر فى حياتك ؟

- لا شك أن الحب يصبغ الحياة بصبغة وردية متفائلة، وأنا أعيش على التفاؤل.

س : أى أنواع القراءات تفضل ؟

جـ : الكتب الأدبية وعلم النفس، لا لشىء إلا ليكتمل بناء هرم شخصيتى، كما يقول جوته.

س : كم مرة بكيت بعد مرضك ؟

جـ : لا أذكر بالضبط ولكنها مرات معدودات، أذكر منها أن طالبا

ركلنى فى بداية المرض وجــرى، وحــاولت أن ألحق به.. خــذلتنى ساقاى... وعز على نفسى ذلك فبكيت.

ومرة ثانية لا أنساها، كنت أتحدث مع صديق تليفونيا وكان يشكو لى مأساته اليائسة، وحاولت عبثا أن أثنيه عن فكرة الانتحار التى استبدت بعقله، ولكنه أقفل التليفون فجأة لينفذ فكرته، ووجدت نفسى أبكى عجزا وألما وأنا طريح الفراش لا أستطيع انقاذه.

س : وهل نفذ فكرته ؟

جـ : كلا ، فقد سارعت للاتصال به واستطاع توسلى الدامع له أن يثنيه عن تنفيذ فكرته..

س : ما هى أسعد لحظات حياتك ؟

جـ : أنا أشعر بالسعادة بعد كل خطوة موفقة ولو كانت ضئيلة.

س : من هو مثلك الأعلى؟

جـ : على أمين لأنه متفائل ومكافح وناجح... وتلك أهدافى فى الحياة.

---

* مجلة الجيل العدد ١٩٤ - ١٢ سبتمبر ١٩٥٥ تحقيق : أحمد بهجت.

• ويقول صبحى الجيار عن هذا التحقيق:

ذكر أحمد بهجت فى تحقيقه قصة أستاذ الجراحة الأمريكى «ويلسون» الذى زار القاهرة فى طريقه إلى الهند، فتصيدناه فى المطار بواسطة جماعة «الادفنتست» التى استضافته، وجاءوا به إلى منزلى فى الساعة الرابعة صباحا قبل ذهابه إلى المطار وبعد الكشف الدقيق قرر أن حالتى معروفة فى أمريكا... وعلاجها مضمون وهو يحتاج إلى عدة عمليات جراحية لتركيب مفاصل صناعية من مادة الفيتاليوم، تعود بعدها الحركة إلى الأطراف الجامدة. ولما سألناه عن تكاليف العملية والاقامة فى أمريكا، قال رقما يوازى ثلاثة آلاف جنيه مصرى.

لم يكتف أحمد بهجت بهذه التفاصيل التى لا مبرر لها إنما أعقبها بتعليق قال فيه : «وحين سمع صبحى عن الرقم أيقن أن رقدته ستطول.. ستطول إلى أن يوفر ثمن المفتاح الذهبى للخروج من سجنه الكبير..!».

لقد سببت لى هذه السطور مشكلة ألمتنى كثيراً. فقد فوجئت بعد يومين بنبذة منشورة فى جريدة الأخبار، تفيد بأن أهل الخير قد تبرعوا إلى بمبالغ لمساعدتى على العلاج فى الخارج، وجاءنى أحمد بهجت متهللاً وهو يقدم لى بعض الشيكات التى وصلت المجلة!.

شعرت بطعنة نجلاء تجرح كرامتى، فما كنت أتصور أن

استجدى من أهل الخير ثمن علاجى، وأنه لأشرف لى أن أظل طول حياتى حبيس القيود، دون أن أقبل تبرعاً من أحد. وقابلت فرحة أحمد الساذجة بثورة غاضبة، ولم تهدأ أعصابى حتى أعاد الشيكات إلى المجلة ونشرت جريدة الأخبار فى عددها الصادر يوم ١٨ سبتمبر ١٩٥٥، اعتذاراً عن لسانى لأصحاب التبرعات عن عدم قبول مساعدة مادية، لأننى مصمم على الكفاح الفردى القائم على مجهودى.

وانتهت الازمة بعد أن خلفت ندبة فى كرامتى.

* الجزء الثانى «الكفاح» من سيرته الذاتية ربع قرن فى القيود.

الصابر العظيم

منذ ما يقرب من خمسين سنة، كان صبحى الجيار تلميذا فى المدارس الابتدائية.. وأحس ذات يوم وهو عائد من المدرسة أن شيئا من الألم يتسلل إلى مفاصله..

وقاوم الألم شهورا ولكن الألم استطاع أن يطرحه فى فراشه، وحمله أهله إلى كل أطباء مصر يومئذ، واستشاروا كل الأطباء الأجانب الذين يزورون مصر..

كان الأطباء يهزون رؤوسهم ويشيرون إلى السماء.. أن مرضا نادرا غريبا قد أصابه .. تحجرت مفاصله وتيبست ورقد صبحى الجيار على فراشه، ورقد معه الايمان بالله فى نفس الفراش..

قيل له.. لا أمل.. ستظل بقية حياتك مصلوبا فى فراشك.. وقال صبحى الجيار لنفسه بل هناك أمل.. وصنع من فراشه هذا دنيا من المعرفة والأدب والفن والتفاؤل.. ولقد كرمته مصر، ومنحته جائزة الدولة التشجيعية منذ سنوات..

فقد أكمل تعليمه وهو فى فراشه، ودرس اللغة الانجليزية وهو

فراشه، وتعلم الرسم، وأصدر مجلة أدبية فى الخمسينيات وهو فى فراشه.. وكانت أول مرة أراه فيها حين ذهبت إليه ومعى قصة قصيرة كتبتها ليقول رأيه فيها وينشرها أن كانت تستحق.. . وصار واحدا من أساتذتى من يومها.

كان هذا منذ ثلاثين سنة تقريبا.

وربطتنى به صداقة عميقة فالى جوار أدبه وفضله وعقله وعلمه، كان هناك شيء يحيرنى فى شخصيته.

هذه القدرة على الايمان الذى لا حدود له، ولا سدود أمامه، وهذه الشجاعة والتفاؤل والابتسام فى وجه أعتى العواصف الفاجعة.. وفرقتنا الأيام، وشغلنى العمل فى الصحافة، وكان أول موضوع أكتبه فيها عن قصة كفاحه العظيم.. وكان الموضوع جوازا لمرورى إلى عالم الصحافة.. ونجحت الصحافة فى تحريك الرأى العام فبعثته الدولة على نفقتها للعلاج فى الخارج، وأجريت له أكثر من جراحة مؤلمة ولكنه عاد كما ذهب، ولم يدفعه بريق الأمل فى الشفاء وهو بريق لمع وانطفأ بقسوة، إلى اليأس من رحمة الله.

وقال لنفسه : إذا كان الأمل فى الشفاء قد ذهب، فقد بقى الأمل فى الله.

أدرك أن الله تعالى يبتليه فصبر، وحين اشتد به البلاء شكر.. وانتقل من مقام الصابرين إلى مقام الشاكرين على البلاء، وهذا هو

مقام المحبين حقا.

زرته منذ أيام فوجدته كما عرفته.. كيف حالك يا صبحى؟ قال: الحمد لله. كنت أعرف أنه يعانى من متاعب صحية لكنه رفض أن يشكو.. وتأملته وقلت له : ما أعظم حظك يا صبحى.. سألنى : كيف؟.. قلت له يحاسب الناس جميعا وتجوز أنت بغير حساب، إلا تسمع قوله تعالى «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

(*) جريدة الأهرام فى ٣٠ يناير ١٩٨٧ قبل وفاة صبحى الجيار بشهر واحد.

أيوب العصر

اليوم عيد ميلاد صبحى الجيار..

منذ أربعة أيام كنت أزوره فى مرضه الأخير، وانحنيت على فراشه وقلت له هامسا :

– بعد أيام يأتى عيد ميلادك.. أى هدية تحب أن اشتريها لك.. وبعد ذلك تهديها إلى كما كنا نفعل فى الأيام القديمة الطيبة..

كنت أحاول أن أضحكه.. وحاول هو أن يضحك، ولكن آلامه كانت أقوى من أى محاولة لانتزاعه منها، ومن ثم فقد تحول مشروع الضحكة إلى مجرد ابتسامة واهنة لاحت على شفتيه..

فى اليوم التالى بدا واضحا أنه قد تهيأ تماما للسفر إلى العالم الآخر..

كان وجهه يزداد شحوبا، وكان يغمض عينيه ويئن طول الوقت، فاذا فتحها تجاوزت نظرته المكان والحاضرين فيه إلى مكان آخر وحاضرين آخرين. ولقد كان حضور ذلك الجلال غير المرئى عند رأس المحتضر هو أوضح ما فى الصورة.. فى اليوم التالى.. فى الصباح.. أسلم صبحى الجيار وديعته لبارئه سبحانه.. وتحررت روحه أخيرا

من السجن فى خيمة الجسد الترابى، ومضى «أيوب العصر» أخيرا عن عالمنا عن ستين عاما تنقص يومين. ولقد كان صبحى الجيار تلميذا ثم أستاذا فى جامعة الصابرين التى تحمل اسم «أيوب» نبى الله الكريم المبتلى..

لقد مرض صبحى الجيار وهو الثانية عشرة من عمره، وفى سن الرابعة عشرة رقد على ظهره فى الفراش.. من يومها.. وعلى امتدادا ٤٦ عاما وهو راقد على ظهره نفس الرقدة، لا يستطيع أن يتقلب على جنبيه.. ولا يستطيع أن يجلس أو يلتفت أو يثنى رقبته. لقد صلبه المرض على ظهره.. ودقه بمسامير خفية فى رقدة ثابتة لا تتغير. وبدأت رحلته مع الصبر.. والايمان.. والأمل.

لم يدركه اليأس.. وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لم يستسلم للأحزان ولا فقد الأمل فى رحمة الله.. إنما اشتغل وأنتج وأبدع وهو فى رقدته، أصدر مجلة أدبية هى قصتى، وترجم وألف وأذاع وملأ الدنيا بهذا السعى الجميل نحو معرفة الحقيقة..

ولقد كرمته الدولة بجائزتها فى التراجم، وأحبه الناس وكان له تلاميذ ومريدون كنت واحدا منهم..

ولقد استراح صبحى الجيار أخيرا بعودته إلى الله.. وإنى لأتصوره وهو يستطيع الآن أن يمشىء على قدميه فى الجنة،

وأتصوره وهو يجرى وسط حدائقها التى بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

لا نزكى على الله أحدا، وانما نقول ما قاله الحق «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

(*) جريدة الأهرام فى ٢٧ فبراير ١٩٨٧ وبعد وفاة صبحى الجيار بيومين.



زيارة السيدة جيهان السادات له فى بيته بمناسبة فوزه بجائزة الدولة



مع رفيقة حياته نعمات عيس

نعمات المرأة الذهبية

أسير الفراش

الذى ألف وترجم ورسم.. واخترع.. ورحل وهو يطالب الآخرين بالأمل !

بين تحديد موعد اللقاء.. واللقاء نفسه سبقنا القدر إلى المرحوم صبحى الجيار! فلقد اتصلت مجلة الشباب بالكاتب الكبير أسير الفراش تطلب زيارته لتجرى معه حوارا تقدم للشباب من خلاله مثلا يحتذى فى الإرادة والصمود والإبداع الأدبى والاقبال على الحياة رغم قيود المرض.. وحدد الكاتب الكبير الموعد بعد ٥ أيام.. وقبل أن تمر هذه الأيام الخمسة كان نبأ رحيله يتصدر صفحات الصحف.. ليضع نهاية لقصة معاناته وصبره وبدلا من اللقاء معه.. التقت مجلة الشباب بسكرتيرته.. وأصدقائه.. وتلاميذه ليرووا عنه.. وعن حياته.. وأدبه.. وفنه.. واختراعاته.. وهو طريح الفراش طوال خمسة وأربعين عاما.

وفى مسكنه بحى بمصر القديمة - وفى حجرته الخالية.. حيث تنتشر كتبه ورسوماته وتطل شهادة وسام الجمهورية فى العلوم

والفنون من أحد جدرانها على سريره الخالى .. بدأ اللقاء الأول مع السيدة نعمات حامد عيسى.. المرأة التى لازمته ٣٥ عاما لم تفارقه فيها، وكانت خلالها سكرتيرته وتلميذته وهمزة الوصل بينه وبين العالم الخارجي.

وتحكى نعمات عن رحلة حياة الكاتب الراحل فتقول أنه ولد سنة ١٩٢٧ لأب مقاول ثرى، وأنه خلال طفولته كان متفوقا فى دراسته.. ويهوى الرسم، وأنه خلال دراسته بالمدرسة الابراهيمية الثانوية شكا لأول مرة من آلام فى كعب قدمه.. وبدأ رحلة العلاج التى كشفت بعد عامين عنه أنه قد أصيب بالتهاب مفصلى التصاقى.. وأن مفاصله تتآكل تدريجيا ليصبح جسمه خلال فترة قصيرة جسدا بلا مفاصل ولا يستطيع الانثناء .. وبالتالى الحركة، وفى سنة ١٩٤٢ كانت مفاصله قد تآكلت تماما واستسلم لسجن الفراش بلا حركة.. لكن المرض الرهيب قد سها عن مفاصل رسغيه وأصابع يديه.. فأصبح يستطيع أن يمسك القلم ليكتب أو الفرشاة ليرسم وهو طريح الفراش، وبهذا القلم وهذه الفرشاة استطاع صبحى الجيار أن يخرق جدار السجن الذى فرض عليه.. وأن يكتب ويرسم ويؤلف القصص والروايات وأن يصبح كاتب معروفا له قراؤه ومحبوه.. وتلاميذه.

فبدأ يبحث عن مواهبه لاستغلالها .. فرسم اللوحات الفنية بالزيت

والفحم.. ورسم الكاريكاتير وراسل معهد «كلية لندن للفن» ليتعلم فن الكاريكاتير مقابل رسوم شهرية لا تزيد على جنيه استرلينى فكان يرسل إليه رسوماته ثم يعيدها إليه المعهد بعد تصحيحها مع ارسال تمرينات لتنفيذها واستمر على ذلك سنة كاملة.

وكان يجيد تلوين الصور الفوتوغرافية بنوع خاص من الألوان المائية.. وتلوين التماثيل والفازات بالألوان الزيتية.. ويتقن صناعة «البومات الصور» بأحجام مختلفة وبأشكال مبتكرة.

ثم مارس كتابة القصص القصيرة مستوحيا أفكارها من الأصدقاء وحكاياتهم.. فكتب أول قصة فى حياته سنة ١٩٤٥.

* وفى مايو سنة ١٩٤٦ تقدم للعمل فى مجلة الصباح كرسام كاريكاتير.. وابتداء من سنة ١٩٥١ كانت بداية الانطلاقة الحقيقية لعمله كمحترف: فبدأ يرسم مجموعة من الفكاهات المصورة وعلى نطاق واسع فى مجلة البعكوكة مقابل ٢٥ قرشا للصورة، واستمر كذلك حتى سنة ١٩٥٢ عندما تعرف على مجلة أخرى هى روايات الاسبوع للأستاذ توفيق الشمالى، ونشر فيها أول قصة له بعنوان «من أول نظرة» إلى جانب عمله فيها سكرتيرا للتحرير.. شجعه ذلك فيما بعد على إصدار مجلته التى يعرفها أدباء مصر وهى «قصتى» فى يناير سنة ١٩٥٤ وكان يقوم بكل ما تتطلبه من أعمال كرئيس لتحريرها ومصححها والمشرف عليها.. وفى هذه المجلة نشرت

القصص الأولى لعدد كبير مّن الأدباء الذين أصبحوا فيما بعد كتابا معروفين، ومن هذه المواهب التى احضتنها وصدق فيه حدسه الكاتب والأديب أحمد بهجت وغالى شكرى وصبرى موسى ومحمد تبارك وعبد العال الحمامصى.. ومنهم أيضا الدكتور أحمد فتحى سرور الذى لم يحترف الكتابة فيما بعد، فكانت مجلته بمثابة الدرجة الأولى فى سلم حياتهم الأدبية ومن خلالها انتقلوا إلى المجلات والصحف الكبرى وقد استمرت هذه المجلة فى الصدور لمدة ٣ سنوات توقفت بعدها لأسباب مالية.. كان خلالها حريصا على اقامة ندوات أسبوعية لتلاميذه.. وبعد توقف مجلته بعدة شهور أغراه أحد أصدقائه بالاشتراك فى مسابقة نادى القصة للقصية القصيرة عن عام ١٩٥٧ فدخل المسابقة بأربع قصص فازت اثنتان بالمركزين السابع والثامن ثم دخل المسابقة مرة أخرى فى مايو سنة ١٩٥٨ ففازت قصتان له بالجائزة الأولى الشرفية والخامسة.. لفتت هذه الجوائز أنظار الصحافة والكتاب اليه فكتبوا عنه كثيرا وبدأ انتاجه.. يجد طريقه للنشر بصورة أكبر فعمل رساما للكاريكاتير فى مجلة «الجيل الجديد» و«أخبار المجتمع» و«القوات المسلحة» وبدأ ينشر قصصه فى عدد كبير من المجلات والصحف.. ولم يقتصر نشاطه على مجالى الأدب والرسم بل امتد أيضا إلى الاذاعة فشارك فى برامج «مجلة الأسرة».. «دنيا الفنون».. «ألوان» متخصصا فى الرد على مشاكل

المستمعين ثم كتب تمثيليات إذاعية بالاضافة إلى سهرات للتليفزيون «شكرا يا أبى».. «سيداتى العزيزات.. ودمتم»..

وفى سنة ١٩٥٨ وافقت وزارة الثقافة على سفره إلى لندن للعلاج على نفقة الدولة لاجراء جراحة لتركيب مفاصل صناعية له ولكن العملية فشلت لعدم تمكن عظامه من حمل المفصل، ولكنه لم ييأس.. بل عاد وواصل كفاحه وانتاجه على نطاق واسع لتبدأ مرحلة الحصاد..

الحصاد !

* وعن هذه المرحلة واختراعاته تستطرد نعمات قائلة بدأت بعد عودته من لندن حيث تقدم لإدارة التفرغ بوزارة الثقافة فوافقت فى عام ١٩٦٥ على تفرغه لمدة عامين متتالين يكتب خلالهما سيرته الذاتية بعنوان «ربع قرن فى القيود» فى ثلاثة مجلدات وكتبها فعلا ونال عنها جائزة الدولة التشجيعية.

وكان مؤمنا بالاكتفاء الذاتى ومبدأ التعويض فابتكر أدوات تيسر له حركاته وتعوضه عن عجزه الجسدى.. وتعوضه عن قيوده .. فصمم أولا آلة رافعة خاصة تتناسب مع ظروفه لكى تحمله بسهولة وبأمان كامل وتتجه به فى أى اتجاه لوضعه على الكرسى المتحرك الذى ينقله إلى الحمام، ونفذ أحد المصانع تصميمه واستخدم هذا

الونش فى تحركاته داخل سكنه. كما صمم سريرا له قاعدة متحركة لكى تغير من وضع رقدته الأفقية لتنشيط الدورة الدموية الراكدة وليتيح لبصره مجالا أوسع بعد ما كان نظره معلقا بسقف الحجرة فقط ، بل لقد اخترع أيضا علبة سحرية بها جهاز للانذار لوضع مقتنياته ونقوده فيها، فإذا حاول أحد فتحها تعطى صوت سرينه ليحمى نفسه من محاولة السرقة وهو يعيش وحيدا أسير الفراش وكذلك دولابه الخاص.

وصمم «تابلوه» له ١٨ زرا.. للإضاءة.. وفتح وغلق التليفزيون والكاسيت وتحريك كل شىء بالحجرة بغير أن يحتاج إلى مساعدة أحد.. وابتكر ذراعا أنيقة لسماعة التليفون يستطيع بها رفع السماعة بغير مساعدة الآخرين.. ومرآة لها ذراع طويلة يرى بها أى مكان خلفه أو بجواره مما تعوقه عنه رقبته العاجزة عن التلفت.. وابتكر كذلك ذراعا خشبية خفيفة لفرشاة الأسنان يمكن تغيير الفرشاة بها كلما استهلكت.. وعصا طويلة ذات طرف معوج ليحك به ما لا تصل إليه يداه من أجزاء جسمه.. لكى لا يحتاج إلى من يساعده إذا احتاج إلى أن يهرش!

وصمم لوحة خفيفة من «الابلكاج» كان يمسكها بيده اليسرى ويضع فوقها الورق ضاغطا عليه بالابهام ثم يكتب بيده اليمنى.

* وعن برنامج حياته اليومية.. تقول أمينة سره المخلصة طوال

٣٥ عاما.. كان يومه يبدأ فى الساعة الثامنة صباحا لأحلق له ذقنه وأحرك له الونش ليحمله إلى الكرسى المتحرك للذهاب إلى الحمام.. ثم يعود إلى سريره ويتناول افطاره.. ويستقبل بعدها أصدقاءه وتلاميذه والمرضى الذى كان يبعث فيهم دائما الأمل والتفاؤل.. ومن الساعة الخامسة بعد الظهر يقرأ.. وكان يكتب قصصه بعد الساعة العاشرة مساء وإلى الرابعة صباحا وكان خلالها يرد على التليفون ولا يستقبل أحدا وانما يسمع الموسيقى الهادئة فقط .. وقبل وفاته أخرج شريط فيديو بعنوان «يوم فى حياتى» أعد له السيناريو وتولى إخراجه واختيار الموسيقى التصويرية له كأنه مخرج محترف.

وعن تأثير الكاتب الراحل أسطورة الأمل.. صبحى الجيار فى حياتها تقول سكرتيرته الوفية. لقد كان كل شىء فى حياتى.. علمنى الكثير.. علمنى الكتابة على الآلة الكتابة حتى إذا كلت يداه من حمل القلم كتبت له.. علمنى التفصيل والحياكة و«التريكو» فكان يصمم الازياء وأنا أنفذها.. علمنى تلوين الصور الفوتوغرافية والفازات.. والتماثيل.. شاركته معظم هواياته حتى أعمال الكهرباء والنجارة والميكانيكا والطلاء وغيرها.. حتى أصبحت أقوم تحت ارشاده ببعض الأعمال التى يعجز حركيا عن ادائها فنفذت أفكاره فى عمل مصيدة العصافير.. وبرج الحمام، وبعض ديكورات المنزل !

وكان دقيقا للغاية منظما .. يضع صوره التى تسجل مراحل

عمره المختلفة فى البومات من صنعه.. بينما يحتفظ بشهاداته الدراسية فى ملف خاص.. وبجانبه باستمرار كانت كراسة الأفكار وهى عبارة عن كشكول جامع لكل ما يعن له من أفكار سريعة.. لديه صندوق الذكريات ويحتفظ فيه برسائل هامة، وسجل خاص لتدوين تواريخ الميلاد والزواج والوفاة لأفراد الأسرة جميعا منذ الجد الأكبر، وكذلك احتفظ بانتاجه فى الرسم..

– وكذلك الأصول الخطية لجميع مؤلفاته وترجماته.. بالاضافة إلى أرشيف ضخم يحوى عشرة ملفات تضم كل أوراقه الرسمية والمالية والإدارية والفواتير والايصالات والروشتات الطبية.. يوجد كذلك دولاب خاص بالمطبوعات الشخصية قسم يحتوى على نسخ من كتبه المؤلفة والمترجمة والمجلات التى أصدرها.. وقسم آخر.. يضم الجرائد والمجلات التى نشر فيها انتاجه.. وقسم ثالث يحوى الصحف والمجلات التى تضم التحقيقات المصورة التى نشرت عنه.. أما أحاديثه ومناقشاته الإذاعية وبعض تمثيلياته وقصصه المذاعة فهى محفوظة ومسجلة على أشرطة.. ومن شدة حبه للكتب أفرد لها خمسة دواليب وكان حريصا على تجليدها مخصصا لونا لكل نوع فيها.. فالكتب الأدبية والروائية أغلفتها خضراء.. والكتب العلمية بنية اللون.. أما كتبه الخاصة التى تضم مؤلفاته فهى تتصدر الدولاب الرئيسى فى غرفته فى أغلفة حمراء مع الموسوعات والمعاجم

والقواميس والكتب السماوية حتى تكون فى متناول يده.. وفى آخر أيامه كان يعد لإصدار المجلد الرابع من كتاب «ربع قرن فى القيود» باسم ما بعد الحصاد أو الجائزة، ولكن لم يمهله القدر ليرحل عن عالمنا وآخر أمنياته أن تنشط وتعمل وسائل الاعلام على ايجاد برامج خاصة للمعوقين.. لأن لهم دورا فى المجتمع لا يقل عن دور الآخرين، لكى ينتج كل فى حدود قدراته..

وتلتقى مجلة الشباب بالكاتب الكبير الأستاذ أحمد بهجت ليحدثنا عن صبحى الجيار فيقول عنه أنه أول أستاذ من أستاذته فى عالم الكتابة.. فهو أول من اكتشف بداخله موهبة القدرة على الكتابة.. وشجعه واحتضنه هو وغيره من الشباب من أبناء جيله متيحا لهم الفرصة فى وقت كانت الفرص فيه نادرة فنجح فى ادخالهم الصحافة، فلولا مبادرته وانفاقه على مجلته «قصتى» لظلوا خارج نطاق الصحافة، ولم يكتف بذلك بل كان وراء نجاح كل أصدقائه فهو دائم التشجيع لهم.. والتفاؤل والابتسامة.. وكثيرا ما اتجهت إليه لاستمد منه جرعات من التفاؤل والأمل.. وأعظم ما فيه كان صبره على أسر الفراش، وأخلاقه فقد كان كريما لا يغضب ولا ينزعج من قلة الوفاء لدى البعض لأنه يعلم أنها ضعف بشرى.. وظل على وفائه رغم قلة وفاء بعض أصدقائه.. وقد تحولت العلاقة بينى وبينه من علاقة نشر الى صداقة حميمة حتى وفاته.

وعن صبحى الجيار كأديب يقول الأستاذ أحمد بهجت أنه أثرى جمال القصة القصيرة والترجمة وأن كان مرضه لم يمكنه من القيام بالدعاية الكافية لأدبه.. ويعد كتابه ربع قرن فى القيود أعظم انجازاته ويقترب فى قيمته، من كتاب الأيام لطه حسين.

ومع صحفى آخر من تلاميذه كان اللقاء مع الأستاذ محمد عبد الحميد مدير تحرير مجلة آخر ساعة.. يقول عنه أنه كان مثلا أعلى فى الاصرار.. والأمل.. وعدم اليأس.. وأنه هزم المرض بابتسامة وكبرياء يسانده الايمان بالله، وكان يواسى الآخرين وهو فى أشد الحاجة إلى المواساة.. وقد حول مأساته بإرادة فولاذية إلى عبقرية تدرس للشباب، فإذا كان هناك صبر أيوب ففى عصرنا.. صبر صبحى الجيار.. شيخ الصابرين، أما صديقه ورفيق رحلته الأستاذ عدلى فرج المحامى فيقول عنه إنه كان نعم الأخ والصديق بالنسبة له وأنه خلق من اليأس بأسا.. ومن الضعف قوة.. وأن نعمات سكرتيرته كانت يديه وعينيه وكان لا يثق فى أحد سواها.

---

* مجلة الشباب ابريل ١٩٨٧

نعمات عيسى أعظم شخصية
فى حياة الأديب صبحى الجيار

بقلم : مصطفى عبد الوهاب

يقول المثل العربى الشائع (وراء كل عظيم امرأة) ثم يتوقف المثل البليغ عند كلمة امرأة دون أن يصفها.. فقد يكون وجودها نقمة مثل كثيرات من زوجات العباقرة والفنانين والمفكرين، وربما كانت زوجة الفيلسوف سقراط خير من يمثلهن بما اتسمت به من أحاسيس حقودة ونزعات شريرة على مدى التاريخ.. وقد تكون المرأة نعمة كبيرة فى حياة الكاتب ومن خير نماذج هذا النوع السيدة الفاضلة (نعمات حامد عيسى) أعظم شخصية نسائية فى حياة الفنان صبحى الجيار ورفيقة كفاحه خلال اربعين عاما، والتى خلدها لأهمية وخطورة دورها فى حياته الإنسانية والأدبية مرتين.. مرة عندما أفرد لها فصلا كاملا باسمها (هدية من السماء) فى كتابه الشهير الرائع عن قصة حياته الحائز على جائز الدولة فى التراجم الأدبية (ربع قرن فى القيود).

ومرة عندما صور بعضا من جهودها ونشاطها اليومى معه فى الفيلم السينمائى (يوم فى حياة صبحى الجيار) من إعداده

وإخراجه.. موضحا أسلوبها ووسائلها فى تلبية احتياجاته فى بيته كسكرتيرة والتى كان من المستحيل أن نتخيل كيف تسير الأمور بالنسبة له كإنسان وفنان دون وجودها الحيوى البارز المؤثر الذى يشكل خطا موازيا تماما لحركة جسده الخارجية فى كل ما كان يريد تحقيقه.

يقول الأستاذ صبحى الجيار عنها فى الجزء الثانى من كتابه (الكفاح - صفحة ٥٤):

وسط هذه الدياجير الحالكة والآلام المتزايدة والمشروعات الفاشلة.. ترفقت بى رحمة السماء فأهدتنى أروع منحة يحتاج إليها إنسان فى مثل ظروفى .. منحة الهية لم أكن أحلم بها رغم طبيعتى المتفائلة.. أنها سكرتيرتى النشيطة وممرضتى الحنون نعمات.. فى ٤ مارس سنة ١٩٤٨ تعرفت عليها وكنت قد جاوزت سن الرشد بخمسة أيام وكانت هى فى مثل سنى وسارت بجانبى فى رحلة حياتى الشاقة حتى الآن.. بددت كثيرا من ظلمات يأسى وعوضت كثيرا من قيودى وعجزى، واعانتنى على الكفاح والتفرغ لمعارك الحياة بعد أن امنت بعض مخاوفى من المستقبل.. ووفرت لى سبل الراحة والطمأنينة ولم تتخل عنى يوما واحدا، وتفانت فى خدمتى باخلاص وتضحية ويقظة ضمير وتقدير للمسئولية الجسيمة فى تولى جميع شئونى.. لو أنى أملك خاتم سليمان وأتيح لى أن أضع مواصفات الانسانة التى تقوم على خدمتى وتشاركنى حياتى الخاصة القاسية..

لو انى أملك حرية الاختيار لما اخترت خيرا من نعمات.. ثمة اعتقاد راسخ يؤكد لى أن الله لم يخلق نعمات إلا من أجلى»*.

إن فيلم (يوم فى حياة صبحى الجيار) يترجم هذه الكلمات التى تزخر بمعانى التقدير والاحترام والاعزاز للسيدة الفاضلة نعمات الى صور حية ومعبرة فى مشاهد ولمحات عديدة منذ اللحظة التى يفتح فيها الأديب عينيه على ضياء الصباح لتبدأ معه رحلته اليومية دقيقة بدقيقة حتى نومه.. دخوله الحمام بواسطة الونش المبتكر لهذه المهمة وتجهيز الجرائد وإعداد الفطور وحلاقة ذقنه واستعداده لاستقبال ضيوفه.. ومراجعتها لخطاباته، ونسخها لإبداعاته على الآلة الكاتبة وتمريضه، وتهيئة الجو لعمله وترتيب كتبه وإعداد شرائط التسجيل اللازمة سواء كان الموسيقى منها أو السينمائى.. وتكليفها بمأموريات خارجية مع الجهات العديدة وتبادل الأعمال بينه وبينهم - لقد حاول الفيلم أن يضيىء صفحة واحدة من يوم واحد فى حياة الأديب الكبير صبحى الجيار برفقة السيدة العظيمة نعمات عيسى.. ولقد كان الهاما الهيا له بتسجيل هذا الفيلم السينمائى المصور قبل وفاته والذى يعتبر مادة فنية لعمل أفلام أخرى جيدة من السينما التسجيلية الرائدة.

مصطفى عبد الوهاب

---

* جريدة العمال ١٣ ابريل ١٩٨٧.

كلمة رفيقة عمره وكفاحه

* أربعون عاما لم يغب صبحى الجيار لحظة واحدة عن عينى.. فقد كان كل ما لى من أقارب وما تبقى لى من أهل وما يحيط بى من أصدقاء.. كان الأب الذى يرعانى وأرعاه والأخ الذى يحترمنى وأقدره والصديق الذى يخلص لمصالحى وافى بحاجاته.

وفوق هذا وقبله كان الأستاذ الذى علمنى كل شىء.. الصلاة والقراءة والكتابة والنسخ على الآلة الكاتبة والتصوير ومراجعة أعماله وإدارة شئونه. بالاضافة إلى توجيهاته لى واتصالاتى مع الأجهزة الأدبية والفنية التى كان عضوا بها والشخصيات والمؤسسات الاعلامية التى كان يتعامل معها.

حتى أعمال شئون المنزل علمها لى ابتداء من النجارة والسباكة والكهرباء وشغل التريكو إلى أعمال الطهى وشئون المطبخ.

لقد تعذب صبحى الجيار كثيرا وتألم كثيرا وصبر كثيرا.. وكان ايمانه بالله عظيما لا حدود له .. لا يدانيه إلا رضاؤه بقدره دون سخط أو تذمر، بل كان عمله المثمر البناء على المستوى الشخصى

والأدبى هو السبيل الوحيد للحياة واحتمال الألم والانتصار على كل العقبات.

لقد ترك فى حياتى فراغا هائلا لن يملأه إلا أعماله وآثاره الأدبية وجميع قرائه وحب الآخرين وتقديرهم واعزازهم له فى كل ذكرى.

ندعو الله أن يعوضه عن عذابه نعيما وعن آلامه راحة وعن صبره خيرا.. أنه نعم المولى ونعم السميع المجيب.

نعمات حامد عيسى

صبحى الجيار ونهاية المطاف

دراسة نقدية فى مجموعته الأخيرة

بقلم الناقد : د. مدحت الجيار

(١)

الكاتب والمترجم صبحى الجيار، كان رغم كل الظروف الصعبة التى مرّ بها ولازمته حتى نهاية عمره. واحداً من الذين عشقوا الأدب ووهبوا عمرهم من أجله. ابتداء من المشاركة فى تحرير (مجلة) وانتهاء بترجماته عن الأدب الناطق بالانجليزية.

ولا يقف الأمر عند هذا المجهود المضنى على المستويين الجسدى والذهنى، بل تعداه إلى المستوى المعنوى الروحى. إذ كان الصبر ملازما لخفة الظل، والقدرة على السخرية من كل نقص أو عيب إنسانى.

ولقد وضح ذلك كله فى انتاجه القصصى بخاصة. فله أربع مجموعات والخامسة مختارات من الأربع السابقات (يستر عرضك ١٨٦١) (سوق العبيد ١٩٦٣) (العيون الزرق ١٩٦٥)، (على الأرض السلام ١٩٧٢). والخامسة (نهاية المطاف) هى مختارات جيدة من قصصه القصيرة المتنوعة. إحياء للذكرى الأولى لوفاته فى ١٩٨٧/٢/٢٥ وقد أعدها مصطفى عبد الوهاب وطبعتها مؤسسة أخبار اليوم عام ١٩٨٩.

ولذلك فتناول المجموعة الخامسة - على المستوى النقدى - يعطى فرصة للتجول فى أعمال صبحى الجيار القصصية. إذ يعرض الجيار لعوالم متعددة من الصعيد، إلى القرى البحرية، ومن مصر كلها فى مؤسساتها وأحيائها الشعبية، إلى الخارج، كما يتعرض لأحوال السلم والحرب على السواء.

فمنذ العنوان ترانا داخل نفوس البشر والشخصيات الفنية التى يختارها الكاتب، فالعناوين دالة على نوع الفكر والسلوك داخل نفوس شخصياته المختارة والحاملة لأفكاره وتصوراته عن العالم. إذ نرى (يستر عرضك)، (كروديا)، (أصيلة يا أم فلفل)، (لست وحيدا)، (العيون الزرق)، (حبل الغسيل)، (البرهان)، (الراهبة)، (سوق العبيد)، (الكرباج)، (المقطوع)، (امرأة بلا قلب) ،(على الأرض السلام)، (نهاية المطاف)، (آخر من يعلم) والعناوين الدالة تدفعنا إلى التهويم حول فكرة النص، وتعد اشارة صريحة لشىء مهم فى القصة. مما يجعلك تتذكر بسهولة ماذا يريد الكاتب، أو موضوع القصة،، وبعض العناوين فى هذه المجموعة يعد بطلاً لقصصه فقصة (حبل الغسيل) مثلا تدور كلها حول رجل ينظر إلى حبل غسيل وما عليه من ملابس ليعرف دلالة كل قطعة منشورة عليه حتى تنتهى تجربته ويتوقف عن إصدار القرار. كذلك قصة كروديا والبرهان والكرباج وغيرها.

الأمر الذى يجعل للعناوين عند صبحى الجيار دلالة ووظيفة فى بناء السرد. ويدل على أنه يكتب القصة أولاً ثم يضع عنوان دالاً عليها. وكلها عناوين ذات مغزى، وليس مجرد عناوين لقصص قصيرة. يضاف للعنوان حسن اختيار القضية التى يعالجها الكاتب. والشخصيات المختارة بعناية والحدث الذى تختبر فيه، والمشكلات التى تواجهها والحلول والمصائر التى تصل إليها.

والكاتب الراوى هو البطل دائماً. فهو يسرد لنا بطرق شتى تعنى أن الراوى يقف على مسافة من الحكاية، لكنه هو السارد الذى يعيد للمتلقى صناعة الحدث والحركة والمصير. لذلك نرى الجيار وهو يبدأ سرده برسم صورة مبدئية للمشهد أو وهو يرسم مدخلاً ممهداً لما سيحدث بعد عدة سطور من سرده المتنوع. فهو يصف (وقف القطار يلهث على محطة بنى مزار وانتفضت أشق طريقى بصعوبة) ص ٦ لنرى فى جملة الراوى الواصف، ثم فى الجملة الثانية نرى الراوى البطل. وهكذا فى كل قصصه، بل نراه فى بعض هذه القصص يبدأ بضمير (الأنا) مباشرة دون تمهيد لذلك، كما فى قصة (سوق العبيد) حيث يقول : (دخلت مكتب صديقى) ص ٩٠، بينما نراه راويا عالماً بكل التفاصيل فى قصص آخر ثم نجده بعد عدة أسطر بطلاً راوياً يقول مثلاً فى قصة (البرهان): (عندما دق جرس الباب. كانت منيرة تحرك ابر التريكو بين أصابعها فى عصبية وضيق) ص ٥٧ ثم نرى

السارد يقف أمام المشهد من قريب دائماً لأنه جزء من هذه الأحداث والمسرودات، لنصل فى النهاية إلى حل يرضى السارد المنتقم من الزوجة المعذبة لزوجها.

وهكذا نراه من عناوين دالة، إلى راوٍ مشارك فى الحدث عليم بكل التفاصيل . يقترب من المشهد، ويراه فى تحقق مستمر من البداية حتى النهاية. وقد انعكس ذلك على قصص الجيار بأن جعل القصة الواحدة، وكأنها كتبت فى نفس واحد، أو فى جلسة واحدة. مما أعطاها تماسكاً واضحاً، وتسلسلاً فنياً ومنطقياً فى ترتيب المواقف والمشاهد واختيار المصائر. لأن المصدر واحد.

ويختار الجيار موضوعات غاية فى الرهافة والموضوعية لأنه يعالج مشكلات جوهرية فى النفس البشرية، وفى المجتمع المصرى فى وقت واحد. فنرى الطبيب المبتدئ فى صعيد مصر، يستر على عرض الفتاة بشرط أن تتزوج ممن فعل هذه الفعلة ص ١٣، (يستر عرضك). ونرى الأب مسطح الشخصية المذل والمهان من الجميع يضرب ابنه بقسوة حين يراه مهاناً مع أصدقائه حتى لا يصبح نسخة من أبيه الفقير المذل (فى قصة كروديا) ص ١٩.

ونرى الزوج المتلاف حين يتزوج بأخرى ويعود بعد انتهاء التجربة فيجد الزوجة الأولى أم فلفل فى انتظاره برغم عيوبه ليثبت أصالة المرأة أم الاولاد ص ٢٨، ٢٩ (أصيلة يا أم فلفل).

ونرى العيون الزرق وهى تحتضن المريض ثم تغدر به ليعود مرة أخرى للحبيبة الأولى فى وطنه فيراها قد تزوجت بسبب غيرتها ص ٤٧، ص ٤٨. كذلك فى (الراهبة) نحن أمام امرأة ترفض الزواج ممن يصغرها رغم احتياجها له ص ٨٠ وهكذا نراه حتى نهاية هذه المجموعة المختارة من القصص ويلفت النظر أنه فى قصة (على الأرض السلام) يحاول المشاركة فى كتابة الخيال العلمى، لكنه يحولها إلى فنتازيا تعد عقاباً لأهل الأرض وللعاصين من أهل المريخ ص ١٣٢. ونراه يتوسل أحيانا بقصص تقوم على كتابة الرسالة (سوق العبيد) أو المذكرات (آخر من يعلم) لنرى فى الأولى شعور العانس وفى الثانية مشاعر المتصابية أمام عشيق صغير.

وهكذا نرى صبحى الجيار وهو يختار موضوعات ونهايات جوهرية دالة - تعالج مشكلات الإنسان الفرد، وتفضح بعض المشكلات الأسرية والاجتماعية - وإن كان الكاتب - أحيانا - يضع حلولاً أخلاقية مثالية، لأنه يود أن يعطى العظة والعبرة من هذا السرد لمن يتلقى سرده. وهذه المبالغة واضحة فى القصص التى تدور حول المشكلات الأسرية بالذات مثل الغيرة،، والشك والزواج الثانى، الخيانة.. الخ.

ويرسم الجيار شخصياته رسماً واضحاً بأن يبدأ منذ البداية بالاعلان عن هوية المتحدث، أو الشخصية المتحدث عنها. فيقر

الوظيفة أو المهنة أو الانتماء الطبقى منذ البداية. ويختار فى شخصياته شرائح مميزة تحمل فكرته من البداية إلى النهاية. ولكننا نحس أن الطبيب له منزلة خاصة لدى صبحى الجيار، كذلك نراه يسهب فى شخصية الطيار المعاق،، ويجعل هذه القصة أطول قصصه (العيون الزرق) لتعاطفه الشديد مع مهنة الطبيب من ناحية، ولأنه يتعاطف مع نفسه من الناحية الأخرى. إذ كان مرضه يضاعف حبسه فى منزل ويجعل للطبيب والعلاج المنزلة الأولى فى حياته. ومن هنا كان لهما المقام الأول فى قصصه. وإن كان ينوع بين طبيب يعيش فى بنى مزار بمستشفى عام، وطبيب فى مستشفى الأمراض العصبية، وطبيب يعالج من شلل خارج مصر. الأمر الذى يعكس حياته الخاصة فى خفاء داخل هذه المجموعات. وشخصياته دائما جادة. لم نر شخصية مستهترة كلها تمارس دورها فى الحياة بجدية وتلتزم بسلوكها من البداية حتى النهاية. ومن هنا فهو يحدد مصائر الشخصيات فى نهاية القصص بطرق أخلاقية تؤدى إلى مجازاة المسيئ والانتقام من الظالم، ومكافأة الأخيار، ونزع الشر من سبيله.

لهذا كانت كل الحلول حلولا أخلاقية وإن كانت واقعية إلا أن هذه النهايات كانت اختياراً ولم تكن مجرد نهاية. ومن معرفة النهاية نعلم موقف الكاتب من شخصياته. فعلى سبيل المثال فى قصة (البرهان) يعاقب الزوجة الشكاكة، التى دبرت مع صديقتها خطة الإيقاع

بالزوج فى مقابلات خارج نطاق أسرته وعمله، نراه فى النهاية وقد زوج المرأة الوسيط للزوج، انتقاماً من ظلمها ومضايقاتها له. وهذا دليل واضح على اختيار النهاية التى تحمل درساً أخلاقياً وهكذا فى كل قصصه - بل كما أشرنا من قبل - يبالغ الكاتب أحيانا فى هذا المصير الأخلاقى كما حدث فى قصة (العيون الزرق) أو (على الأرض السلام).

وليس أدل على ذلك من نهاية القصة الأخيرة التى تعد تصعيداً لهذه النهايات إذ نرى الشخصية وقد انفجرت فى النهاية بكل معنى الكلمة يقول :

(وتوقفت الكلمات فى حلقها، عندما ترامى إلى أذنها صوت سماعته تسد الطريق فى وجهها دون تحية أو وداع. تهالكت على أقرب كرسى، وانخرطت فى نحيب ذليل. وتراءى لها شبح زوجها يقهقه فى شماتة، فقفزت صارخة، وفتحت باب شقتها وخرجت تعدو باكية مولولة..) ص ١٥٨.

وهذا أمر عقاب حدث فى هذه القصص. لكن الثواب والعقاب فى هذه القصص يعنى أن رؤية الكاتب للعالم تسير فى اتجاه واحد. هو ما أكده أرسطو من قبل معاقبة الجانى، والصفح عن المستغفر، ولعل الشدة التى نراها فى العقاب بالذات تدل على بغض الكاتب لهذه المثالب الإنسانية لذلك هو لا يصلح من أمر الشخصية، وانما يعاقبها

بما يجعلها متألمة ويترك الشخصيات الأخرى تلتذ بمصائرها الايجابية.

وواضح أن عزلة الجيار بسبب مرضه جعلت التجارب الحياتية بالنسبة له، مجرد أفكار، ومبادئ،، تتمحور حول الخير والشر والثواب والعقاب بلون واحد عند النهاية. ولذلك فهو حين يختار الشخصية ويختار لها الحدث الملائم للاختبار يعرف مسبقا النهاية التى تصل إليها فى نهاية القصة. ومن ثم نوع بين المصائر،، وإن كانت الشخصيات لم تتغير من البداية حتى النهاية.

(٢)

يفرق الكاتب بين السرد والحوار، فيحافظ على لغة السرد، التى تمثل لغة المؤلف الضمنى، ولغة الراوى، ويجعل الحوار لغة الشخصية. وقرن باستمرار بين فصحى السرد وعامية الحوار. إلا أن هذه الفصحى كانت ضرورية لأنه دائما ما يدخل مدخلاً وصفياً فى قصصه. ومن ثم فرض عليه ذلك الفصحى خاصة وأن الراوى يتطابق فى كثير من الأحيان مع المؤلف الضمنى من ناحية ومع البطل من الناحية الأخرى.

ومما ميز لغة صبحى الجيار طوال حياته الأدبية،، أنه يصعد باللغة الوصفية إلى لغة مجازية دون أن يشعر أنه رفع لغته من

المباشرة إلى المجاز، فهو يكتب وصفاً يراه فى مخيلته دون أن يرتب له أثناء الكتابة، يقول على سبيل المثال فى قصة البرهان (لكن الزوج كان متفائلاً أكثر مما ينبغى . فإن النظرات النارية التى استقبلته بها زوجته كانت تنذر بهبوب عاصفة عاتية. وإن كانت تستتر خلف بسمة صفراء متكلفة..) ص ٦٨ أو حينما يقول فى نهاية قصة حبل الغسيل وهى من أرقى كتاباته السردية، (ولكن حبل الغسيل كان يحمل مفاجأة لم تخطر ببالى فقد رأيت بيجامة حريرية تتدلى منه. وحولها ألوان زاهية عادت تتربع فوق الحبل السعيد..) ص ٥٦.

لهذا فهو ينوع بين مستويات الوصف أثناء السرد، بين اللغة المباشرة التى تعد موازية لرؤيته الواقعية المثالية، وبين اللغة المجازية، التى تفصح عن ازدواج الوصف بين الفكرة والعاطفة. لهذا نرى للغة صبحى الجيار مذاقاً خاصاً هى بسيطة، ومعجمه متداول لا يحتاج لتأويل وعباراته مختارة بعناية. الأمر الذى جعل المجاز واحداً من وجوه التشكيل اللغوى فى هذه القصص.

ونراه فى العامية، فى درجات مختلفة فى الحوارات التى تتناسب مع الشخصيات. فمع الشخصيات المتعلمة المثقفة نجد عامية تقترب من الفصحى حين يقول فى (سوق العبيد):

– وهل تقدمت لخطبتها حقا؟

فابتسم الطبيب فى سخرية وقال :

- كلا بالطبع.. وما هذه إلا تهيؤات نتيجة الحالة العقلية التى تعانيها.

- أتعنى أن كل ما جاء برسالتها تخيلات وأوهام ؟

ص ٩٥

إذ الفرق بين هذه الجمل الحوارية وبين الفصحى لا شيء.. بينما نرى الحوار يغرق فى العامية على لسان شخصيات أخرى يقول : فى العيون الزرق : (- الله انت حترجع فى كلامك ؟ خلاص بقى مخاصماك

- طيب يا ستى ماتزعليش حنلعب استغماية

ص ٣٧

بينما نجد العامية على لسان الفلاح والشعبيين من الشخصيات تنحو نحو الحياة اليومية يقول :

- يا ألف مرحب دى الناحية كلها نورت يا سعادة الدكتور

ص ٧

- كده برضه يابن الكلب ياهفية. دايما العيال تضربك. وانت فى وسطهم خيخة. داهية تخيبك .. يا عرّة.

ص ١٩

وهكذا تظهر لغة الحوار عند صبحى الجيار، فى مستويات متعددة تبدأ من لغة تقترب من الفصحى، وتتنوع بين عامية بسيطة،،

وبين عامية الشارع وبين عامية الطبقات الشعبية ذات المهن البسيطة. كما أوضحنا فى النماذج السابقة.

ونلاحظ أن اللغة ترتبط بلغة الشخصية ومستواها الاجتماعى والثقافى. كما ترتبط بالمهنة والمكان الذى تتحرك فيه الشخصيات . فلغة (ماسح الأحذية مع ابنه) ص ١٩ اختلفت مع لغة الفلاح وهو يرحب بالطبيب ص ٧، اختلفت مع لغة المعلم وهو يحاور زوجته فى سخرية ص ٣٧، اختلفت مع لغة الطبيب وهو يحدث صديقه ص ٩٥. وهذه ميزة من ميزات الكتابة عند صبحى الجيار، تدل على تفهمه لطبيعة الشخصية ومدى صدق هذه اللغة مع مكوناتها الفكرية والنفسية والاجتماعية.

لذلك كانت اللغة فى مستوييها الفصيح والعامى مناسبة طوال هذه النصوص جميعاً. الأمر الذى يجعلنا نقول إن الواقعية فى الكتابة حتى إن كانت مثالية، فإنها تدرس الشخصية والمكان بخاصة دراسة تجعل السلوك واللغة والمصير مناسبا لمعطيات النص من الناحية الفنية واللغوية.

إن الكاتب لا يقلد الشخصية فى الواقع. وانما يتخيلها فى متخيل سردى مواز لها فى الواقع. إذ يختارها ويختار ظروفها ولغتها كما حدث فى هذه المجموعة. ونلاحظ على واقعية الجيار هنا أنه رغم كتابته ضمن سلسلة من الكتاب الواقعيين فى الستينيات إلا أنه كان

حريصا على لغة خاصة ومعالجة خاصة. جعلت قصصه متميزة رغم انطوائها داخل مدرسة الستينيات، بل عبرت عن العوائق التى وقفت بينه وبين تجارب الواقع.

وبعد، فرحم الله صبحى الجيار الكاتب المميز والشخصية العصامية الواضحة. وشكرا لمن يشعلون شمعة فى ذكراه،

د. مدحت الجيار

حوارات
فى زوايا المرايا

تحقيقات أجراها معه :

على حسن شرف	مجلة السودان
عائشة مصطفى	مجلة الجيل
حاتم نصر فريد	مجلة الشباب
مرعى مدكور	مجلة المجلة السعودية
محمد حسن	جريدة الأحرار

قصة كفاح نهديها للشباب
لقاء مع فنان صحفى ... فى السرير !

نعم يا سادة.. أقدم لكم صبحى الجيار..

أقدمه لكم فى سجنه الذهبى.. فراشه الذى التصق به منذ نيف واربعة عشر عاما .

أقدمه لكم لا كجسد نالت منه الحياة.. بل كقلب انتصر على الحياة..

أنه أسطورة.. قصة كفاح مرير مع الزمن.. تنتهى دائما بانتصاره هو.. صبحى.. بنفس الابتسامة التى ترتسم دائما على فمه.. وليس غريبا حقا أن تراه يبتسم دوما.. بل ويضحك.. ولكن الأغرب حين تعلم أنه ما بكى قط .. وما استرحم.. بل ويكره أن تبدو فى عينيك نظرة مواساة أو اشفاق..

أنه فى عمر الزهور يا سادة.. يترك تسعة وعشرين عاما وراء ظهره.. ويقبل على الثلاثين تمضى به الحياة فى سجنه.. ويمضى هو فى صراعه مع الأقدار والابتسامة تعلو وجهه.. والقوة تحدق من عينيه.. ولا عجب .. فهو لا ينقصه الايمان ولم تعوزه الشجاعة يوما..

تعالوا .. بعد ذلك نتجول مع هذا الرجل فى قصة حياته.

دهمه المرض وهو صبى لم يبلغ بعد الخامسة عشر.. وهز الأطباء رؤوسهم وقد بان العجز فى أعينهم.. ولم ييأس ذووه.. فجربوا معه مختلف العقاقير ولمسات الكهرباء . بل وجميع المخترعات الحديثة.. بل حتى الوصفات البلدية.. ولكن كان الداء قد تمكن منه..

وأعلن الطب يأسه فان هذه الحالة فى العالم لا تتعدى أصابع اليدين.. والشفاء منها مستحيل..

وهكذا رقد هذا الجسد النصف ميت فى فراشه وهو وحظه مع الاقدار..

وكان صاحبنا يهوى الاطلاع والرسم.. فانتهز فرصة هذا الفراغ الضخم الذى يحيط به.. وتلك الساعات البطيئة التى تمر به.. وأصبح يلتهم الكتب وسائر المخطوطات الأخرى التهاما.. وأخذت يده تمسك بالفرشاة.. وتناثرت اللوحات حول فراشه تتحدث عن فن رفيع.

وأخذ الصبى يكتب ويرسم وأصبح فراشه محرابا كبيرا.. صلاته قراءة وتعبده رسم.. ومفاجأته كتابة.. وأخيرا ضاق فراشه بكل هذا.. ففكر أن ينشر انتاجه وقبلت بعض المجلات رسوماته وكتاباته كهاو عام ١٩٤٦..

وبدأ صبحى يحس بنفسه ويحس الناس به وبدأ يشعر أن له جمهوره.. وهنا التقى به.. الأستاذ توفيق الشمالى .. فعرف قدره..

ولس قوته فعهد اليه بإخراج مجلة روايات الاسبوع.. وتعلم الشاب المسجى على فراشه الصحافة بكافة أنواعها .. وهنا رأى أنه آن الأوان لأن يستقل بنفسه فى معترك الصحافة، ودوت القنبلة حين أخرج الشاب مجلة قصتى.. وترعرت المجلة.. وسارت على قدميها بجانب المجلات الأخرى.. وأذكر أننى كتبت فيها أولى كتاباتى فى الصحافة والأدب..

وركز صبحى الجيار كل همه فى مجلته تلك حتى لاقت النجاح..

عرفت الآن نبذة عن تاريخ حياته.. تعالوا اذن أحدثكم عن زيارتى له.. دخلت عليه غرفته .. فوجدته يرسم.. ثم رن جرس التليفون .. وأخذ الرجل يتحدث مع زميل له.. وفى هذه الأثناء تطلعت إلى جدران الغرفة فإذا بها مغطاة باللوحات الجميلة التى رسمتها يد صاحبنا.

والتفت إلى صبحى بعد انت انتهى من حديثه.. ثم سألته..

– هل تحدثنى قليلا عن نفسك..

وابتسم ثم قال :

– تريد أن أحدثك عن مرضى.. أليس كذلك.. حسنا.. أننى رغم مرضى.. وعدم قدرتى على الحركة إلا أننى اعتبر أن المرض مرض النفس والقلب.. أما مرض الجسم فلا يجب أن يعوق مجرى حياة الإنسان مادامت له العزيمة الصادقة..

– وهل ترك المرض أثرا فى نفسك أو فى كتاباتك..؟

– كلا .. وربما كان قد ترك بعض الأثر فى أول عهدى بالمرض.. ولكنى بدأت أرى أن هذا التقصير الجثمانى شىء طبيعى.. وشيئا فشيئا بدأت اعتقد أننى انسان كامل.. يجب أن أكافح.. وأعيش.

– أى أنواع القراءة تفضل ؟

– الأدب وعلم النفس.

وفجأة.. وجدته قد سرح وتعلقت عيناه باحدى لوحاته التى تمثل حبا مفقودا وسط أمل ضاحك..

وسألته فجأة..؟

– ألم تحب فى حياتك ؟.

– كل إنسان يحس بالعاطفة والحب.. فهذا شىء طبيعى فما بالك وأنا فنان أحس.. وأشعر .. وأتألم.. وتملأ حياتى الخيالات والأحلام..

إن الحب هو العاطفة التى استوحى منها مؤلفاتى واستهدى بها طريق الأمل.. وربما..

وسكت صبحى.. ليلتقى ثانية باللوحة المذكورة..

وسألته :

– هل تنوى الزواج ؟.

– إن أعز أمنياتى أن أكون أبا لأبناء أكمل فيهم ما لم استطع اللحاق به فى موكب الحياة..

وتركنا حديث الحب والزواج.. وبدأت أصابع يده تعبث فى بعض الكليشهات المجلة..

فسألته أخيرا :

– هل عندك مشروعات جديدة..؟

– الآمال والعزائم لا تقف عند حد.. وليس لها نهاية.. أننى استعد كى اقدم للإذاعة بعض التمثيليات بجانب عملى الصحفى هذا.

وحييت الرجل.. وغادرته.. وأنا أشعر بضآلتى بجانبه..

لقد كنت أفكر فى صبحى الجيار.. تلك المعجزة التى يحار فيها الانسان.

أعود وأقول أنه رجل .. فلنحييه بحرارة ونحيى فيه تلك العزيمة الجبارة..

على حسن شرف

---

* مجلة السودان ١١ مارس ١٩٥٦

الأديب الذى سجنه المرض فى الفراش ٢٠ سنة

وأخيرا قرر الأديب صبحى الجيار أن يتزوج.. قرر أن يدخل القفص الذهبى كما يقول.. بعد أن وجد الشريكة التى ظل يحلم بها سنوات طويلة.. المرأة التى تحبه وتقدره.. الانسانة الشجاعة التى تتنازل عن بعض مظاهر السعادة الزوجية لتقدم السعادة نفسها والحب والحنان لقلب تعذب وعاش عشرين عاما محبوسا داخل حجرة تضيق بأفكاره الكبيرة.. وعشرات من أصدقائه وصديقاته الزائرين المعجبين بقصصه.

ورغم هذا كله فانه كان دائما يبتسم للحياة.. قويا بايمانه وقوة ارادته.. وأن كان قلبه يبكى فى وحدته العاطفية.

وعندما ظهر له بصيص من الأمل ليسير على قدميه، بخلت عليه الدنيا وعجز أساطين الطب، وعاد من الخارج مثقلا بمزيد من الآلام.. آلام الجسم والروح !

ورغم هذا عاد ليبتسم للدنيا.. ويعيش داخل حجرته من جديد.. وسط القلوب الكبيرة التى تحبه.. راضيا بما قسم الله له.

وعندما سمعت خبر الزواج،، انتابنى شعور غريب، هو خليط من الدهشة والعطف مع رغبة ملحة فى أن أعرف حقيقة الخبر.. وأن أرى العروس البطلة التى سيقاسمها حياة البطولة التى عاشها وحده حتى الآن.

ورفعت سماعة التليفون أطلب منه موعدا لمقابلتى.. وكان على غير عادتى معه، قد بدأ يتلكأ بعض الوقت ثم قال فجأة :

- بشرط عدم التعرض لموضوع الزواج. أنه لا يزال فى حيز الكتمان.. ومجرد كلمة صغيرة فيه قد تسبب لى متاعب كثيرة.

فلسفة الحب !

وفى طريقى إليه بدأت أتذكر حديثا دار بينى وبينه منذ سنتين تقريبا.. حديثا عن الحب والزواج والمعجبات. وتفكير هذا القلب الذى يعيش بين أربعة جدران.. ويتمتع باعجاب وحب عدد كبير.. بل كبير جدا من الجنس اللطيف ذلك العدد الذى يحسده عليه «روميو» كبير يدب على قدميه بالليل والنهار !

كنت قد سألته منذ سنتين :

- هل جربت الحب الحقيقى؟

فقال :

- طبعا.. وذقت مره وحلوه .

– وما رأيك فيه ؟

– مرارته أكثر من حلاوته.

– أنا أقصد هل أحببت واحدة بالذات ؟

– ذقت الحب مرة وسعدت بحبها سنوات طويلة.. حوالى أربع سنوات تقريبا. ثم فرقتنا أسباب خارجة عن إرادتنا.

قلت :

– ما هى الأسباب التى فرقت بينكما؟

قال بحسرة :

– تدخل أهلها، ورفضوا رغم أنها كانت راضية وكنا متفقين.

– ألا تعرف السبب؟

– أنا لا أعرفه حتى الآن..

أما زلت تحبها؟

– أصبحت بالنسبة لى ذكرى أخوية. أحمل لها الاحترام والذكريات الطيبة. أن النسيان نعمة من الله.

– هل أنت فى حالة حب الآن ؟

– قلبى معلق عليه يافطة كبيرة مكتوب عليها «للايجار».

– وما رأيك فيمن يقول أن الحب الأول أقوى حب ؟

فقال بسرعة عجيب :

– أبدا .. الحب الأخير هو الأقوى. أنه يصبح مستحوذا على كل

التفكير.

- ما أسوأ ما فى الحب ؟

قال بحماسة غريبة :

- الغيرة.. أنى أمقت المرأة الغيور التى تضرب حول رجلها سياجا من الشك.. أن غيرتها تدفع أكثر الرجال حلما إلى الهرب والانفجار.

وسألته وقتذاك منذ سنتين :

- لماذا لم تتزوج حتى الآن؟

فقال :

- لم أجد بعد الزوجة التى تتوافر فيها شروطى.. وفى نفس الوقت التى ترضى بحالتى..

- ما هى شروطك؟

فقال بتأثر عميق :

- الحقيقة أن لى ظروفا معينة.. ظروفا غير عادية تتطلب شروطا معينة فى زوجة المستقبل حتى لا أندم يوما على الزواج.. ثم أن عندى من المتاعب ما فيه الكفاية.. ولست فى حاجة إلى المزيد ..

- أنا أريد أن أعرف المرأة التى تعجبك بالذات ..؟

فقال ضاحكا:

- الانسانة التى تخفف عنى بعض متاعبى.. لا التى تشغلنى

بمزيد من المشكلات.. وأنا لا أطمع فى زوجة مثالية - فأنا لست مثاليا - بل أهم صفة فيها.. أن تكون طيبة حنونا ومثقفة.. مطيعة.. نظيفة فى بيتها وملابسها.. أما من حيث الشكل فأنا كفنان.. أرسم وأكتب القصص - وكنت أعزف على العود قبل مرضى - أميل إلى المرأة الرشيقة ذات الخصر النحيل والصدر الناهد.. والسيقان الملفوفة.. والشعر الناعم الطويل.. والعيون المعبرة.. والبشرة الناعمة.

فقلت له بدهشة :

- إن هذا ليس وصفا لامرأة.. أنها فينوس.. وقد غاليت كثيرا!

فقال :

- بالعكس .. أنا لم أطلب الطول الفارع.. أو أن تكون سمراء أو بيضاء.. أو ذات عيون زرقاء.. المهم هو الانسجام.

وبدأت هذه الأسئلة وأجاباتها تلف وتدور فى رأسى، وتتدفق وراء بعضها البعض حتى توقفت عند هذا السؤال الأخير : هل وفق صبحى الجيار فى اختيار عروسه التى يخفى أمرها عن الجميع ؟ هل هى تشبه حقيقة الصورة التى تمناها وبات يحلم بها.. أم أن الأديب الفنان أحب.. وجاء الحب بصورة مخالفة للخيال ؟

ووضعت يدى على زر الجرس، وانفتح الباب، وكانت والدة صبحى أمامى.. بملابسها السوداء.. ووجهها الهادئ.. ولكن بمجرد أن رأتنى.. انتابها قليل من القلق.. ثم قالت :

- اتفضلى.. اتفضلى فى حجرة الصالون..

وبحكم المهنة.. وجدت عينى تهربان منى متلصصتين فى اتجاه الحجرة التى يعيش فيها صبحى الجيار.. ورأيت صبحى راقدا فى فراشه.. وأمامه فتاة سمراء. شعرها قصير. نحيلة. ترتدى بالطو لونه بنى. والاثنان فى حديث هامس !

وبعد أن جلست بضع دقائق فى حجرة الصالون، أذنت لى الأم بالدخول بعد أن توارت الزائرة فى حجرة مجاورة لحجرة الأديب الراقد.

قلت له :

- يبدو أننا حضرنا فى ميعاد غير مناسب.. جئنا قبل الميعاد المحدد بربع ساعة..

فنظر إلى مليا ثم قال :

- أبدا .. أهلا وسهلا..

قلت :

- أظن كان عندك زوار مهمين دلوقت؟..

فقال بسرعة :

- دى بنت خالى... «مدام فتحية»..

وبدأت فكرة تتسلل إلى رأسى.. فمنظر الزائرة لا يدل أبدا على أنها مجرد زائرة عادية أو حتى ابنة خالته .. ثم لماذا انصرفت

مسرعة.. ولماذا ارتبكت الأم عندما فتحت لى الباب.. وبدأت الأسئلة تتلاحق مزدحمة على لسانى.. ثم تتردد فى الخروج فأنا أمام موضوع غير عادى.. له ظروف غير عادية.. أننى أمام انسان حرمته الدنيا من الكثير.. وبدأ يمسك بأول خيط يأمل فى أن يقوده إلى السعادة.. أن مجرد كلمة أو صورة تنشر عن المرأة التى اختارها لقلبه، أو اختارها له قلبه يعتقد صبحى أنها تهدم كل ما بناه لاتمام الحلم الذى يحلم به.. بل قد تودى نهائيا بعلاقته. وبدأت أضيق بواجبين ثقيلين.. واجبى كصحفية.. وواجبى كصديقة لفنان أديب علق نفسه بأفكاره، التى تعلقت بدورها بخيال امرأة..

وبدأت ألف وأدور فى الأسئلة.. أسأل الكثير.. لأنال ما أريد دون أن أمس إحساسه المرهف أو أقلقه وهو فى حلمه السعيد.

قلت لأثيره حتى يتكلم :

– سمعت أن «نعمات» سكرتيرتك هى زوجة المستقبل؟!.

فضحك بشدة ثم قال :

– لا يا ستى.. نعمات معايا لها ١٣ سنة واذا كان الأمر كذلك، لتم كل شىء ببساطة.

ثم نادى نعمات بصوت مرتفع وقال لها :

– ايه رأيك فى الحكاية دى؟

وعرفت نعمات ما قلت لصبحى فردت :

- أبدا، طبعا كل الناس بتقول كده، لكن غير صحيح، أنا طلبت منه أن يتجوز.. وخلاص حيتجوز.

ثم قال لها صبحى الجيار :

- تعالى يا نعمات أنت و«مدام فتحية» - بنت خالتى - تعالوا اجلسوا معنا.

وبدأت اتحفز.. ولكنى حاولت إلا أظهر اهتماما خاصا.. لوجود الضيفة أو «المدام فتحية»..

قلت :

- الا تذكر الحديث القديم الذى دار بيننا منذ سنتين عن صفات الزوجة التى تريدها؟

خوفا من الاحراج

- أذكره.. لكن لا داعى أبدا لحديث قلته قبل الزواج.. فقد يضايق العروس..

فقلت بسرعة :

- هل أنت خائف منها إلى هذا الحد؟

فقال محتدا :

- أنا لست خائفا.. أن لها حقوقا على كزوجة ولا داعى أبدا للحديث فى الذى مضى..

قلت :

– أنا أعرف أن كل ما حدث للزوجة أو للزوج قبل الزواج لا يتعلق به حق لواحد منهما على الآخر..

فقال :

– طبعا .. لكن أخاف أن يحرجها ذلك، وقد اتفقت معها على كل شيء..

قلت :

– تقصد المعجبات بك؟

فقال مستدركا :

– أرجوك أن تقولي «الصديقات».. أنها تحبهن جدا. وقد قلت لها أنني على استعداد لقطع كل علاقتي بصديقاتي. ولكنها رفضت وقالت : «أنت كاتب ومحتاج إلى الناس من حولك»..

– كلام الخطبة دائما معسول !.

– أبدا. أننا اتفقنا على كل شيء.. أننا نفهم بعضنا دون أن نتكلم. عيوننا وحدها تتكلم. والكلمة التي أفكر فيها تنطقها هي قبل أن أقولها.

قلت :

– كلام طيب.. ما شكلها ؟

فقاطعني قائلا :

– أرجوك .. بلاش الحكاية دى!

– ألا تذكر صفات زمان التى كنت تحبها.. كلمنى بشكل عام..

فضحك قائلا :

– انك تدورين حول شىء معين. فأنا لا يهمنى السمار أو البياض. وأهم ما أحبه فى المرأة الشعر الناعم الطويل.. والبشرة الناعمة.. والجسم المعتدل.. ولا أحب أبدا صاحبة «الكرش».

– والعروسة كده يا ترى؟

– أنها خمرية . وجسمها كويس. شعرها ناعم. لكنه قصير على الموضة وبكره يكبر. وبشرتها ناعمة. والأهم أنها تحبنى وهى مثقفة. وهذا ما كنت أتمناه فعلا..

– جامعية ؟.

– أنها متخرجة من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ وهى موظفة الآن وستبقى فى عملها..

وبدأت أجمع بعض الصفات.. لاستنتج شخصية العروس. ودخلت علينا فى الحجرة.. السكرتيرة نعمات.. ثم دخلت «المدام فتحية».. وبدأت الأوصاف تتكشف أمامى .. أنها فتاة سمراء، نحيلة، شعرها أسود ناعم قصير، قوامها معتدل، يميل للنحافة أكثر من البدانة، تقاطيع وجهها معقولة، طولها متوسط ذكية جدا من بريق عينيها السوداوين.. حذرة تتكلم فى لباقة وحذر شديد كلامها خليط من اللغة

الانجليزية والعربية.. فى الحلقة الثالثة من عمرها تقريبا..

وجلست «المدام فتحية» بجانب والدة صبحى الجيار.. كانت عيناها مركزتين على الأديب الشاب. وأن كانت تحاول أن تخفى نظراتها اليه.. لا تنطق بكلمة. أجادت تمثيل الدور. دور ابنة الخالة. وان كانت نظراتها اليه وتصرفاتها أمامه تشير إليها!

قفص حلو

– ما رأيك فى الحب ؟

قال :

– الحب عاطفة سامية.. وأجمل شىء فيه أن يكون متبادلا وأن يفهم كل واحد منهما الآخر.

– والزواج؟.

– قفص .. ولكنه من ذهب..

– هل أنت مستعد لأن تسعد زوجتك.. وتقدم لها كل ما تريد؟

قال بسرعة :

– ولماذا لا؟. أننى أحبها، وسأعمل كل جهدى لاسعادها.

– والأولاد.. ما رأيك فى تنظيم النسل؟

فقال بشدة :

– لو كان بيدى الأمر.. لاستصدرت قانونا بتنظيم النسل. انها

مأساة. بل انها مؤامرة تعرقل التقدم بالوطن. فالتى تلد عشرة لا يمكن أن تعلمهم لينفعوا بلدهم كالتى عندها اثنان أو ثلاثة!..

وبدأ يدور فى رأسى السؤال الذى اقتربت منه بالتمهيد له :

- وما العدد الذى تريده أنت.. كم طفلا ؟

- اثنان فقط .. بنت وولد. اسميهما شريف وحنان..

وبدأت نظرات «المدام فتحية» تقلق من وجود آلة التصوير.. فتركتنا وخرجت من الحجرة إلى الحجرة المجاورة.

ونظرت إلى الدولاب القابع أمامه والذى يضم عددا كبيرا من الهدايا التى قدمتها المعجبات فى مناسبات مختلفة وقلت :

- ما رأى العروس فى الهدايا؟. أننا نريد أن نلتقط لك صورة مع هدية؟.

فقال معتذرا :

- لا داعى لهذا. الماضى انتهى .. لعلها تزعل منى عندما تجدنى أحرص على هدية معينة أو اعتنى بها أكثر من اللازم. وعلى كل فقد قدمت لى هى الأخرى بعض الهدايا.

ما نوع الهدايا ؟

- تمثال ، وثلاث فتاحات للخطابات.. اثنتان من الخشب وواحدة من الفضة.

وجاءت «المدام فتحية».. وجلست معنا ولكن بعد أن انصرف

زميلى المصور.. واقتربت من الأديب الشاب وراحت هى وهو فى حديث هامس. وسألته عن شىء فقال لها : غداً..

وانصرفت وخرجت معى «المدام فتحية».. فقد كان علينا أن نقطع نصف الطريق معا. وانتهزت الفرصة لأواصل معها الحديث. باعتبارها احدى قريبات صبحى الجيار..

قلت :

– ما رأيك فى زواج صبحى؟

فسرحت فترة ثم قالت :

– من أية ناحية؟

قلت :

– أنت تعرفين أنه لازم سريره من فترة طويلة، وأنا أعتقد أن الفتاة التى ترضى به كزوجة لابد أنها تحبه حبا يجعلها أكثر من شجاعة أو جريئة؟

فقالت بسرعة :

– أنه كرجل.. مكتمل الرجولة.. لا يقل عن أى رجل آخر فى شىء.. كل ما هنالك رقدته فقط .. وقد تناقشنا فى هذا الموضوع كثيرا..

– ألا تعتقدين أنه ستحدث بعض المتاعب.. بين السكرتيرة القديمة والزوجة الجديدة ؟

– لا أظن .. فلكل واحدة عملها .. كما أنها – أقصد الزوجة – ستعمل ولن يبقى عندها وقت لرعايته تماما .. ونعمات تقوم بعملها باتقان.

قلت :

– ألا ترين أن زوجة صبحى ستحرم من ميزات كثيرة.. كالخروج مثلا.. وأشياء أخرى ؟

قالت وعيناها سارحتان بعيدا:

– إن صبحى إنسان طيب وشجاع.. ورجل فى كل تصرفاته وكلامه. كل الناس تحبه وتقدره. وهو انسان طيب جدا. تصورى أنه يعاتب أخته اذا شعر أنها ضربت أو ضايقت أطفالها.. وإذا رأى منظرا مؤلما تألم كثيرا.. أن قلبه كبير وانسان انسانيته أكثر من اللازم..

هل تقرئين قصصه ؟

– قرأتها كلها.. حتى القصة الأخيرة.. اشتريتها أنا.. من الباعة قبل أن يقدمها هو .. هدية الى..

وفجأة انتهى الحديث.. فقد وصلنا الى مفترق الطريق.. وركبت «المدام فتحية» فى سيارة بينما وقفت انتظر عند محطة الاوتوبيس.

وبدأ ضميرى يتحرك .. لقد عرفت الكثير عن العروس.. وفى امكانى أن أعرف أكثر وأكثر.. وأن أضع النقط فوق الحروف.. وأن

أحصل على صورتها لانشرها ولكنى امتنع.. اكراما للأديب الكبير الراقد فى فراشه.. والذى يقول أن كلمة صغيرة فى غير وقتها المناسب قد تهدم كل سعادته.

واكتفيت بهذا القدر.. أنا أعرف أن هذا القدر القليل سيضايقه.. وسوف أفقده - مؤقتا - كصديق .. ولكننى على ثقة من أننى سأستعيد قريبا صداقة هذا القلب الكبير.. عندما أزوره مهنئة بتمام الزواج.

عائشة مصطفى

---

* مجلة الجيل الاثنين ١٩٦١/١/٣٠ - العدد ٤٧٥ .

صبحى الجيار
الأمـــل والنجـــاح

* أنا انسـان أحـاول أن أودى واجـبى نحـو نفـسى ووطنى وأشق طريقى فى الحياة تحت أى ظروف.

فـقد داهـمـتنى قـيود المرض وعـمرى ١٤ سنة أى فى بداية فـتـرة المراهقة. ووجدت نفسى مقيدا فى مساحة لا تزيد على مساحة ظلى، عانيت فى البـداية تحت ضـغط الغريزة الملحة بهذه السن الحـرجة، لكنى اهـتديت تلقائيـا إلى وسـيلة أنفس فـيـهـا عن طاقـاتى المكبـوتة، فتساميت بغرائزى فى ممارسة الرسم وكتابة القصة حاولت أن أشق طريقى فى الحياة بقلمى وفرشتى فى محاولات بدائية غضة ثم طورت هواياتى واحترفتها.

أننى سـعـيـد برغم كل ذلك فـالسـعـادة احـسـاس ينبـع من داخل الإنسـان وليس نتـيـجة عـوامل مـادية خـارجيـة. والسـعـادة فى نظرى تتجـسم فى العمل الناجح المنتج، وأسـعـد لحظات حيـاتى عندمـا أتم عملا بنجاح .

أفضل الصداقة على الحب

الحب بمعناه المتداول الذى يسمونه العشق المبنى على الغريزة والرغبة. هو عاطفة أن لم تحسن توجيهها كانت مدمرة شريرة،، بدليل أن هذا النوع من الحب قد يدفع إنسانا وقورا عظيما إلى السجون تحت أقدام راقصة، وقد يدفع أما إلى هجر أطفالها، والهرب مع عشيقها، وأنى أفضل الصداقة بكل أبعادها البناءة على الحب أو على العشق ، ففى الصداقة كل ميزات الحب لكنها تخلو من الغيرة والانانية والسهاد.

أما الحب المتبادل بين الزوجين فهو قمة السعادة والاندماج الروحى والجسدى وشبابنا محروم من الحياة الاجتماعية المفتوحة وهم لذلك متعطشون للجنس الآخر، مدفوعين بغرائزهم المكبوتة مما يجعلهم يتردون أو يسقطون فى الخطأ.

ولو كانت حياة الشباب الاجتماعية فى المدارس والأندية مشتركة تحكمها الزمالة والصداقة فى حدود تقاليدنا الشرقية، لما انفجر بعض الشباب فى محاولات غير سوية، وقد أثبتت التجارب الفردية لبعض المدارس الثانوية النائية التى اضطروا فيها إلى جعل المدرسة مشتركة، أثبتت هذه التجارب أن الدراسة كانت ناجحة علميا وخلقيا. لذلك يجب تشجيع الأنشطة الفنية والأدبية والثقافية وكذلك يجب التوسع فى الأندية الرياضية وقصور الثقافة.

الأدباء الشبان يدرسون الفنون بعمق..

تبعا لقانون التطور الحضارى فان أى جيل يتفوق منطقيا على الجيل الذى يسبقه ولا شك أن شباب اليوم يتمتع بميزات لم يحظ بها جيلنا، فشباب اليوم أكثر جرأة وتفتحا وقد ضاقت أرضنا بطموحهم فاتجهوا إلى الخارج ينهلون منه العلم والمعرفة، حتى انك تجد شبابا فى عمر الزهور يسافرون إلى الخارج بمفردهم معتمدين على أنفسهم فى كسب عيشهم مما يعودهم على الاستقلال ويؤكدون رجولتهم المبكرة. أما الذى آخذه عليهم فهو القلق والتسرع أحيانا، ولهم بعض العذر لأن ظروف جيلهم غير مستقرة مثل ظروف الجيل الماضى.

أما الأدباء الشبان فهم ولا شك على قدر كبير من الثقافة الشاملة ويمتازون عن الأجيال الماضية بأنهم يدرسون بعمق مختلف الفنون التشكيلية والموسيقية والدرامية. ويزاوجون بينها وكان هذا كفيلا بأن تجىء أعمالهم أكثر تكاملا ولكنهم أصيبوا بوباء اللامعقول الذى عزلهم عن القارىء، وأصبحوا يسبحون فى أبراج عاجية، ولو اقتربوا من جمهور القراء أكثر فأكثر لأفادوا واستفادوا وأعتقد أن هذه الموجة المدمرة فى طريق الانحسار الآن وأننى متفائل جدا بالمواهب الشابة المتمكنة بشرط أن تتوافر لهم مجالات النشر.

والمفروض أن الأديب تكون لديه أفكار يريد توصيلها إلى

الجمهور، لذلك يجب أن يكون حديثه مفهوما حتى يستوعبه المتلقى، فإذا انقطعت هذه الصلة أصبح كل من الطرفين مفصولا عن الآخر، وخير ما قيل فى أدب اللامعقول أنه شىء لا معقول.

• كفاح ضد قيود المرض:

شعورى بعد الحصول على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم والآداب ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى هو الامتنان الشديد لله عز وجل الذى لا يضيع مجهود انسان مكافح، وكان هذا الوسام بمثابة حافز لى على مزيد من التجويد حتى أكون جديرا بتقدير الدولة، وأرجو أن أوفق إلى تحقيق مزيد من النجاح والكفاح.. والكفاح هنا لو كان متعلقا بمجهودى الذاتى لهان الأمر، ولكنه كفاح ضد قيود المرض المتزايدة، وضد معوقات بعض النفوس غير الإنسانية.

حاتم نصر فريد

* مجلة الشباب الثلاثاء أول يوليو ١٩٧٥ العدد ١٤٣.

أيوب مصرى عصرى اسمه : «صبحى الجيار»

تماما مثلما تمتلىء موجات حماس وتقدير حقيقى لجابريللا اندرسون - العداءة السويسرية الأمريكية - وهى تدخل ستاد الكوليزم التذكارى مائلة إلى جانبها الأيسر ومترنحة ومتحولة من الجرى إلى المشى فى صمود معجز وإصرار غريب على اكمال ماراثون الأوليمبياد الأخير فى «لوس انجليس» وعيون الملايين معها حتى النهاية، ومثلما يهتز جسدك وعداءة عربية - على غير المعتاد - ترفع علم بلادها وقاماتنا فى بلاد العم سام مسجلة للتاريخ ولنا ميدالية ذهبية... بالتأكيد .. مثل كل ذلك .. سوف ينتابك شعور جارف ببطولة هذا الرجل الذى استحق عن جدارة لقب «أيوب المصرى العصرى»..!!

اسمه : صبحى الجيار..

مهنته : أديب .. لكنه يختلف عن أدباء مصر والعرب والعالم كله.. فالمسألة ليست فى أنه متعدد المواهب يكتب ويؤلف ويرسم ويعرف لغات ويترجم ويصدر مجلة بعد مجلة، ويعقد ندوة حول سريره تنتظم

أسبوعيا لأكثر من ربع قرن ويلمع روادها: أحمد بهجت ومحمد تبارك، والخضرى عبد الحميد، والداخلى طه، وغالى شكرى، وصبرى موسى، وعبد العال الحمامصى، وغيرهم، ويفوز - الجيار - بجوائز وتكرمه الدولة «مصر» كأحد البارزين فى مجال الأدب والتراجم، ويصبح أحد معالم حى مصر القديمة..

فمنذ سنوات طويلة،، قاربت خمسين عاما، اقعد مرض لعين فتى مثل كل الفتيان له أحلامه وطموحه وآماله.. لكن كان للقدر حكايته التى يخبئها للصبى الصغير..

و .. لنرجع معه إلى بداية المشوار :

هامش جانبى

لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات تؤلمنى نبرة حزن فى صوت «الجيار» .. أشار إلى جهاز التسجيل قائلا : «يظهر أنه لا فائدة من المقاومة.. مرض.. ومرض.. ومرض وعشرات الأمراض فى هجمة شرسة غير متكافئة: سكر.. وتيبس عظام وشلل.. و.. و» .. ويغلب تفاؤله .. يقول محاولا الضحك كعادته: «لا يهمك..!!.. عمر الشقى..!!».

ملاحظة هامة

قررت وزارة الثقافة المصرية إعداد فيلم تسجيلى عن حياة «صبحى الجيار» أعد له السيناريو مصطفى عبد الوهاب.. وتوقف المشروع قبل بدء التصوير..!!

بداية المشوار

من بين صفوف احدى مدارس مصر القديمة الثانوية تغيب واحد من انبه التلاميذ، بحث عنه أقرانه، لكنه لزم سرير منزله مرة واحدة.. تصلب الجسم كله.. لزم الصبى داره.. طالب أهله بعقد لجنة لامتحان التوجيهية فى منزلهم لابنهم.. ورفضت المنطقة التعليمية.. وكان هذا آخر خيط يربط «الجيار» بالتعليم الحكومى وبالمدارس..

ومنذ ذلك الوقت بقى صاحبنا حبيس الجدران الأربعة.. مجرد حيطان ونور كهرباء وراديو تلف محطاته بصاحبنا الدنيا .. و«الجيار» فوق سرير متحرك.. ليله ونهاره واحد.. لا يشغل من الدنيا سوى امتار..!!

لكن .. ينظر حوله .. مجرد «عاجز».. وفجأة يتحول العجز – بالإرادة – إلى عمل.. تقع عيناه على الكتب.. يقرأ ويقرأ.. ويقرأ.. وفجأة يكتب..

أول الغيث

يدخل بطلنا – مرة واحدة – دنيا التأليف والمؤلفين والشهرة.. ينشر عام ١٩٤٥ أول قصة كتبها.. يرسم أيضا.. وينشر رسومه يدرس الرسم – بالمراسلة فى معهد لتعليم الرسم بالمراسلة اسمه «كلية لندن للفن»، والكاريكاتور والترجمة.. وينشر أعماله فى صحف ومجلات متعددة.. فى ٣ يناير ١٩٥٤ يدخل «الجيار» مرحلة جديدة

فى حياته الأدبية ويصدر العدد الأول من مجلته التى أصدرها باسم (قصتى) لتكون نافذة للقصة القصيرة المؤلفة والمترجمة، وبالفعل تكون المجلة نافذة لشبان كثيرين يكتبون ويبحثون عن صلة بالقارئ.. يلتف الكثيرون حول الجيار .. يقول :

- بدأت الجماعة الأدبية التى تشارك فى المجلة تلتقى اسبوعيا كل يوم جمعة فى ندوة للمناقشة وللرأى وقراءة بعض أعمال الأعضاء ومناقشتها.. أصبح من رواد الندوة أحمد بهجت الذى لمع بعد ذلك، كان لا يزال طالبا فى كلية الحقوق. «لم يكن أحمد بهجت مجرد زميل يتعاون معى فى عمل أدبى، بل كان صديقا حميما قلما يجود الزمان بمثل وفائه وانسانيته، يحبنى بدرجة كبيرة ويتألم لقيودى حتى تغلبه دموعه، ويتهلل لصبرى وايمانى حتى ينحنى على يدى يقبلها فى تأثر وحنان، فهو عملاق فى آدميته رائع فى نبله.. وعندما عمل فى دار «أخبار اليوم» فى مجلة الجيل كان أول تحقيق صحفى له بعنوان «صفقوا لهذا الرجل» استوحاه من محنتى.. ومن أصدقاء الندوة وأسرة مجلة «قصتى» أيضا الكاتب الناقد غالى شكرى، ومحمد الخضرى عبد الحميد أشهر أدباء الأقاليم فى مصر، والقاص اللامع صبرى موسى والأديب عبد العال الحمامصى ومحمد عبد الحميد ومحمد المندى ومحمود عبدالوهاب ومصطفى عبد الوهاب وغيرهم..»

آثرت أن يتسع المجال أمام قراء القصة لمعرفة بعض التجارب البارزة فى هذا المجال، فأصدرت سلسلة أدبية باسم (روائع القصص العالمى) تضم روائع أعمال وسومرزست موم، وجى موباسان، وجوركى وتشيكوف وغيرهم..

وأصدرت - أيضا - قصة شعبية مصورة، وكل ذلك للتغلب على القيود الضيقة التى الصقتنى أعواما - ولا تزال - فى سريرى.. ومرة واحدة وجدتنى فى قلب الأضواء، عربة فارهة تشق شارع إبراهيم الجمالى بمصر القديمة - حيث منزلى - وبها يوسف السباعى ولفيف من الأدباء ليسلموا لى جائزة «نادى القصة» التى فزت فى مسابقتها.. أضواء وأحاديث صحفية فى صحف ومجلات مصرية وعربية وعالمية عن «فنان صحفى .. فى السرير» و«الفائز فى مسابقة القصة ينتظر العلاج فى الخارج» و... و...

فوق سرير متحرك

أمرت الدولة بعلاجى على نفقتها فى الخارج.. دخلت المطار فى موكب يلفت الانظار.. نزلت من سيارة الاسعاف محمولا على نقالة.. وفى «مستشفى لندن كلينك» يتبدد الأمل ويعود الجيار مواصلا رحلته البطولية.. يخلص لفن القصة.. يبدأ الزحف على مجلات متعددة،، ينشر قصصه فى «المساء» و«الجيل» و«الإذاعة» و«وطنى» و«الاسبوع

العربى» و«اليقظة» وغيرها .. ينشر مجموعاته القصصية «يستر عرضك» و«سوق العبيد» و«العيون الزرق» و«على الأرض السلام» وتكرمه الدولة بجائزتها التشجيعية فى التراجم عن ثلاثيته : «ربع قرن فى القيود» التى صدرت عام ١٩٦٩ فى ثلاثة أجزاء : (المأساة) و(الكفاح) و(الحصاد)..

وتستمر ندوة صبحى الجيار الأدبية كاقدم ندوة أدبية فى مصر مستمرة حتى الآن، يقول :

– المسألة أننى أردت أن اعتمد على ذاتى،، لم يكن فى حساباتى أننى اصنع بطولة أو ما يشبه ذلك،، لكننى فكرت فى الاعتماد على الذات فى لقمة العيش.. وبالكفاح، الكفاح فقط.. لكن اعترف وبعد كل هذه السنين أننى الآن – بعد أكثر من ٥٠ سنة – بدأت أعثر على قصة بطولة حقيقية لانسان حطم قيوده لتحقيق آماله وطموحاته وعيشه فى كبرياء الانسان وتحدى الصعب.. بل ركوبه وصولا لأنبل غاية..

أنه الأمل والتفاؤل.. وكبرياء الانسان وشموخه.

مرعى مدكور

---

* مجلة المجلة السعودية ٥ فبراير ١٩٨٥ .

صبحى الجيار يطالب بتطوير مجمع اللغة العربية

اللقاء مع أديب أسطورى.. أعطى للأدب حياته وكل وقته وأعطانا عشرات الشخصيات من خلال كتبه ورواياته على الرغم من بقائه طريح الفراش والمرض منذ أكثر من (٤٣) عاما.. اللقاء مع (صبحى الجيار) الأديب المصرى الذى كتب (يستر عرضك - سوق العبيد - العيون الزرق - على الأرض السلام).

*** سألته : بداية لنتحدث عن طفولتك ؟**

- فأجاب : منذ (٥٨) عاما ولدت وكنت طفلا عاديا حتى وصلت إلى الرابعة عشرة من عمرى حين أصابنى المرض وأقعدنى فى الفراش أكثر من (٤٣) عاما.

*** إذن .. متى كانت بدايتك الأدبية؟**

- حصلت على شهادة الثقافة من المنزل وكنت أهتم باللغة العربية واللغة الانجليزية .

وكانت أول قصة لى نشرت فى مجلة (المصباح) واسمها (أول نظرة) وتوالت القصص المؤلفة والمترجمة حتى وصلت إلى ما يزيد

على (٥٠) قصة منها (يستر عرضك، لم قُدّر على هذا، سوق العبيد،، والعيون الزرق، على الأرض السلام، ثلاثية ربع قرن فى القيود المنشورة عامى ٦٨، ٦٩) ومن المترجمات (معركة السفينة لفيكتور مايز، ومسرحية قصة فلادلفيا لفيليب بارى، والشمس كم هى نائية لدوبرينا تشوستياش، والسيف المعقوف لهارولد لامب، وبرج الجوزاء.

*** ما هى أساسيات العملية الإبداعية لدى أديبنا؟**

– الناحية الإبداعية ولله الحمد موجودة منذ الصغر ومازالت ولأن الحاجة أم الاختراع – فقد اخترعت عدة عوامل مساعدة لتعويضى عن جسدى العاجز عن الحركة.

وإذا كان جسدى لا يعمل فالعقل مازال بحمد الله يعمل ويبدع.

*** لم نر من جيل السبعينيات قمما أدبية أثرت فى الجيل الحالى. ترى ما هو السبب ؟**

– الحق يقال جيل السبعينيات لم ينفصل عن الأجيال السابقة له والقمة تصنعها الأيام والسنوات.. وقد تحتاج هذه القمة لعشرات السنوات وهاهم الآن بطريقهم لاحتلال القمم الأدبية ومنهم (عبد العال الحمامصى ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق جويدة وفاروق شوشة وغيرهم).

*** هذا يدفعنى للتساؤل عن موقع الأدب العربى على خريطة الأدب العالمى؟**

- الأدب العربى له حضور على الساحة الأدبية العالمية وظهر هذا من خلال ترجمة العديد من الأعمال الأدبية لأدبائنا المصريين والعرب.. ولكن هذا لا يكفى.

وأرى أنه على المؤسسات الصحفية والمهتمة بالأدب أن تختار أعمالا أدبية للشبان وتترجمها للغات الأجنبية ليتسنى فتح باب جديد للأدب الشاب على النافذة العالمية.. ولقد أثلج صدرى عندما علمت بنبأ ترجمة أحد أعمال القصاص الشاب (جمال الغيطانى) إلى الفرنسية.. وهذه بشرى أمل للأدباء الشبان.

*** أديبنا (الجيار) .. ماذا تعنى هذه الكلمات فى قاموسكم ؟**

الاستشراق والمستشرقون - مجمع اللغة العربية - الصحافة المصرية - وسائل الاعلام - الأركان الأدبية بالصحف والمجلات - استخدام العامية فى الحديث.

- أقولها وبوضوح الاستشراق والمستشرقون هم مجموعة أفراد اهتموا بدراسة الأدب العربى واجتهدوا فيه.. ونحن نستفيد منهم ولا أرى سببا لتدخلنا فى أعمالهم وبعد ذلك نقول إنهم ظالمون لنا .

ومجمع اللغة العربية :

إنه ضرورى للمحافظة على لغتنا العربية.. وهو يحتاج لتطوير وتحديث.. وهو حامى اللغة ومطلوب منه تبسيط اللغة.

*** أما الصحافة المصرية** : فلا ينقصها إلا الورق .. وأرى أن

أزمة الورق ليست هى السبب فى قلة الاصدارات الصحفية.

لذا فالمشكلة هى (الكم) وليس (الكيف).. وأرى مصر بحاجة لمزيد من الصحف فلا يعقل أن نكون قد اقتربنا من الخمسين مليونا وليس لدينا سوى ثلاث صحف يومية وواحدة مسائية.

*** والأركان الأدبية بالصحف والمجلات :**

هى قاصرة وضعيفة التأثير وذلك مرجعه للحالة الاقتصادية التى نعيشها ومن الممكن أن تعود الأركان الأدبية لسابق عهدها.. عهد المازنى والعقاد وطه حسين - وحين تكثر الاصدارات الصحفية بمصر كما هو حادث الآن بالدول العربية سيكون لها شأن آخر.

*** وسائل الاعلام من إذاعة وتلفاز :**

أرى أنها فى طريقها للجودة ورجالها أضحوا فى طريق صحيح.

* لستخدمى اللغة العامية فى الحديث.. أقولها وبأمانة العامية لن تؤثر على اللغة الفصحى فلكل منهما مجالاته واستخداماته . فالفصحى يكتب بها السرد القصصى والعامية تستخدم للحوار.. ولقد قال أديبنا الكبير (يحيى حقى) فى إحدى مؤلفاته (إن الإنسان عليه أن يتخير الكلمة الحلوة المناسبة للموضوع وعلى الإنسان ألا يقف متزمتا أمام المواقف.

وأرى اللغة التى نكتب بها القصص هى لغة وسط بين اللغة العامية واللغة الفصحى وهى قريبة من لغة الصحافة.

*** هل تصدقنا القول فى أن الكتاب الأدبى واتحاد الكتاب المصريين.. فى مأزق ؟**

– الكتاب الأدبى فى أزمة.. وأزمته هذه نابعة من الأزمة الاقتصادية التى نمر بها ولو كانت ظروفنا المادية أفضل لكان للأدب المصرى شأن مغاير للواقع الآن .

ولكنا حينما نخير بين لقمة العيش وبين الكتاب نختار لقمة العيش وأرى أن الدول العربية القادرة ماديا نهض بها الأدب وخاصة بمنطقة الخليج العربى والسعودية.. ولابد أن نأخذ بالاعتبار أن (أدباء لبنان) مازلوا ينتجون سواء أكانوا بلبنان أو غيرها.

محمد حسن

---

* جريدة الأحرار ١٩/٥/١٩٨٦.

صبحى الجيار
فى كتب أدبية

- عظماء قهروا اليأس .. فايز فرح
- صبحى الجيار نقيب الصابرين.. سلوى سبع

عظماء قهروا اليأس

فى كتاب «عظماء قهروا اليأس» الذى أصدره الاعلامى المعروف الأستاذ فايز فرح عن دار الثقافة عام ١٩٩١ - تناول فيه الحديث عن كفاح عدد من الشخصيات السياسية والفنية والأدبية والعلمية ضمت:

جورباتشوف - نيلسون مانديلا - هوميروس - رينوار - مارى كورى - لويس بريل - اديسون - الفريد نوبل.

وأفرد فصلا كاملا بعنوان :

« صبحى الجيار يحطم القيود » - قال فيه :

صبحى الجيـــــار
يحطم القيود
(١٩٢٧ - ١٩٨٧)

الحـيـاة لوحـة رائعـة يمـتـزج فـيـهـا الأبيض والأسـود.. والفنان البـارع هو الذى يسـتـخـدم الظلال السـوداء لتـخـدم المسـاحـات البـيـضـاء.. وهكذا أحاول أن أستفيد من البقع السوداء فى حياتى.. فالحياة حلوة رغم كل شىء.

«صبحى الجيار»

عاتبنى كثير من أصدقائى الكتَّاب والفنانين والقراء عندما صدر كتاب «عباقرة هزموا اليأس» ولم يتضمن بين دفتيه فصلاً عن صبحى الجيار، أيوب القرن العشرين فى مصر، وظن البعض أنه موقف شخصى، أو اهمال من كاتب أو غير ذلك. والواقع أننى عندما فكرت فى شخصيات هذا الكتاب منذ البداية كانت شخصية صديقى العزيز «صبحى الجيار» من الشخصيات الأولى التى خطرت على بالى، وانتظرت أن اكتب عنها فى الوقت المناسب، وبالمساحة اللائقة، فصبحى الجيار يستحق كتاباً عنه وحده، وليس ذلك فضلاً، إلا أنه بسبب عامل السرعة والمادة، اضطررت أن أكتب هذا الفصل لمجرد إلقاء الضوء على هذا الانسان الكبير الذى عاش بيننا كطيف خيال، يتألم كثيرا ويتوجع فى صمت ولكنه يبتسم ، يعانى من آلام مبرحة لكنه يهتف «الحياة حلوة رغم كل شىء»، لا يتحرك من فوق سرير، لكنه يحرك الجميع بفكره وآرائه الصائبة، ونظرته الموضوعية لكل مشاكلنا وحياتنا، إنه صبحى الجيار «أيوب العصر» كما أطلق عليه الكاتب الكبير أحمد بهجت . وهو - كما يقول الكاتب الكبير أنيس منصور - مثال عالٍ يجب أن يذكره من له يدان ولا يعمل.. وله ساقان ولا يتحرك.

وعلى الرغم من قيود المرض، كان صبحى الجيار منطلقاً فكراً وثقافة، أخذ يشبع هوايته فى القراءة بعامة، وفى الأدب وفروعه المختلفة بخاصة. واستطاع وهو فى السابعة عشرة من عمره أن يتعرف على فكر جبران خليل جبران، والدكتور طه حسين، والشاعر على محمود طه، وتوفيق الحكيم، وتولستوى، وفكتور هوجو وشكسبير وبرنارد شو وغيرهم.. ووجد صاحبنا من يساعده على إشباع هوايته فى القراءة، سواء كان شقيقه أو زوج أخته وكان يهتم بأن يشغل وقت فراغه الكثير بما يفيد.

* هذا عن الآلام، فماذا كان موقف صبحى الجيار من الحياة ؟ وكيف كان يفكر فى مستقبله؟ يجيب صاحبنا قائلا :

* لم استسلم لليأس. وبدأت من نقطة الصفر. فتناسيت قيودى. وخضت صراعاً مريراً مع القدر، أغلبه مرة، ويعرقلنى مرات. واستفدت من مواهبى الطبيعية، فنميتها بالدراسة والمثابرة والكفاح المتفائل العنيد. واستطعت بسن قلمى أن أثقب جدار سجنى، وأخرج منه إلى عالم الأحياء.

* من الأحداث والتواريخ الهامة التى لم ينسها صاحبنا طوال حياته ٤ مارس ١٩٤٨، ففى هذا اليوم أهدته السماء هدية لم يكن يحلم بها، إنها سكرتيرته النشيطة وممرضته الحنون نعمات حامد عيسى التى عاشت فى خدمته مدة ٣٩ سنة إلا ستة أيام، منذ

وصـولهـا إلى أن رحل من عـالمنا فى الخـامس والعـشـرين من شـهـر فبراير ١٩٨٧. يقول صبحى الجيار عن السيدة نعمات:

«بددت كـثـيـرا من ظلمـات يأسـى، وعـوضت كـثـيـرا من قـيـودى وعجزى. وأعانتنى على الكفاح والتفرغ لمعارك الحياة، بعد أن أمنت بعض مخاوفى من المستقبل، ووفرت لى سبل الراحة والطمـأنينة، ولم تتخل عنى يوماً واحداً، وتفانت فى خدمتى.. بإخلاص وتضـحيـة .. ويقظة ضمير.. وتقدير للمسئولية الجسيمة فى تولى جميع شئونى».

* كنت أزوره فى حجرته التى كانت عالمه الذى يعيش فيه، وكنت أبدى إعجابى بنظامها، ولمسات الفن فيها، وكان يقول.. إنـها عالمى فلابد أن تكون كذلك، وفى الحجرة كانت رسوماته تنتشر هنا وهناك، وكان بها دولاب للموسوعات، واثنان من أجهزة التليفزيون، وأربعة مسجلات كان يسمع منها الموسيقى أثناء عمله طوال الليل، وكما نقول فى أمثالها الشعبية «الحاجة أم الاختراع»، لم ينس صبحى الجيار هوايته القديمة فى الابتكار، فقد صنع لنفسه ونشا (رافعة) ينقله من على السرير إلى المقعد المتحرك الذى يتوجه به إلى الحمام كذلك صنع مرآة خاصة يستطيع أن يشاهد بها كل زواره المنتشرين فى حجرته، حيث أنه لا يستطيع الحركة ومن ثم فإنه – قبل ابتكاره هذه المرآة – لم يكن يستطيع رؤية أحد إلا فى زاوية معينة.

* ولصبحى الجيار كلمات حكيمة وآراء كثيرة نافعة لنا، وللأجيال

القادمة بعدنا، أذكر منها :

* الصداقة نعمة عظيمة، والأصدقاء ثروة روحية هائلة. ولكى احتفظ بأصدقائى يجب أن أدفع الثمن. فأخدمهم ولو على حساب راحتى، وأتسامح معهم ولو على حساب أعصابى وأتقبل خدماتهم بامتنان، ومهما كانت بسيطة، ولا افترض فيهم الكمال، فالكمال لله وحده.

* كما أن الانسان يحتاج إلى مواد غذائية متنوعة لبناء جسده وسد احتياجاته، كذلك القراءة المتنوعة، والثقافة الموسوعية تساعد الإنسان على بناء شخصيته.

* أنا لا أترفع عن التعلم ممن هم دونى.. حتى الحيوانات التى أقتنيها. فمن الكلب أتعلم الوفاء لصاحبه والتسامح معه.. رغم قدرته على الانتقام، ومن الحمام أتعلم كيف يرعى الذكر أنثاه ويساعدها فى أعباء الحياة. ومن الأرنبة التى تنتزع شعرها لتدفىء به صغارها، أتعلم التضحية والإيثار، ومن الديك أتعلم الكرامة والشهامة فى حماية أسرته ورعايتها.. ومن النمل أتعلم الكفاح الدؤوب وفضيلة الادخار.

* إذا أصابنى شر لا أعاتب السماء، أو أسخط على الدنيا، بل أبحث عن السبب فى أعماق ذاتى وتصرفاتى، بروح محايدة أمينة، وسرعان ما اكتشف الثغرة التى نفذ الشر منها.. فأغلقها.

* لعلى لا أكون مغالياً فى تفاؤلى إذا دفعنى الطموح إلى المطالبة بالتأكد من صحة الاعلانات (صحف، إذاعة، تليفزيون) بواسطة مكتب خاص يتحرى مدى صدق وجدية البيانات التى تحويها قبل الموافقة على عرضها.. أليست الاعلانات المضللة نوعا من جرائم الغش التجارى التى يعاقب عليها القانون ؟

* مرارة الفشل هى ثمن بخس لتجارب الحياة، ومهما فشلت التجربة فهى تتضمن جزءاً من النجاح، هذا الجزء هو نواة للتجربة التالية، وهو حجر الأساس الذى أتم عليه البناء، الذى لا يفشل هو الذى لا يعمل.

* أنا لا أؤمن إطلاقاً بالضرب كوسيلة للتربية والتهذيب، مهما كان السبب، والعلاقة بين الآباء والأبناء يجب أن تكون مبنية على التفاهم والعدل المطلق، والجزاء والعقاب، والعقاب لا يكون بالضرب، وإنمام يكون بالحرمان من لعبة أو رداء جديد أو نزهة أو مشاهدة التليفزيون.

* عاش الأديب والصحفي والفنان صبحى الجيار ستين سنة إلا يومين، فقد ولد فى ٢٧ فبراير ١٩٢٧ ورحل فى ٢٥ فبراير ١٩٨٧. كانت حياته ملحمة كفاح ونضال يصعب على معظمنا تحملها، لذلك أطلقوا عليه ألقاباً كثيرة منها «أيوب العصر» «نقيب الصابرين» وهزم اليأس فى عقر داره، ومن على سريره ملأ الدنيا وشغل الناس.. تحية

لروحه المثابرة الطاهرة.

هل نأمل فى طبع كتبه طبعات شعبية وبخاصة كتابه «ربع قرن فى القيود» الذى فاز بجائزة الدولة التشجيعية.. والذى يعطى صورة لقدرة الإنسان العجيبة على الصبر والتحمل.. وهل نأمل أن يطلق اسمه على أحد شوارع مصر القديمة، وهى المنطقة التى ولد وعاش ومات فيها..

* إن صبحى الجيار ملحمة الصبر والأمل، وهو دليل على قدرة الانسان على هزيمة اليأس، مهما طال هذا اليأس أو كبر واستفحل، وعلى حد قوله فان «الحياة حلوة رغم كل شىء.».

فايز فرح

---

* من كتاب عظماء قهروا اليأس ..

صبحى الجيار
نقيب الصـــــابرين

أصدرت الكاتبة سلوى سبع كتاب «صبحى الجيار.. نقيب الصابرين» بسلسلة عظماء عاشوا بالأمل عن دار المعارف عام ١٩٩٤.

ولقد كانت سلوى سبع واحدة من ابرز الأصدقاء المقربين له وقال عنها الأديب أحمد سويلم فى مقدمة الكتاب :

أنها فتاة امتحنها الله فى ارادتها وكتب عليها أن ترقد على فراشها منذ سنوات طويلة.. فاقدة قدرتها على الحركة.. لكنها كانت أكبر من هذه المصيبة .. فركبت جواد التحدى والصبر والأمل.. كأنه البراق.. يخترق حجب اليأس والظلام والاحباط والاستسلام.. ليصل إلى ضرب المثل والقدرة على الحياة.

* تقول سلوى سبع فى مقدمة كتابها :

منذ أكثر من عشر سنوات - وبالتحديد يوم ٣ يناير ١٩٧٧ - تعرفت عليه شخصيا، وسمعت صوته مباشرة عبر أسلاك التليفون..

أذكر يومها أنى استجمعت كل شجاعتى، وتركت التردد الذى لازمنى طويلاً.. وأدرت قرص التليفون.. وأتانى صوته قويا شامخاً، طيب النبرات، مرحباً بى كصديقة وقارئه أرادت فقط التعرف على تلك الشخصية التى سمعت عنها.. كنت قد سمعت عنه الكثير عن تجربة مرضه، ومعاناته مع القيود التى كبلته، وجعلت كل حدود عالمه هى تلك الحجرة التى لا يغادرها ولا يشغل منها سوى جزء من سريره، يرقد هادئا!. يتحرك وهو المقيد الراقد على ظهره، ويبتسم ويضحك ضحكة يملؤها التفاؤل،، وهو الذى يعلم تماما ألا أمل من شفائه.. يعطى الحب والصداقة لمن حوله، يتحدى وهو المفتقد لأدوات التحدى، اللهم إلا النفس القادرة على التحدى.!

فهو فى وضع أفقى دائم.. وتساءلت بينى وبين نفسى كيف يمكن لإنسان مهما أوتى من قوة تحمل وصبر - أن يحيا هكذا سنين عمر مضت؟! بل كيف يستطيع أن يكيف نفسه وظروفه ليحقق السعادة لنفسه ولمن حوله، ويستبدلها بنظرات عطف أو دموع فى المآقى؟! أقول : تساءلت كثيراً، ولم استسلم للتفكير وقررت خوض التجربة بنفسى،، والتعرف على تلك الأسطورة الرائعة: صبحى الجيار..

وذهبت لزيارته وحضور ندوة أدبية من ندواته.. ووجدتنى وجهاً لوجه أمام ذلك الانسان، معجزة الصبر والتحدى فى زماننا هذا، ولقرون طويلة قادمة.. رأيت أمامى القوة .. التحدى.. وجدت عزيمة..

أملاً.. تفاؤلاً.. رأيت أمامى ابتسامة لم أشهد مثلها فى حياتى.. ابتسامة ملأت وجهه وهو يرقد فى سريره تحوطه مظاهر البساطة والأناقة فى حجرته وفى طريقة ملبسه..

وجلست أمامه أبحث عن ذلك المريض المعوق الذى طالما سمعت عنه وقرأت، فلم أجد سوى تلك الروح الرائعة، والثقة بالنفس، وذلك الجسد الذى لا يشغل سوى حيز سريره، تستشعر فى كل لحظة من وجودك معه أنه يتحرك ويتحرك حتى تكاد تهتف به : كف عن الحركة حتى نستمتع بجلستك معنا.

* وتضيف الكاتبة سلوى مرسى قائلة باعتبارها أول من فكر فى تأسيس جميعة «أصدقاء صبحى الجيار الأدبية»:

عاش بيننا الأديب صبحى الجيار.. زرناه وأحببناه وحاورناه ونعمنا بابتسامته المشرقة ووجهه البشوش وعقله الذكى وقلبه الكبير وبيته الكريم.. حتى اذا مات اكتشفنا أن جسده المكبل بالقيود كان يضم روحا مكافحة تقاوم عجز الجسد وفقر الامكانات وظلام العقل.. وتناضل للحصول على حقها من الرزق والعلم والمكانة الاجتماعية وتجاهد كى تحقق طموحاتها دون أن تفقد شعورها العميق بالكبرياء.

كتب صبحى الجيار وترجم وأبدع سيرته الذاتية وحصل على العديد من الجوائز التقديرية وصنع حياة حافلة بالعمل والحب

والصـداقـة.. وعندمـا مـات ترك لنا سـيرتـه الحـافلة لتلعـمنا الدرس والعبرة.. وتهبنا اليقين بأننا لابد منتصرون على كل صعاب تواجهنا لأنها مـهما بلغت لن ترقى بأية حال لكل هذا الذى جـابهه وانتـصر عليه.

رحم الله الأديب الانسـان صبـحى الجيـار وعـاشت ذكراه بيننا عطرة بكل مـا غرسـه فينا من مقـاومة للصـعاب وحب للعمل وايمان بالله – مع خالص الدعاء بالصحة والسعادة لرفيقة حياته ونضاله ومجده السيدة الفاضلة نعمات حامد عيسى.

• أستاذى صبحى الجيار:

* كنت.. ومـا زلت.. وستظل فى حياتى رمز الإنسانية الحقة بكل معانيها.. الإيمان بقضاء الله.. الصبر.. الأمل.. والقوة عند الحق.. الحنان بلا حـدود.. الوفـاء.. العطاء.. صـفـاء القلب.. ويلح على أن أسـألك «هل تسـتـشـعـر الآن دفء قلوب أصدقـائك ووفـائهم بعد مـا افتقدته.. وتمنيته السنوات السابقة لتاريخ غيابك عن دنيانا؟؟»

أسـألك.. لأنك عـودتنى أن ترد على كل تسـاؤلاتىَ.. ولأن كلمـاتى تلك لك وليست عنك.

سلوى سبع

---

* من كتاب صبحى الجيار نقيب الصابرين ..

وفى بابه المعروف «صندوق الدنيا» بجريدة الاهرام كتب الأستاذ أحمد بهجت عن الكتاب فى ٢٣ سبتمبر ١٩٩٤ مقالاً بعنوان :

صبحى الجيار

أصدرت دار المعارف فى سلسلة «عظماء عاشوا بالأمل» كتابها الصغير الجميل عن صبحى الجيار.. نقيب الصابرين.

كتبت الكتابة سلوى سبع، وهى فتاة امتحنتها الاقدار بالرقاد فى فراشها سنوات طويلة.. وكانت قريبة من صبحى الجيار، فأحست بآلامه وآماله... وترجمت عن وفائها بهذا الكتاب.

وصبحى الجيار انسان امتحنه الله بالبلوى فقهرها هو الصبر عليها،، وامتحنه بالرقاد فى فراشه خمسين عاما دون حراك إلا يده اليمنى التى يكتب بها أو يرسم... ورغم امتحانه فقد نظر إلى النبى الكريم أيوب وعرف كيف يتأسى به ويصبر.

لقد أصابه مرض مجهول لا علاج له أدى الى تيبس المفاصل وعدم قدرته على الحركة، ورغم أن المرض ألقاه بلا حراك على فراشه، إلا أن روحه رفضت الاستسلام ورفضت أن تفقده حماسها للحياة أو ايمانها بالله، كما ظلت تتعلق بالأمل حتى اللحظة الأخيرة..

ومن فراش المرض رسم صبحى الجيار وكتب القصة القصيرة وترجم كتاب القصة فى الغرب، كما كتب تاريخ حياته «ربع قرن فى القيود»..

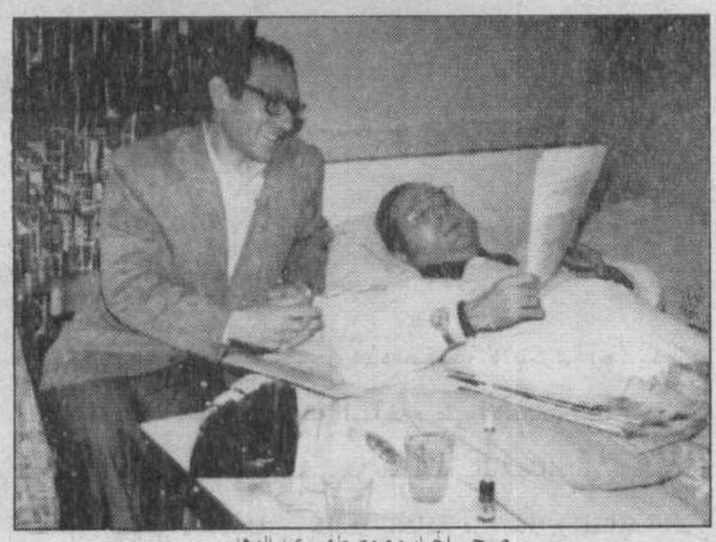
فى الخمسينيات انشأ مجلة قصتى، وهى مجلة كانت مدرسة تخرج منها كثير من أصحاب المواهب اللامعة، ومن بينهم صبرى موسى وعبد العال الحمامصى وغالى شكرى ومحمد عبد الحميد ومحمد تبارك، ود. ابراهيم حمادة ومحمد الخضرى عبد الحميد، وكنت واحدا من تلاميذ هذه المدرسة..

وكان صبحى الجيار يعلم تلاميذه كثيرا من فنون الحياة.. كانت معجزته هى صبره الجميل واحتماله سجن الجسد وانطلاق روحه نحو أبعد الآفاق والذرى..

لم يتعامل مع اليأس،، ولم يستسلم لفقدان الرجاء، ولا ادركه السأم من الحياة وهو سأم يدرك الأصحاء..

ظل وفيا للأمل، شامخا فى صبره، ملتمسا صبره من ايمانه بأن الله تعالى يمتحنه ليرى هل يفقد صبره أو يصير واحدا من كبار الصابرين.. واحدا ينطبق عليه قول الحق «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

أحمد بهجت



صبحى الجيار مع مصطفى عبد الوهاب

رسائل صحفية

نشر الأستاذ صبحى الجيار مقالتين بمجلة الإذاعة والتليفزيون.

● الأولى بعنوان : «أعيدوا البسمة لوجه مصر» فى ١٩٧٨/٣/١٨

وكان لى تعليق عليها نشر بالمقالة الاسبوعية التالية بعنوان : «البيات الشتوى لمؤلفى الكوميديا» فى ١٩٧٨/٣/٢٥.

● والثانية بعنوان «لوليتا وغرام الشيوخ» فى ١٩٧٩/٥/١٢

وكان لى تعليق عليها نشر بالمقالة الاسبوعية التالية بعنوان : «لوليتا بين المعارضة والتأييد» فى ١٩٧٩/٥/٢٦.

مصطفى عبد الوهاب

أعيدوا البسمة لوجه مصر

نحن المصريين شعب مرح. هذه حقيقة لا ينكرها أحد. نطرب للنكتة اللاذعة.. ونعلق بالفكاهة الساخرة على الأحداث الجارية.. واذا لم نجد ما يضحكنا.. نسخر من أنفسنا بالنقد الذاتي. وعلى مر عصور الحكم الاستبدادى كانت الفكاهة هى سلاح المقاومة الذى ينفس به الشعب عن رفضه للأوضاع. وكلنا نذكر كيف كانت النكتة السياسية تنتشر كالنار فى الهشيم فى عهد مراكز القوى. وكيف كانت النكت الساخرة تندد بالاستبداد وكبت الحريات.

باختصار.. نحن شعب ضاحك حتى فى أحلك الأوقات. ونحن شعب مرهق يقاسى من أزمات المرافق، وويلات الحروب،، والانفجار السكانى. أعصابنا مشدودة.. فى البيت.. والطريق.. وفى العمل.. حيث يحرص المواطن على عمل اضافى يغطى به أعباء الحياة.

وبعد هذا الجهد النفسى والعضلى المتواصل.. أعتقد أن من حق المواطن المصرى أن يحصل على بعض الترفيه، الذى يهدهد أعصابه. وما دامت طبيعتنا تميل إلى المرح والفكاهة، فأعتقد أن من

الضرورى جدا أن نقدم له وجبة ضاحكة يومية.. من خلال وسائل الاعلام والترفيه.. حتى لا تنتشر حالات الاكتئاب النفسى.. والذبحة الصدرية.. والانتحار .

أما الاعلام المقروء.. من جرائد ومجلات، فلا تكاد تخلو احداها من مادة فكاهية.. بالكلمة والكاريكاتير. وأن كانت تنقصنا المجلة الفكاهية المتخصصة.. مثلما كان موجودا فى النصف الأول من هذا القرن.. والتى انتهت بمجلة «البعكوكة».. مع التحفظ على بعض ما كانت تحويه من هبوط واسفاف.. ليس من الصعب تجنبه واستبعاده.

أما وسائل الاعلام الأكثر انتشارا وفعالية.. فهى الاذاعة والتليفزيون.. والمادة الفكاهية أما أن تكون من خلال تمثيلية كوميدية أو برنامج خاص ينتزع الضحكات من صدور المتعبين. لكن اذا ماتأملنا خريطة البرامج الاذاعية والتليفزيونية نكاد لا نجد هذا أو ذاك .. ونكتشف أن الجهازين الكبيرين يعتمدان على الأفلام والمسرحيات لسد هذا الفراغ الهام.

واذا ما عدنا إلى الماضى.. حوالى ربع قرن الى الوراء.. نجد اهتماما أكبر بالبرامج الفكاهية الخاصة بالاذاعة.. كان أبرزها عامة.. برنامج «ساعة لقلبك» الذى كان يقدمه الاذاعى الكبير فهمى عمر، الذى كان يشترك فى تقديم فقراته المرحة مع يوسف عوف وعبد المنعم مدبولى. وجمع فيه مجمموعة كبيرة من الفنانين الشبان

الذين تخصصوا فى التمثيل الفكاهى .. كانت بدايتهم فى «ساعة لقلبك». ومن هذا البرنامج برز كبار نجوم الفكاهة الآن. ومنهم : فؤاد المهندس الذى كان متخصصا فى دور «محمود» وزوجته خيرية أحمد، وأمين الهنيدى الذى اشتهر بشخصية «فهلاو» الفلاح الفرانكو آراب، ومحمد أحمد المصرى وفؤاد راتب.. فى اسكتشات «أبو لمعة وبيجو»، وأحمد الحداد فى دور «الرغاية»، ومحمد يوسف فى دور «الفتوة». وغيرهم كثيرون.

ومن أبناء ساعة لقلبك.. نجم الكوميديا تمثيلا وإخراجا الفنان عبد المنعم مدبولى الذى كان يشتهر بدور الطفل «فلفل»

وكانت فرقة ساعة لقلبك تتمتع باكتفاء ذاتى فى النصوص. فمعظمهم كانوا يؤلفون الاسكتشات التى يؤدونها. ومنهم (أبو لمعة، وفهلاوة، والفتوة، والرغاية... الخ) بجانب الاسكتشات الأخرى التى كان يؤلفها أعضاء الفرقة، وفى مقدمتهم يوسف عوف وعبد المنعم مدبولى.. وغيرهما.

وبعد أن اشتهر نجوم البرنامج الاذاعى.. قفزوا الى خشبة المسرح فى فرقة تحمل اسم ساعة لقلبك. ثم اشتدت أجنحتهم.. فانطلق بعضهم بين نجوم السينما، وكون بعضهم فرقا مسرحية خاصة. ولم تعد أجور الاذاعة الهزيلة تتناسب مع مكانتهم الفنية.

واذا كان الاذاعى اللامع فهمى عمر استطاع أن يتفرغ لجمع تلك

العناصر الفنية منذ ربع قرن فى برنامج اذاعى، فليس من العدل أن نطالبه الآن بمثل هذه المهمة الكبيرة، وهو مثقل باعباء مراقبة البرامج الرياضية ... بجانب مسئوليته كمدير لاذاعة الشعب.

سألت مؤسس ساعة لقلبك: «هل أجدبت الاذاعة.. بعد برنامج ساعة لقلبك؟ وكيف تستعيد الاذاعة بسمتها؟» فأجاب:

«كانت تجربة ساعة لقلبك تعتمد على الهواة.. الذين جمعناهم من حفلات السمر فى الجامعة. ومن الممكن أن تختار الاذاعات بعض براعمها الاكفاء من المذيعين ومقدمى البرامج.. لينتشروا فى حفلات السمر، والمعسكرات الكشفية، وقصور الثقافة، والمعاهد الفنية، لتجميع المواهب الكوميدية ليكونوا نواة لفرق جديدة.. وبرامج فكاهية جديدة. لكن المشكلة فى الحصول على نصوص جيدة، والكتابة الفكاهية صعبة. وليس أمام الاذاعة إلا اغراء كبار كتاب الكوميديا المحترفين، بحوافز مادية.. لا تخضع للتسعيرة الحالية».

أننى أناشد مديرى الاذاعات المصرية.. أن يتضامنوا لاعادة البسمة إلى وجه ممصر.. بأن يكلفوا الشباب الاكفاء من الاذاعيين للتنافس فى تقديم برامج فكاهية متخصصة، يغذونها بالهواة وخريجى المعاهد الفنية، مع تزويدهم بالنصوص الجيدة.. ببذل الحوافز. ولا شك أن المنافسة بين الاذاعات الكبيرة ستخرج أجيالا متعاقبة من نجوم الفكاهة. فلم يعد مقبولا أن تعيش الاذاعات – حتى

الآن – عالة على فقرات «ساعة لقلبك» تحت عناوين مختلفة.

وليدخل التليفزيون معهم فى هذه المنافسة، أما بالمنوعات الفكاهية أو بتمثيليات السهرة، أو بتخصيص احدى المسلسلتين اليوميتين للفكاهة، ولو باعادة المسلسلات الرمضانية الناجحة. وعليه أن يستغل تميزه عن الاذاعة بالاكثار من المسلسلات الأجنبية الكوميدية التى لا تستطيع أن تنافسه فيها الاذاعة.

صبحى الجيار

* مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٨ مارس ١٩٧٨.

البيات الشتوى لمؤلفى الكوميديا !

بعد نشر مقالى بعنوان «أعيدوا البسمة لوجه مصر» وصلتنى رسالة من الزميل مصطفى عبد الوهاب الكاتب القصصى وعضو جمعية الفيلم بالقاهرة، يعلق فيها على المقال، ويلقى الأضواء على بعض الفقرات، مضيفا المزيد من ذاكرته القوية على بعض النقاط التى أوردتها فى مقالى.

واستكمالا للموضوع الذى ناقشته فى مقالى، أرى من واجبى أن استعرض فقرات من رسالته القيمة.. مع تعليقى عليها.

يبدأ الزميل مصطفى رسالته بشرح أهمية الضحكة فى حياة الانسان.. والمصرى بالذات، مؤكدا أن البسمة ليست ترفا.. بل ضرورة من ضرورات اعادة التماسك والثقة والتفاؤل والقدرة على الصمود.. يقول :

«.. فبالضحكة نتعرى.. وبالضحكة نتطهر، ونكشف عن عيوبنا.. وننقد أنفسنا.. ونعدل من سلوكنا، ونجدد رؤيتنا للواقع فى ظل المتغيرات الجديدة التى تطرأ عليه».

وبعـد أن يؤكـد ضـآلة المسـاحـة الفكاهيـة على خـريطة الاعـلام المصرى بما لا يتناسب مع أهمية المادة الضاحكة .. يعرف الضحك المطلوب بقوله :

« أنا أشجع كل أنواع الاضحـاك حتى ذلك الذى لا يقول شيئا على الاطلاق.. ويكفى أن يكون عفيفا ومهذبا ومشيعا للبهجة. ولنعطه فى تقديرنا بعد ذلك أقل الدرجات بما يتناسب وقيمته الفنية دون أن نلفظه أو نرفضه».

وهو فى هذا لا يرفض مبدأ الضحك للضحك. وأنا أوافقه على هذا الهدف ما دام المضمون غير مسف والألفاظ غير بذيئة. فالضحك فى حد ذاته مفيد للانسان فسيولوجيا وسيكولوجيا ، ولا بأس من التغاضى عن الفائدة العقلية والثقافية فى بعض الأعمال الفكاهية، ما دامت ستتوفر لنا الفائدة الجسدية والنفسية والترويحية، وهى حصيلة ليست هينة.. بل ضرورية..

وفى استعراض تاريخى عن الفنانين الذين خرجوا من معطف «ساعة لقلبك» يضيف الزميل مصطفى عبد الوهاب مجموعة من الأسماء قد يدهش لها القارىء المعاصر مثل : جمالات زايد، نبيلة السيد، محمد عوض، عبد المنعم ابراهيم، حسين عبد النبى، والفنانة القديرة سناء جميل، والمخرج اللامع نور الدمرداش، الذى كان يكتب فقرة بعنوان «فرقة الفرفشة والنعنشة» ويشترك فى تقديمها!

«ثم يبدى صاحب الرسالة أسفه على اختفاء البرامج الفكاهية الناجحة التى كانت تقدمها الاذاعة.. مثل : البرنامج الفكاهى الموسيقى «صواريخ» الذى كان يقدمه المرحوم الفنان المأمون أبو شوشة، والبرنامج التمثيلى الظريف «مطبات فى الهوا» الذى كان يقدمه كامل يوسف مستهدفا الاختبار المرح لذكاء المستمع وسرعة بديهته. والذى منعته الاذاعة حتى لا يتعلم الناس الكذب!، «ويوميات أمشير» التى كان يكتبها ويمثلها أحمد شكرى. وحلقات «مصلح زمانه» التى كان يكتبها المرحوم عباس الأسوانى ويمثلها عبد المنعم إبراهيم. كذلك اختفت البرامج التى كانت تتناول تحليل الشخصية المصرية بعمق وسخرية مثل : البرنامج الدرامى «شخصيات تبحث عن مؤلف» من إخراج السيد بدير، وبرنامج «جرب حظك» الذى كان يقدمه الاذاعى القدير طاهر أبو زيد».

واذا كنت أشاطر الزميل مصطفى عبد الوهاب أسفه على اختفاء هذه البرامج الفكاهية الرائعة، فانى لا أظنه يطالب باعادتها، فكل منها مرتبط بشخصية فذة معينة.. كمقدم أو مؤلف أو مخرج. يعتمد عليه كل الاعتماد . ولا يمكن أن نتصور أفرادا غيرهم يعيدون تقديم هذه البرامج.. وإلا ظهرت مسخا مقلدا ممجوجا. لكن أرض مصر العريقة لن تعجز عن انجاب مثل هذه الكفاءات النادرة.. اذا شجعنا الجيل الجديد بالحوافز واتاحة الفرص.

ثم يتساءل الزميل مممصطفى عبد الوهاب فى استنكار: «لماذا لا تظهر المادة الفكاهية - بالرغم من أهميتها - على سطح برامجنا إلا بصورة موسمية؟ فى رمضان مثلا. لماذا فى رمضان بالذات تهتم بتقديم الصورة الغنائية الضاحكة «السمسمية» التى يكتبها حسين طنطاوى، ويلقيها سيد الملاح؟ لماذا فقدنا اهتمامنا بالمنولوج برغم أنه مادة ضاحكة محببة لنا كمستمعين ومشاهدين؟ وقد ارتبط بهذا اللون فنانون شعبيون حملوا شعلته لسنوات طويلة بنجاح واقتدار منهم : سيد سليمان، حسين المليجى، اسماعيل ياسين، محمود شكوكو، ثريا حلمى، سعاد أحمد. ولقد سعدت كثيرا بتخصيص حلقة «ألحان زمان» التى أذيعت يوم ٣/٣/٩٧٨ من البرنامج العام عن هذا اللون الفنى الخفيف».

واذا كان الأخ مصطفى قد ذكر الرواد الأوائل لفن المنولوج، ويطالب باذاعة تسجيلاتهم القديمة، فانى أضيف أن الجيل الجديد من فنانى المنولوج مازالوا يقدمون فنا ضاحكا مسليا، أمثال : أحمد غانم، سيد الملاح، لبلبة، نبيل فهمى، فكرى الجيزاوى، حمادة سلطان وغيرهم.

ثم يختتم الأخ مصطفى حديثه عن البرامج الضاحكة الاذاعية، بالاشادة بالبرنامج الترفيهى الضاحك الذى يقدمه الاذاعى المخضرم على فايق زغلول بعنوان «الغلط فين» ويتمنى أن تكثر الاذاعة من هذا النوع.

ثم يشرك التليفزيون مع الاذاعة فى مهزلة البيات الشتوى الذى يعطل نشاط المؤلفين طوال السنة، ولا تكاد أعمالهم تظهر إلا مرة

واحدة فى رمضان بالذات، ويعلق على هذا بقوله :

« على مدى السنوات الماضية.. تعرفنا على الكتاب : أنيس منصور كمؤلف كوميدى فى مسلسل «العبقرى»، وأحمد بهجت فى مسلسل «اللهم انى صايم»، وعاصم توفيق ومصطفى كامل فى «الفنان والهندسة» «وجحا المصرى» «وأيام المرح»، وحسين عبد النبى فى «الأستاذ شحاته» ولينين الرملى فى «فرصة العمر» «وحكاية ميزو». وكل هذه الحلقات أذيعت - فقط - فى رمضان. وقد كان فى الامكان الاستفادة من هذه الطاقات الخلاقة ليملأوا حياتنا بالبسمة طول العام».

ويختتم الزميل مصطفى عبد الوهاب رسالته القيمة بقوله :

«علينا أن نتذكر أن الأعمال الكوميدية الانسانية الجيدة. جزء لا يتجزأ من أزمة الفكر والثقافة والتعبير بشكل عام. ويوم أن ندرك أن الأعمال الكوميدية تملك من الامكانيات ما يجعلها ترتفع عن هدف الاضحاك فقط ، الى القدرة على الامتاع والتأمل وتغيير القيم والعادات المتخلفة بقيم أخرى عصرية وفاضلة.. يوم ندرك أن الأعمال الكوميدية قادرة على التعبير عن أدق المشاكل وأهم القضايا التى يموج بها المجتمع.. سنشعر جميعا أن البسمة تفترش وجه مصر.. وسنكون قد وضعنا - عندئذ - أقدامنا على الطريق الصحيح.

صبحى الجيار

---

* مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٢٥ مارس ١٩٧٨.

لوليتا.. وغرام الشيوخ

«لوليتا» بطلة رواية باسمها من أشهر القصص العالمى، التى استغلتها السينما الأمريكية، لطرافة أحداثها ، التى تدور بين رجل كهل وفتاة مراهقة، وأصبحت هذه العلاقة بين الربيع والخريف تسمى مجازا بعقدة «لوليتا» وهى أصلا نابعة من نظرية «فرويد» المسماة بعقدة أوديب، وقد اقتبسها من أسطورة أوديب الملك الذى قتل أباه وتزوج أمه دون أن يعلم..

وعقدة أوديب ليست مقصورة على العلاقة النفسية بين الابن وأمه، بل تشمل أيضا علاقة البنت بأبيها. وقد تناولتها أقلام الكتاب مرات عديدة كأساس لموضوعات روائية ودرامية، وعالجتها من زوايا ممختلفة.. من أبرزها أن ارتباط الفتاة برجل كبير السن.. من خلال الصور الذهنية التى تحملها لأبيها.. تدفعها إلى التعلق به. خاصة فى حالة حرمانها من الأب.

وقد تكررت قصة «لوليتا» المصرية على الشاشة الصغيرة عدة مرات متقاربة فى الفترة الأخيرة، وأصبحت «بدعة الموسم» بعد أن تخلصنا من بدعة زواج رب الأسرة بالشغالة، التى كانت فى فترة ما محور كثير من المسلسلات التليفزيونية.

على أية حال فبدعة غرام الشيوخ بالمراهقات - رغم شذوذها - أقل خطرا على المجتمع من انحراف رب الأسرة مع الشغالة، خاصة وأن عنصر فارق السن كان في الغالب موجودا بين الزوج الشيخ الشهم، والشغالة الشابة المغلوبة على أمرها!

نعود إلى موضوع «لوليتا» المتكرر بصور مختلفة في المسلسلات التليفزيونية. والتى بدأت بغرام عنيف بين الفنان «كمال الشناوى» الأستاذ بمعهد التمثيل وتلميذته «هناء ثروت» في مسلسل عيون الحب تأليف د. بهاء الدين ابراهيم، وكان غراما صريحا عنيفا، تعادلت فيه العاطفة بين الطرفين، حتى أصيب الأستاذ بانهيار عصبى شديد بعد صراع نفسى عنيف بين واجبه نحو زوجته، وعاطفته الجياشة نحو تلميذته التى تزوجها فعلا. ثم تدخلت القيم التربوية، والرقابة الصارمة للجهاز الاعلامى الحكومى، فأهدوا الزوجة الشابة الى شاب فى مثل سنها.. وعاد الزوج الشيخ الى بيته وزوجته القديمة بعد أن عالجوها من الشلل.. وانتصرت الفضيلة..!

أما لوليتا الثانية.. فكانت أيضا الفنانة الصاعدة «هناء ثروت» طالبة الطب، التى أحبت أستاذها الفنان «يحيى شاهين» الطبيب الكبير، فى مسلسل «وفاء بلا نهاية» تأليف الدكتورة أميرة أبو الفتوح.

أننى لا اعترض على صحة الدوافع التى أشعلت الغرام بين الأستاذ وتلميذته. ولكن.. هل من المنطق أن تخبو فجأة هذه العاطفة

المتأججة بعد صراع طويل مع العقبات.. التى زالت فعلا بموت زوجته، وانفصالها عن خطيبها؟.

ربما اضطرت المؤلفة إلى هذه النهاية «المثالية» نزولا على ارادة الرقابة التليفزيونية المتعسفة، التى يحكمها «موظفون» يطبقون لائحة جامدة، تعرف - من أيام الفراعنة باسم «أخلاقيات الاذاعة» ثم أصبحت تطبق على الاذاعة بشطريها .. المسموعة والمرئية.

لست أدعو بالطبع إلى الانحلال والتسيب، لكنى اعتقد أن زواج الطبيب الكبير «الأرمل» بالطبيبة الشابة النابغة.. لا يعتبر جريمة اجتماعية.. واذا كان أنصار حزب المحافظين يرجحون نجاح الزيجات بين الأعمار المتقاربة، فالأصل فيها أن تتقارب الأمزجة، والعواطف والتفاهم المتبادل. والتوافق العقلى والجنسى. واعتقد أن هذه العناصر كانت متوفرة بين هذا الطبيب وتلميذته بالذات. كما أفهمتنا أحداث الرواية. وأعتقد أن فرصة سعادتها معه أكبر من نجاحها مع الطبيب الشاب الذى كانت تنفر من مطاردته وتودده الملح الذليل.

ليس هذا رأيى الشخصى تأسيسا على منطق الأحداث، بل هو رأى العلم أيضا. فقد خطر لى أن أسأل عالما متخصصا فى الطب النفسى، فاستشرت شيخ الاطباء النفسيين وأستاذهم فى مصر الدكتور الجليل مصطفى زيور. وبعد أن شرحت له الموقف، ومكونات الشخصية لكل من الأستاذ الطبيب «يحيى شاهين» وزميلها الشاب

«سمير حسنى»، سألته : هل من الممكن أن يكون زواج الطبيبة الشابة من أستاذها أكثر توفيقا وسعادة من زواجها بزميلها الشاب؟. أجاب العالم النفسى الكبير بألفاظ محددة: «ممكن جدا.. ولكن هذا يتوقف على التركيب السيكولوجى لكل منهما». قلت : اعتقد أن هذا الشرط ينطبق أيضا على زواجها من زميلها الشاب. وبالتالى لا يكون فارق السن أساسا لفشل الزواج اذا ما كان التركيب النفسى لكل منهما سويا؟

قال : «نعم».

وعدت أسأله مستكملا جوانب هذه القضية الشائكة : «وهل أحاسيس الفتاة تجاه أستاذها تكون طبيعية، بحيث تمارس معه العلاقة الزوجية كأى رجل وامرأة أسوياء، أم أنها تصدم عندما يطالبها بواجبات الزوجة كما رأينا فى بعض الأفلام المصرية؟ قال: «من الممكن جدا أن يجمعهما توافق جنسى طبيعى تماما».

أننى فى الواقع لا أدعو الى الزواج غير المتكافىء فى السن، ولكنى اعترض على تشويه التسلسل الدرامى بافتعال نهايات مبتورة.. حماية لتقاليد جامدة.. واعتقادات وهمية.

أما «لوليتا» الثالثة، فهى الوجه البرىء «شيرين» طالبة الحقوق مع المحامى الكبير الفنان «أحمد خميس» الذى كان أيضا أستاذها «من منازلهم» وذلك فى المسلسل الأخير «امرأة.. غيرها» تأليف وفية خيرى. وفى رأيى أن حكاية لوليتا الثالثة هى أكثر الحكايات واقعية

ومعقولية. البنت مراهقة غريرة، فقدت حنان أبيها المتوفى حديثا. وفقدت رعاية أمها المشغولة عنها بأمور أخرى. فوجدت نفسها ضائعة فى فراغ وقلق، لم ينقذها منه غير المحامى الشيخ الوقور. فلجأت إليه لتحتمى به، وليحل مكان أبيها، ويملأ الفراغ العاطفى الذى تركه أبوها فى حياتها. ولما كانت نظرية «فرويد» تفترض أن البنت تتقمص شخصية أمها حيال أبيها، فقد توهمت أنها تحب بديل الأب. لكنها عندما صادفت الزميل الشاب، وتجاوبت مع أفكاره وأماله وميوله.. أفاقت لنفسها. وصححت مسار عاطفتها الواهمة.. وبشجاعة صارحت صديقها الشيخ بحقيقة مشاعرها وتحولها عنه إلى الحبيب الشاب. وفى شهامة واستسلام يتقبل المحامى الكبير الصدمة القاسية، ويجفف دموعه، ويعلنها بأنه لن يتخلى عنها كأخته الصغرى إلى الابد.

حدوتة نموذجية مدروسة، توجت بها الكاتبة السيناريست وفية خيرى.. هذا الفيض من غرام الشيوخ. ولعلها تكون الأخيرة.. تفاديا للتشابه والتكرار. مادامت النهايات كلها متشابهة. ومقضى عليها بالاعدام، وطالما كانت لائحة الأخلاقيات الاذاعية تتقمص شخصية الشيخ علام اياه فى قولته المشهورة : «الجوازة دى مش ممكن تتم».

صبحى الجيار

---

* مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ١٢ مايو ١٩٧٩.

«لوليتا».. بين المعارضة والتأييد

لم أكن أتوقع أن مقالى الاسبق عن «لوليتا.. وغرام الشيوخ» سوف يثير مثل هذه المناقشات والآراء.. بين مؤيد ومعارض. وقد وصلتنى عدة رسائل تحمل وجهات نظر مختلفة، اخترت من بينها رسالتين تعرضان وجهتى النظر المتعارضتين فى هذه القضية، اقدمهما فى هذا المقال بأمانة وحياد، محتفظا بحقى فى التعليق والتعقيب.

أول رسالة من الزميل الأديب مصطفى عبد الوهاب، الكاتب القصصى الشاب. والناقد السينمائى بجمعية الفيلم. وقد تحدث فى رسالته عن عقدة لوليتا على الشاشة السينمائية بقوله :

«لا شك أن اقتحام الفن السينمائى للعالم الداخلى للشخصية الانسانية، مستفيدا من الانجازات العلمية التى تحققت فى مجال التحليل النفسى، كفيل باثراء الموضوع السينمائى بمادة جديدة وجادة وشيقة، خصوصا عندما ينجح فى الكشف عن هذا العالم الداخلى الغريب الذى نعيش فيه ويعيش فينا، دون أن ندرك أسراره وخباياه.

ثم يعقب على مقالى عن عقدة لوليتا فى الدراما التليفزيونية بقوله:

«أرجو أن ألقى بعض الأضواء على نفس الموضوع فى السينما العالمية ثم المصرية بصفة خاصة. ولن يتسع المجال بالطبع لعقد مقارنة مستفيضة بين كل فيلم وآخر .. ولكنى سأحاول استعراض هذه التجارب فى جولة سريعة متوقفا عند المتميز منها.

فلقد شاهدنا هذا الموضوع فى أفلام «العجوز والمراهقة» لروبرت ميتشوم، وفيلم «الطالبة والأستاذ» للورنس أوليفييه، وفى فيلم باسم «لوليتا» عن قصة «فلاديمير باكوف» وإخراج ستانلى كوبريك، قام فيه «جيمس ماسون» بدور أستاذ الأدب الفرنسى الذى أحب «سوليون» فى دور «لوليتا» وعشقته هى أيضا. وكان على علاقة فى نفس الوقت بأمها الارملة اللعوب «شيلى وينترز» التى ماتت فى حادث سيارة. ويغار عليها ماسون، ويحاول الحد من حريتها، فتضيق به وتهرب منه إلى من يقوم باغرائها للعمل فى السينما «بيتر سيلرز» الذى كان عشيقا لأمها فى يوم ما.. ثم يتخلى عنها فتتزوج بشاب آخر.. وعندما يعثر عليها ماسون، ويطلب منها العودة اليه. تعتذر له بأنها على وشك الانجاب من زوجها، وأن الوقت قد حان للاستقرار والتخلى عن طيش المراهقة.

يمر هذا الفيلم على الأحداث والشخصيات بسطيحة شديدة،

بينما كانت الفرصة سانحة أمامه للتحليل المتأنى، الذى يكشف لنا عن الدوافع الكامنة وراء تصرفات كل شخصية من شخصياته المركبة، وهذه العلاقات المعقدة.

أما فى السينما المصرية، فلقد أدهشنى وأنا أتصفح قائمة الانتاج السينمائى منذ خمسين عاما للآن، أننا تناولنا هذا الموضوع خلال العشرين عاما الأخيرة فقط، وبصورة مباشرة، فى عدد من الأفلام لا يقل عن الخمسة عشر فيلما، كان انتاج الغالبية العظمى منها لأهداف تجارية بحتة. فمنها من اهتم باستعراض الحماقات والنزوات التى يرتكبها الشيوخ المراهقين فى أسلوب كوميدى، ولا أقول ساخر.. بل هزلى. مثل علاقة المفكر المتزمت بالغانية الصغيرة فى فيلم «الرباط المقدس» لمحمود ذو الفقار. ثم فيلم «المراهق الكبير» لنفس المخرج . وفى «رحلة العمر» لسعد عرفة، و«المراهقان» لسيف الدين شوكت. وبعض هذه الأفلام يهزأ من مشاعر العاشقة المراهقة دون أدنى محاولة لتفسير هذه المشاعر أو تحليلها.. مثل أفلام : «بنت ١٧» لكمال عطية، و«الشيطانة الصغيرة» لكمال الشيخ، و«المراهقة الصغيرة» لمحمود ذو الفقار، و«التلميذة والأستاذ» لأحمد ضياء الدين. وبعض هذه الأفلام يهدف الى الكشف عن أكبر مساحة ممكنة من جسد الممثلة التى يتعلق بها رجل فى خريف العمر مثل : «رجال فى العاصفة» لحسام الدين مصطفى، و«شىء من العذاب» لصلاح

أبو سيف، ومنها من جعل حب الرجل الكبير للفتاة الصغيرة على هامش الفيلم.. يظهره فقط عندما تحتاج الأحداث الى شهامته ورغبته فى ستر الولايا مثل : «نغم فى حياتى» لبركات، و«توحيدة» لحسام الدين مصطفى. وقليل من هذه الأفلام الذى تناول القضية بجدية مثل : «لا أنام» لصلاح أبو سيف، الذى نشعر فيه أن العلاقة مبررة تماما فى تعلق البنت المراهقة، التى فقدت اهتمام الأب وحنانه بعد زواجه بغير أمها، بالعشيق الذى يقترب من سن أبيها. وكذلك فى «بين الاطلال» لعز الدين ذو الفقار، الذى نرى فيه انجذاب الكاتب الكبير إلى فتاة صغيرة فى عمر ابنته، بعد جفاف حياته العائلية لمرض زوجته الطويل، ولعل فيلم «روعة الحب» الذى أخرجه محمود ذو الفقار يعتبر من أهم أفلام هذه النوعية الذى قدم لنا رؤية متزنة وواقعية للبنت الشابة التى فقدت أباها وكانت شديدة التعلق به، فتتحول عاطفتها الى صديق الأسرة الكهل. وتتطور العلاقة بينهما فيتزوجها. وعندما تستشعر رغبته فى تملكه لها، وغيرته الغبية عليها، تنفر منه، وتتركه بارادتها، وتنتظر عودة حبيبها من جديد».

ثم يدلى الزميل مصطفى عبد الوهاب برأيه الصريح فى هذه القضية فيقول :

«المهم أن هذه الأفلام جميعها بلا استثناء فشلت فيها تجارب الالتقاء بين الربيع والخريف، ولم ينجح أبطالها فى اقامة حياة سوية

وسعيدة لاختلاف أعمارها وتجاربها ومستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، وأننى فى رأيى الشخصى اتفق مع هذه النهايات تماما. بصرف النظر عما تتصف به هذه الأعمال من جدية أو تفاهة».

واترك رسالة الأخ مصطفى عبد الوهاب جانبا، لاستعراض الرسالة الثانية التى وصلتنى بتوقيع «السيدة س». هكذا شاءت أن ترمز لاسمها تفاديا للحرج، وحتى تستطيع أن تعرض تجربتها بصراحة.

تبدأ بتقديم نفسها فتقول أنها فى الثانية والثلاثين من عمرها. تزوجت من أستاذها فى الجامعة بعد التخرج منذ سبع سنوات، وهو أكبر منها بحوالى ربع قرن، ومع ذلك لا تشعر بفارق السن بينهما، لأنه انسان مرح، متفائل، مثقف.. مما يؤهله للتأقلم مع أى سن.. حتى الأطفال. كما أن صحته النفسية والجسدية أفضل من شاب فى نصف عمره.. لأنه رياضى، نشيط، لا يدخن ، ولا يشرب الخمر، ولا يسهر خارج البيت..

وبعد أن تستطرد السيدة «س» فى استعراض حياتها السعيدة تستشهد بقصص واقعية من الحياة، اهتمت بتجميعها لتشابهها مع ظروفها الخاصة، ذكرت منها على سبيل المثال : الفنان العالمى تشارلى شابلن الذى كانت آخر زوجاته فنانة شابة عاش معها

سعيدا لآخر أيام عمره الطويل. والنجمة العالمية «صوفيا لورين» التى تتكلم دائما عن سعادتها فى حياتها الزوجية ، التى دامت ٢٧ عاما حتى الآن مع المخرج الكبير «كارلو بونتى» الذى يكبرها بأربعة وعشرين عاما، والرسالم العالمى «بيكاسو» ظل سعيدا مع زوجته الشابة الى أن توفى بعد التسعين. والكاتب العالمى «البرتو مورافيا» اعترف أخيرا بأنه يعيش فى سعادة مع صديقته «داتشيا مارتينى» منذ ستة عشر عاما. وهذه الصديقة أصغر منه بخمسة وثلاثين عاما. ومن نجوم السياسة، أعلن «فيلى برانت» مستشار ألمانيا الغربية السابق أنه يعيش قصة حب عنيفة مع سكرتيرته الصحفية السابقة بريجيت سيباخر» التى عمرها ٣٢ عاما فقط .

واكتفى بهذه النماذج ممن ذكرتهم لوليتا المتحمسة السعيدة «السيدة س» التى تحاول تحطيم الوهم الشائع عن فارق السن. وأعود فأقول.. أن من قرأ مقالى بامعان يجد أننى لم أقصد تأييد فكرة الزواج بين الشابات والكهول، بدليل أنى استحسنت معالجة الكاتبة وفية خيرى لهذه القضية ضمن ممسلسل «امرأة غيرها» وقلت : «أنها حدوتة نموذجية مدروسة، تحكى مشكلة واقعية معقولة». لكنى استنكرت معالجة نفس القضية فى مسلسل «وفاء بلا نهاية» لتشويه التسلسل الدرامى فيها، وافتعال نهاية مبتورة غير منطقية لمجرد الانتصار لتقاليد بالية لا تستند إلى العلم، واستشهدت برأى عالم

نفسى جليل يؤكد رأيى الفنى فى هذا البناء الدرامى المتهالك.

وأعتقد أننا اذا ناقشنا هذه الحقائق الواقعية، ورأى العلم فى أعلى درجاته، بعقلانية وصراحة، فاننا سنصل الى نتيجة منطقية، وهى أن نجاح أى زيجة لا يرتبط - أساسا - بعدد سنوات العمر، بقدر ما يخضع للتركيب النفسى لكل من الطرفين.

صبحى الجيار

---

* مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٢٦ مايو ١٩٧٩.



اللوحة المرسومة بريشة صبحي الجيار

بورتريه

خيري شلبي

عن رحيل الأديب صبحى الجيار
تجليات مصرية فى نماذج إنسانية

يظل الانسان سيد هذه الأرض بدون منازع، ويظل قبل كل شىء سيد مصيره بدون أدنى جدال.

وقد حدثنا التاريخ - ويحدثنا الواقع كل يوم - عن صور متعددة متكررة من ذلك النموذج الإنسانى العظيم، الذى انتصر على كل المعوقات، وسيطر على سوء حظه وتحدى امكاناته المتاحة، وخلق من نفسه شخصية عظيمة ومؤثرة فى المجتمع وفى الحياة بدرجات تفوق ما يحققها الأصحاء المتمتعون بكافة الامكانات الذاتية.

ومن الثابت أن العملية الإبداعية فى الإنسان تستطيع أداء وظيفتها كاملة حتى فى ظل المعوقات الجسدية، ولابد أننا قرأنا كثيرا فى بعض المجلات والدوريات عن حالات كهذه نبغت فى مجالات متعددة فى الفنون والآداب والعلوم، فى أماكن متعددة من العالم. فهناك حالات تكاد تكون أسطورية، مثل ذلك الذى تدرب على الكتابة على الآلة الكاتبة بأصابع قدميه فبرع فى ذلك أكثر ممن يستخدمون

أصابع أيديهم، ومثل ذلك الذى فقد أصابع يديه وقدميه وكان يهوى الرسم فدرب نفسه على امساك الفرشاة بفمه بين شفتيه، ورسم بهذه الطريقة لوحات نادرة تزاحم عليها المشترون.

وفى بلادنا مثل شعبى يقول : «كل ذى عاهة جبار». وهذا المثل العميق شأنه شأن كثير من أمثالنا الشعبية يتداوله الناس على الوجه المعكوس، أى على الجانب السيىء. فالعامة يقصدون بهذا المثل - مثلا - أن ذوى العاهات ناس ليسوا من الأخيار أو بمعنى آخر يجب الا يؤمن جانبهم، مع أن حقيقة جوهر المثل تعنى أن ذوى العاهات فى العادة أقوياء أصلاب فى مواجهة الحياة ومشاكلها اذ أن الطبيعة البشرية تعوضهم عما خسروه من امكانية نتيجة لاصابتهم بهذه العاهة أو تلك . وربما يتضمن معنى التجبر هنا بعض ما يمكن أن يتواجد فى صاحب العاهة من حدة أو قسوة طبع فى بعض الحالات الشاذة أو جدية شديدة تبررها ظروفه النفسية الخاصة التى ينبغى علينا أن نضعها فى اعتبارنا ونحن نتعامل مع هذه النوعية الحساسة من البشر.

ولأبى عثمان الجاحظ كتاب من عيون الكتب التراثية عنوان «البرصان والعرجان والعميان والحولان»، وضعه عن بعض أولئك الذين أصيبوا بواحدة من هذه العاهات: بالتحديد عن نماذج المبدعين منهم، ليثبت للقراء أن هذه العاهات - أو غيرها - لا تصلح

مبررا للحط من قيمة الانسان أو التقليل من شأنه، كما أنها لا تعوقه عن الابداع أو أداء الوظائف التى يضطلع بها الأصحاء.

وأورد الجاحظ فى كتابه هذا أخبار طائفة من هؤلاء القوم توفرت فيهم المواهب الكبيرة رغم امتحانهم بهذه العاهات، فمنهم الشعراء والفرسان والقادة وكبراء القوم، قد صفت نفوسهم وكبرت عقولهم فارتفعوا فوق الشعور بالنقص وتجاوزوا الاحساس بالعقدة، فكانوا يسخرون من العاهة .

ومن النماذج الانسانية المعاصرة، التى يجب أن نفخر بها حقا، شخصية الفقيد الأديب الكبير الراحل «صبحى الجيار»، الذى انتصر على ظروفه المرضية، وضرب المثل على قوة احتمال الرجال. وحيث كان من المتوقع لمن فى مثل ظروفه أن يلقى به الكسل والاحباط فى عالم النسيان، اذا به يتحدى هذه الظروف ويخلق من نفسه علما من أعلام مصر.

ذلك أن «صبحى الجيار» قد أدركه الداء العضال فى صباه المبكر، اذ فوجئ بأنه غير قادر على الحركة نهائيا..

كان عليه حينئذ أن يقضى عمره كله ممدداً على سرير، يبحث عمن يفعل له كل شىء ويساعده على قضاء حاجاته.

ولم تكن تنقصه الوسامة، ولا الجمال، فأنت حين تدخل عليه حجرته تفاجأ بوجه بشوش كالقمر، مصفف الشعر بعناية، يستند

على وسادة مرتفعة قليلا، الصفاء يسرى فى ملامحه كأطهر خلق الله، والبسمة العريضة الودودة على شفتيه كأسعد رجل على ظهر الأرض. ودائما تجده فى استقبال زاوره بالملابس الكاملة - ملابس الخروج - حيث السترة الأنيقة ورباط العنق - كما تقابلك نعمات حامد عيسى وهى سيدة فاضلة تسهر على خدمته وتقوم بأعمال السكرتارية التى يحتاجها عمله. فى هذه السيدة تتمثل شخصية «صبحى الجيار»، بكل قيمه الأخلاقية الفاضلة، وأسلوبه الراقى فى التعامل مع الناس والحياة، وحبه الشديد للناس وللحياة، وعقله المتفتح اللامع، وقلبه الكبير الذى يتسع لآلام كل البشر ولأحلامهم. كل ذلك كان ينعكس على هذه السيدة الفاضلة التى ظلت تتفانى فى خدمته طول العمر، بكل أريحية وتقدير ومازالت وفية على عهده حتي الآن.

إن أول شىء يلفت النظر فى «صبحى الجيار» عند مرآه للوهلة الأولى هو ذلك النبض الحيوى المتدفق من ملامحه المنبسطة بغير تعقيد ولا التواء وذلك الطموح الذى يطل من عينيه ليسافر إلى بعيد، لينطلق الى أعلى ، معانقا شوامخ الأحلام، حتى لكأنه انسان بلا أى مشاكل على الاطلاق، كأنه مولود الآن لتوه لم يتعرف بعد على طبيعة الدنيا الدنيئة ولم تلمسه أو حالها.

وحقيقة الأمر أنه قد ارتفع بمستوى مشاكله، نفى همومه الذاتية

كإنسان من حقه أن يعيش. ونفى كذلك ذلك العدوان المرضى على جسده .. وشاء أن ينكل بهذا المرض وأن يوقفه عند حده.. بالعمل، العمل الدءوب المثمر الخلاق.

بداية الانتصار على المرض المعوق - اذن - هى اكتشاف الانسان المبكر للهدف الاسمى، وتحديده، والالتصاق به، والتوحد معه. وقد اكتشف «صبحى الجيار» هدفه الحقيقى منذ وقت مبكر فعلا، وتحدد ذلك الهدف فى قضية التعبير عن آلام البشرية فى كل مكان، وعن الطموحات الانسانية الكبيرة، وعن انتصار الانسان على كل المعوقات، والكشف عن خبايا النفس الانسانية وتعريضها لضوء الشمس.

وقد نجح «صبحى الجيار» فى هذا الى حد كبير..

كانت هوايته للأدب والكتابة القصصية قد ملكت عليه كل حواسه، يقضى النهار والليل مضطجعا على ظهره فوق سرير صنع خصيصا من أجله يستطيع التحكم فى رفع وخفض وسادته دون جهد. من فوق هذا السرير فى حجرة بشقة فى حى مصر القديمة انطلق اسم «صبحى الجيار» معانقا أعين القراء.

وكان من الممكن أن يكتفى بالكتابة وحدها باعتبارها فى حد ذاتها مسئولية كبرى يلزمها تركيز شديد..

لكن هذه الشخصية الجبارة آثرت أن تحمل مسئولية مزدوجة،

مسئولية الكتابة ومسئولية النشر معا. كيف؟. لقد قرر انشاء مجلة أدبية خاصة به، ليس لنشر انتاجه وحده فحسب، بل لنشر انتاج كل من يحمل القلم فى البلاد ولا يجد فرصة سانحة للنشر.

وهكذا جاءت مجلته ألشهيرة «قصتى»، تلك المجلة الحميمة التى دخلت فى ذكريات جيلنا كله وساهمت فى تكوين معظم كتابه.

مازلت احتفظ بنسخ من هذه المجلة الحميمة - قصتى - التى كان يصدرها ويحررها «صبحى الجيار»، بأغلفتها الجميلة وما عليها من صور ملونة، وحجمها المناسب حيث يمكن وضعها فى الجيب، وتبويبها المتناسق، وغناها بالموضوعات الأدبية والقصص والخواطر والتعليقات.

فى هذه المجلة تعرفت على كثير من الكتاب أبناء جيلنا ممن تربوا على صفحات هذه المجلة: أحمد بهجت، غالى شكرى، عبد العال الحمامصى، الخضرى عبد الحميد، بالاضافة إلى مجموعة من الكتاب كانوا مواظبين على الكتابة أيامذاك وكفوا الآن عن الكتابة فلم نعد نقرأ لهم شيئا، وكأن الكتابة بالنسبة لهم كانت مجرد ولاء لهذه المجلة، حين توقفت عن الصدور توقفوا هم عن الكتابة. أذكر منهم «كمال مرسى بدر» المحامى - شقيق اللواء زكى بدر وزير الداخلية - و«مصطفى كمال حمدى»، و«مصطفى كامل فليفل» وغيرهم وغيرهم.

من الأبواب الحميمة فى هذه المجلة باب الأقصوصة وكان يحتل بضع صفحات فى نهاية العدد، كان هذا الباب أشبه بمعمل تجريبى لتفريخ كتاب القصة، وترجع أهميته إلى أنه كان يطلب من يشارك فيه أن يكتب قصة لا تزيد على بضعة أسطر، بحيث تجىء مكتملة لكل العناصر القصصية التى تتألف منها القصة القصيرة.

على صفحات هذا الباب تألق الشبان الكاتبون وازدهرت قرائحهم الأدبية فكتبوا أشياء غاية فى الجمال والتركيز.

لم يكن ينافس هذه المجلة فى حب القراء وفى الانتشار سوى مجلة «القصة» التى كان يصدرها «إبراهيم ناجى»، والتى رأس تحريرها الكاتب الكبير «صلاح حافظ» ردحا من الزمن..

على أن هذه المجلة - مجلة «قصتى» - توقفت عن الصدور فى عز مجدها، أما لعجز محررها عن تمويلها، اذ أنها كانت تحترم المادة الأدبية فلا تتكالب على نشر الاعلانات، وأما لأن المحرر لم تعد ظروفه الصحية تساعده على الاستمرار.

وأعتقد أن السبب الأول هو الذى أدى الى توقف هذه المجلة، لأن «صبحى الجيار» - حسب فهمى لشخصيته لم يكن يضن بالجهد، وليس هو بالذى تمنعه ظروفه الصحية من أداء عمل يحبه، بدليل أنه ظل يعمل بجد واجتهاد وتفان حتى آخر لحظة من عمره.

شخصية أخرى من هذا الطراز كانت معاصرة لـ «صبحى

الجـيـار» وكـانت تتـمـتـع بنفس القـدرة ونفس المواهب، وتعـيش نفس الظروف الصحية والنفسية، تلك هى شخصية الأديب الراحل «حسين القبانى»،، غـير أنـه كـان يـتـمـيـز عن «الجـيـار» بأنه يسـتطيع التنقل بواسطة عربة ذات عجل يديره بيديه.

كان «حسـين القبـانـى» أديبـا ذائع الصيت حقـا، وكـانت مـواهبـة الكبرى تتجلى فى الترجمة، وكان بارعا فى اختيار الأعمال الأدبية التى يسـهر على ترجمتها. وقد أغنى المكتبة العربية بترجمات كثيرة لأعمال أدبية شهيرة، تربت عليها أجيال من القراء وعشاق الأدب.

خيرى شلبى

* مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٤ ابريل ١٩٨٧.

مشاريع لأفلام سينمائية

مصطفى عبد الوهاب



مع أخيه الصغير مكرم واخته



صبحى الجيار فى صباه



صبحي الجبار مع آلة الكمان



مع أحد أصدقائه قبل أن يتمكن منه المرض

الخسارة التى لحقت بالسينما

لكم كنت أتمنى أن يقوم المركز القومى للسينما بإخراج فيلم تسجيلى، وأن تقوم المؤسسة المصرية للسينما بإخراج فيلم روائى عن حياة الأديب صبحى الجيار قبل رحيله.

ولكن هذا لم يحدث بكل أسف. ففى ١٩٨٣/٥/٢٣ كتبت مقالة فى هذا الشأن مطالبا بذلك فى فى جريدة العمال.

وفى ١٩٨٣/٨/٨ تقدمت بطلب رسمى أرفقت فيه سيناريو الفيلم التسجيلى «يوم من حياة صبحى الجيار» الذى قمت بإعداده إلى المخرج الفنان هاشم النحاس الذى كان حينئذ رئيسا للمركز القومى للسينما التسجيلية.

وفى ١٩٨٣/٩/٢٠ نشرت جريدة الأخبار فى باب «أخبار الناس» خطة المركز القومى للسينما لانتاج ١٨ فيلما تسجيليا من بينها فيلم عن الأديب صبحى الجيار مع أفلام أخرى للمخرج صلاح أبو سيف والرسام الكاريكاتورى رخا.

وفى ١٩٨٦/١/١٨ كتبت مقالة أخرى بمجلة الاذاعة والتليفزيون

لحث المسئولين بالمركز القومى للسينما بتنفيذ هذا الفيلم.

وعندما لم يتحقق أملى فى إخراج هذا الفيلم قمت بنشر السيناريو فى مجلة صوت فلسطين القاهرية فى أغسطس ١٩٨٦.

أما بالنسبة للفيلم الروائى فبعد حصول صبحى الجيار على جائزة الدولة التشجيعية فى التراجم الأدبية عن كتابه الرائع «ربع قرن فى القيود» عام ١٩٧٠ نشطت الصحافة الأدبية والاعلامية كالعادة لمواكبة هذا الحدث والقاء مزيد من أضوائها على حياة صبحى الجيار الانسانية والإبداعية.. حتى أن مؤسسة السينما عندما كان يرأسها الأديب الكبير عبد الحميد جودة السحار فكرت جديا فى تنفيذ فيلم روائى طويل يقوم ببطولة الفنان محمود مرسى فى دور صبحى الجيار والفنان سناء جميل فى دور رفيقة حياته نعمات - ولما لم يتحقق هذا الحلم كتبت مقالة أخرى بجريدة العمال فى ١٩٨٣/٤/١٨ مطالبا بأهمية إخراج هذا الفيلم الوثيقة الذى كنت اتنبأ له بنجاح ساحق على المستويات الفنية والأدبية والنقدية والشعبية.. وضاعت كلماتى كما هو منتظر فى ادراج الرياح.

وكان سر ايمانى العميق الذى لم يتزحزح أبدا فى قيمة هذا الرجل وحرصى على أن تكون حياته وفنه ملكا للجماهير العريضة من المشاهدين الذين لا يعرفون شيئا عنه أنه لو لم يكن لصبحى الجيار أية علاقة بالأدب أو الفن لكان علما انسانيا شامخا فى عمق

الايمان بالله وقوة الارادة وعظمة الصبر ومثالا نبيلا للرجولة والقدرة على العطاء الروحى بلا حدود والعطاء الفكرى والإبداعى العظيم.

ولو لم اكن كاتبا لتمنيت أن أكون مخرجا للأفلام التسجيلية والقصيرة على أن يكون أول فيلم أقوم بإخراجه عن حياة صبحى الجيار أحد أهم وأعظم الشخصيات الأدبية والفنية فى حياتنا المعاصرة.

ومن طرائف الأمور أن صبحى الجيار أخرج فيلم فيديو بنفسه من فوق السرير عن يوم من حياته.. والفيلم بحوزتى لمن يريد من الفنانين استكمال مسيرة إخراج فيلم تسجيلى كبير عن حياته واعتبار هذا الشريط هو المادة الخام التى يمكن الاستفادة منها عند إعداد الفيلم

سيناريو الفيلم التسجيلى القصير
يوم من حياة صبحى الجيار

قد يمر الانسان بظروف تحيل حياته إلى موت، وقد تموت فى نفسه آماله، وقد يرغمه ما هو فيه على أن يصطحب الحزن،، ماذا لو سكنت أعضاء الجسم؟ هل تتصور ؟ ماذا لو صار الانسان طريح الأرض فى شلل مقعد؟ قد تسود جميع الألوان فى عين الانسان وتذوب جميع الأشياء فى بحر الحزن، ويكون صباح اليوم القادم بلا معنى، فالشلل النازل فى جسد يطفىء شمع البهجة، لكن من قلب اليأس ينتشر نور الايمان ليحيل ظلام الغد نورا يشرق بالأمل الوهاج،، وهذا هو المثال الأستاذ الفنان صبحى الجيار، مصباح يضىء فى الظلام - بما صنعه بالعزم والاصرار والايمان - لكل من يعتبر.

تعليق صوتى : «سرد قصير ومركز لطفولة صبحى العادية قبل أن يداهمه مرض تتصلب بسببه العظام فى مفاصل الذراعين والقدمين والعمود الفقرى ويتحول الجسد إلى سجن حجرى لا يسمح بأى حركة لأى عضو من أعضائه فيما عدا أصابع اليدين وقدرا من الحركة للذراعين».

مع الصور نتابع بدء ظهور المرض فى الركبتين واستعانته بعكازين حتى الرقاد الكامل والدائم ومن الصور نرى انحسار القدرة على الحركة فى الذراعين من عجز اليدين عن التلاقى.

تعليق صوتى : «نتابع مع المعلق التعرف على الأبعاد المتعددة لمحنة المرض والعجز عن دفعه بكل الوسائل «الطب العضوى والعصبى وما يسمى بالطب الروحى واللجوء إلى الوصفات الشعبية كل ذلك ما يعانيه من فقر».

مجموعة من الصور الحية لصبحى يشرب بالشفاطة ويأكل بملاعق وشوك لها امتدادات، ويحك شعر رأسه بعصا صغيرة ويتابع الجالسين خلفه بمرآة «اذ لا يمكنه التلفت» ويضيف لسماعة التليفون امتدادا ويبتكر ونشا يساعده - أو على الأصح - يحمله وينتقل به إلى الحمام.

تعليق صوتى : «فرض على صبحى الجيار أن يحيا عمره منذ الخامسة عشرة فى هذا الجسد المتحجر.. كيف يحيا يومه العادى ويلبى احتياجاته الضرورية - الطعام - الشراب - الدخول إلى الحمام - الاغتسال - ومع انحسار قدرة الذراعين على الحركة.. كيف يمكنه تناول الأشياء؟».

صبحى يكتب على مسند خشبى خاص.. ونعمات تقوم بأعمال السكرتارية والكتابة على الآلة الكاتبة.

تعليق صوتى : «انقطع صبحى عن الدراسة وأصبح مواجها

بضرورة العمل كى يعول نفسه وينفق من كسبه ما يتطلبه الجسد المثقل بالأمراض الناجمة عن مضاعفات الرقدة الدائمة.. ويجرب صبحى حظه فى كتابة القصص القصيرة.. ويشجعه الفوز فى مسابقات نادى القصة على الاستمرار فى هذا الطريق».

صور لاعداد من مجلة قصتى وصور الكتب التى ترجمها وصور الكتب التى تضمنت مجموعات قصصه القصيرة.

ونرى بعض المشاهد من احدى التمثيليات التليفزيونية له وتسجيل لاحدى الندوات حيث يقرأ أحد الشباب قصة أو قصيدة.. ومتابعته الحوار الدائر حولها بالنقد والتقييم.

تعليق صوتى : «ويدير صبحى الجيار من سريره مجلة قصصية.. ويعكف على تعليم نفسه اللغة الانجليزية حتى يبلغ مستوى رفيعا من القدرة على الترجمة.. ويكتب للاذاعة والتليفزيون برامج وتمثيليات ويستقبل فى بيته شباب الأدباء فى ندوة اسبوعية».

صبحى يرسم لوحات زيتية رسومات كاريكاتورية ويمارس أعمال النجارة والكهرباء ويبتكر بعض الحلول الصغيرة تحيط به.. ويلعب شطرنج ويسمع الموسيقى ويشاهد التليفزيون ويمارس التسجيل فى مكتبته الموسيقية.

تعليق صوتى: «يتغلب صبحى الجيار على الفراغ الطويل بممارسة هوايات متعددة:

«نستمع لشرح منه لأداء بعض المبتكرات التعويضية وتعليقاته

على بعض لوحاته فى الفن التشكيلى».

جلسة عائلية مع أخيه واخواته وأولادهن وأحفادهن.

تعليق صوتى : «ويخصص أوقاتا معينة لاستقبال أفراد عائلته».

حوار مع صبحى الجيار نتعرف من خلاله على :

فكره وعلاقاته بالناس والحياة وتقييمه لماضى حياته وتصوره للمستقبل ورأيه فى الحب والصداقة.

صور للأوسمة وجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن مؤلفه «ربع قرن فى القيود» ترجمة ذاتية عن حياته وصور مع يوسف السباعى يقدم له وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

صور صوتية لتكريم صبحى الجيار وصور ثابتة للمتحدثين مع كبار المسئولين والفنانين والأدباء :

يوسف السباعى - يحيى حقى - سعد الدين توفيق - الدكتور أحمد هيكل - أحمد بهجت - السيد بدير - محمود عبد الوهاب.

أشرطة مع : أمانى ناشد - نجوى ابراهيم - لفتيه السبع - فهمى عمر - سامية صادق - حسن شمس - آمال العمدة - فؤاد بدوى - عواطف البدرى.

تعليق صوتى : «ويحصل صبحى الجيار على تقدير الدولة».

---

* مجلة صوت فلسطين - أغسطس ١٩٨٦.

دعوة لتكريس العطاء

أتوجه بهذه الدعوة أساسا إلى السيد وزير الثقافة الدكتور أحمد هيكل ليولى عنايته الشخصية نحو الموافقة على إخراج فيلم تسجيلى قصير عن الكاتب المصرى الفنان «صبحى الجيار».. ضمن خطة انتاج المركز القومى للسينما للعام القادم باذن الله.. فذلك أقل تحية رمزية يمكن أن تقدمها وزارة الثقافة إلى هذا الأديب المناضل فى عيد ميلاده التاسع والخمسين الذى يوافق فبراير القادم.. لما يمثله فى حياتنا من معنى وقيمة ووفاء لما أعطاه ويعطيه فى مجال الفنون والآداب. برغم عدم قدرته على الحركة وعدم مغادرته سرير المرض منذ أكثر من أربعين عاما متصلة حتى الآن.. وكان الى وقت قريب من أبرز كتاب مجلة الاذاعة والتليفزيون.

فلقد سبق لى التقدم بفكرة فيلم «يوم من حياة صبحى الجيار» إلى المركز القومى للسينما التسجيلية منذ ثلاثة أعوام.. ولكنها لم تر النور حتى هذه اللحظة بسبب قصور الميزانية مرة.. وبسبب انشغال المخرجين الذين يوافقون على العمل فى الفيلم من حيث المبدأ.. ثم تحول ظروفهم دون ذلك.

والشىء الذى شجعنى على الكتابة فى هذا الموضوع مرة أخرى.. سعادتى بمشاهدة الفيلم التسجيلى القصير الجديد «قاهر اليأس» الذى أخرجته الفنانة نادية الأبحر عن بطل السباحة المصرى المعوق خالد حسان ومدته ١٧ ق ومن انتاج المركز القومى أيضا عام ١٩٨٤.. وهو من نفس النوعية التى طالبت أن يكون فيلم صبحى الجيار ممثلا لها.. وشجعنى كذلك اهتمام المركز القومى للسينما فى الآونة الأخيرة باعداد أفلام عن كبار كتابنا ومفكرينا المعاصرين وآخرها فيلم «عبد الرحمن الشرقاوى» الذى أعده السيناريست أحمد عبد الوهاب وأخرجه الفنان الكبير أحمد كامل مرسى.

أننى أناشد جميع المسئولين بالمركز القومى وعلى رأسهم الدكتور مصطفى محمد على والفنانين هاشم النحاس وأحمد وأشد بالاهتمام الايجابى هذه المرة بدعوتى واسناد إخراج هذا الفيلم الذى انتهيت من إعداد الرؤية الدرامية له إلى أحد مخرجى المركز المشهود لهم بالبراعة فى إخراج هذه النوعية التى تتناول الشخصيات الانسانية لكاتبنا ومفكرينا.. وأن كنت شخصيا أتمنى لو اقتنع المخرج الفنان سامى السلامونى بموضوعه وساعده الوقت على التفرغ لإخراجه.

---

* مجلة الاذاعة والتليفزيون ١٨ يناير ١٩٨٦.

عذوبة البحر عن حياة صبحى الجيار

لعل القارىء العزيز الذى نسعد بمتابعته لحديثنا وصحبته لمسيرته معنا يدرك الآن أن أفلام السيرة الذاتية فى السينما الروائية قليلة للغاية وقلنا أنها بالتحديد عن مصطفى كامل وسيد درويش وطه حسين وفيلم ردىء عن حياة المطرب العظيم عبده الحامولى وعمل جيد عن حياة يوسف شاهين الشخصية والفنية فى الثنائية الفيلمية «اسكندرية ليه وحدوتة مصرية» لذلك فقد طالبنا بأن تتحرك وزارة الثقافة لانتاج الفيلم الطويل (حطمت قيودى) عن حياة الأديب الفنان صبحى الجيار تقديرا لكفاح هذا الكاتب المثابر الجاد والتزاما أدبيا من الدولة للاهتمام بفنانيها. وفى تقديم النماذج العظيمة من اعلامها لأبناء الوطن قدوة لهم على الصبر وقوة الارادة، وقهر الظروف الضاغطة... لذلك حرصنا على تقديم هذه القدوة الفريدة لشبابنا التى ظلت تكافح المرض أربعين عاما لتحتل مكانها بعد هذا تحت شمس الفكر بين كتاب مصر ورجالها الأفذاذ ولتثبت للجميع أن الحياة جميلة وتستحق أن نعيشها رغم كل الصعاب لأنها النعمة الكبرى التى وهبها الله للانسان بالرغم من كل شىء.

• عذوبة البحر :

وهل للبحر عذوبة ؟ اقول نعم - فاذا قلنا أن الحياة القاسية بظروفها المرضية الصعبة والمستمرة كانت ومازالت بالنسبة لصبحى الجيار كالبحر المتلاطم الأمواج بمياهه المالحة التى لا تصلح لأن تسقى أرضا أو تروى عطشا أو تنبت زرعا فان هذا المعنى قد يصدق مع أى انسان آخر.

أما صبحى الجيار بارادته الحديدية فقد استطاع كما يفعل العلماء بعد صبر طويل وبعد عديد من تجارب السنين التى أتاحت لهم مزيدا من التقدم التكنولوجى فى ابتكار طريقة (التبادل الايونى) لتحلية ماء البحر أى استبعاد الملوحة الشديدة منها مع المحافظة على القدر المطلوب والمناسب من هذه الملوحة وبما يحتاجه الجسم منها فقط.. فقد استطاع صبحى الجيار أن يتكيف مع حياته كما يتكيف القبطان الماهر مع البحر الهائج واستطاع أن يستقطر من حياته المالحة مياها عذبة ورائعة بفضلها استقرت حياته وبفضلها قدم لنا نفسه وأعماله الفنية من خلالها ككاتب وأديب .

* بين الروائى والتسجيلى : واذا كان الفيلم الروائى الطويل أشبه بالرواية التى تستعرض لنا حياة الشخصية من البداية إلى النهاية.. من المنبع الى المصب فان الفيلم التسجيلى القصير (عذوبة البحر) الذى أقدمه كفكرة حية لسينمائيينا سيثرى أعمالنا الفنية الأخرى

التى سبق تقديمها عن الأدباء وهى لا تتجاوز ثلاثة أفلام بالتحديد عن: محمود تيمور ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وكلها من إخراج مصطفى محرم.

واذا كان الفيلم الروائى الطويل مسموحا له دراميا بالتدخل الحذر والدقيق فى حياة الشخصية اضافة أو حذفا بشرط أن تكون هذه اللمسات الجديدة ولا أقول الدخيلة تعميقا للموضوع وجلاء لروح الشخصية، فان بناء الفيلم التسجيلى هنا أشبه بفنية القصة القصيرة فى تقديم عالم الشخصية الخاص لصبحى الجيار.. ذلك العالم المنفرد والمتفرد.. المميز والمتميز فى تكثيفه وتركيزه واحتشاده لاضاءة جانب واحد وعميق لها عن كيف تعيش هذه الشخصية حياتها اليومية - أننا سنتعامل هنا مع الموضوع مباشرة - صبحى الجيار نفسه - بكل كيانه وحياته ومعايشته الحية فى حجرة صغيرة هى كل عالمه مع أدواته الشخصية فى الطعام والشراب والملبس.. مع كتبه وأوراقه وقراءاته.. مع مسجله ومذياعه وتليفزيونه ولوحاته وهواياته.. سنراه فى عمله وراحته فى نومه ويقظته.. فى لحظات الفكر والتأمل ولحظات العمل والابداع ولحظات الهدوء والسكينة.. سنستخلص كيف استطاع صبحى الجيار من خلال هذه المساحة المحدودة التى يعيش فيها أن يفتح أعيننا على عوالم أرحب ودنيا أوسع، ونحن نستمع إلى صوته المعبر وملامحه الهادئة وهو يحدثنا

عن تجربته هو فى الفن والحياة وآرائه فى كثير من الأمور التى ينشغل بها، وآماله التى يطمع فى الوصول اليها وكيف يحقق كل ذلك وهو ينتصر كل يوم على معاناته وعذاباته اليومية.

إن فكرة فيلم عذوبة البحر أضعها أمانة بين مسئولى السينما التسجيلية فى مصر وخاصة أمام المخرجين الفنانين المعروفين هاشم النحاس وأحمد راشد بالمركز القومى للسينما التسجيلية وأنا على ثقة كبيرة أنه لو نفذ جيدا لأصبح من أهم أفلام الشخصيات الأدبية والفنية فى تاريخ السينما التسجيلية المصرية.

---

* جريدة العمال العدد ٨١٤ فى ٢٣ مايو ١٩٨٣.

إلى وزير الثقافة :

متى نشاهد فيلم حطمت قيودى؟ عن حياة الأديب صبحى الجيار

سيدى وزير الثقافة.. من الخصائص المميزة لأية دولة متحضرة تقدير الاعلام من أبنائها.. بل أن تقدمها يتناسب تناسبا طرديا مع العناية بهم والعكس صحيح.. واذا كان من مظاهر الوفاء أن نذكر بالخير انجازات أدبائنا وفنانينا ومفكرينا ونقدمهم لأجيالنا الحاضرة والقادمة وخاصة بعد رحيلهم عنا فان هذا فى رأيى هو أضعف أنواع الوفاء لأنه اذا نقص عن ذلك لكان هو النكران بعينه.. ولذلك يصبح من مظاهر الذكاء أن نكرم أدباءنا وفنانينا وهم أحياء بيننا ونحن ننعم بدفئهم وهم محاطون بحفاوتنا ورعايتنا.

وحديثى اليوم عن الأديب الفنان صبحى الجيار الذى لو كان فى وطن آخر لكان ملء السمع والبصر لما يمثله من قيمة أدبية وفكرية ولما يمثله من نموذج إنسانى فريد للكفاح فى أصعب مجالاته.. مجابهة المرض ٤٠ عاما وحتى الآن من فوق الفراش وبناء نفسه وتكوين شخصيته المميزة بين الكتاب المصريين.. وقد تكون ياسيدى

على علم ببعض أنواع التكريم والجوائز والشهادات التى منحتها له الدولة كأديب أثرى حياتنا الأدبية والفنية فى الأدب والقصة والترجمة والصحافة والفنون التشكيلية والاذاعية والدراما التليفزيونية على مدى يقرب من اربعين عاما.. ولكن صورة الرجل مع ذلك قد لا تكون واضحة بما فيه الكفاية.. وقد يتساءل البعض ماالذى يدفعنى للكتابة عنه وهو والحمد لله مستور ماديا وقد وهبه الله نعمة التكيف مع المرض والقدرة على مصادقته ومحايلته والتحايل عليه ومراوغته والهروب منه ومواجهته والعمل على الحماية منه أو الاضطرار إلى التصدى له .. كما أنه ليس لديه أى مطلب شخصى فهو لم يكلفنى بشىء فهو زاهد لابعد مدى يتخيله إنسان عن فنان مثابر ومكافح وحساس بل أنه سيفاجأ بما هو مكتوب عنه الآن وسيطلع عليه للمرة الأولى مثل أى قارىء من قراء الجريدة فما المطلوب اذن ؟

قدم الأديب الفنان صبحى الجيار فى تراجمه القصصية من الآداب العالمية (معركة السفينة - قصة فيلادليفيا - مختارات من القصص - السيف المعقوف - الشمس كم هى نائية) ومن الكتب العلمية برج الجوزاء وكيف تقوى ذاكرتك - وفى مجال التأليف القصصى قدم لنا مجموعات (يستر عرضك - سوق العبيد - العيون الزرق - على الأرض السلام) وقد حصل على العديد من الجوائز من هذه الأعمال منها جائزة نادى القصة عام ١٩٥٨ ثم وسام

الجمهورية من الطبقة الأولى فى العلوم والفنون والآداب عام ١٩٨٠ – ثم قدم أعظم مؤلفاته الترجمة الذاتية لحياته (ربع قرن فى القيود – ٣ أجزاء) وقد حصل به على جائزة الدولة فى التراجم الأدبية عام ١٩٧٠ وفى أجزائه المأساة ، الكفاح ، الحصاد يستعرض لنا حياته منذ دهمه المرض وهو فى الرابعة عشرة من عمره ومراحل مواجهاته المستمرة مع قيود المرض التى استطاع تحطيمها والانتصار عليها بكل قسوتها وقدرته على بناء نفسه بنفسه حتى أصبح فى مصاف الكتاب والفنانين المعروفين رغم السنوات الطويلة التى قضاها وهو مستلقى على ظهره.

• حطمت قيودى:

ولقد كان الأديب الراحل عبد الحميد جودة السحار عندما كان رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة السينما يعتزم إخراج فيلم من انتاج المؤسسة عن حياة صبحى الجيار مأخوذا عن مؤلفه العظيم ربع قرن فى القيود وتحدثت الصحف عن هذا الفيلم وترقبناه طويلا .. فلماذا لا يحرك السيد وزير الثقافة هذا المشروع من سباته العميق تكريما لاحد رواد الثقافة وهو بالمناسبة عضو نادى القصة ونقابة الصحفيين واتحاد الكتاب.. وياليت الوزارة تهتم بانتاج فيلم (حطمت قيودى) عن حياة الأديب صبحى الجيار التى تمتلىء بكل القيم النبيلة التى نريد أن نزرعها فى نفوس وعقول أبنائنا ومواطنينا ولقد كان مرشحا

للقيـام بدوره بالفعل الممثل القدير محـمـود مرسى وكذلك الفنانة الكبيرة سناء جميل بدور رفيقة كفاحه وسكرتيرته الفاضلة نعمات وناهد سمير فى دور الأم وإبراهيم الشامى فى دور الأب أما الإعداد السـينمـائى فـأرشـح له مـصطفى مـحـرم أو رأفت الميـهى والإخـراج لكمال الشيخ أو صلاح أبو سيف.

أننا نطالب السـيد الوزير بالاهتمـام الشـخـصى بتـحـريك هذا المشروع الفنى حتى يتعرف شبابنا وأجيالنا الحاضرة والمستقبلة على نموذج من سير العظمـاء من أبناء مصـر بعد أن فسـد هواؤها وتعكر ماؤها من أفعال مجرمى الانفتاح وخصوصـا أن أفلام كتابنا وفنانينا وزعمائنا محدودة للغاية وهى بالتحديد (مصطفى كامل عام ٥٢ لأحـمـد بدرخـان وسـيـد درويش عـام ٦٦ لنفس المخـرج وقـاهر الظلام عن حياة الدكتور طه حسين عام ٧٩ لعاطف سالم) وباستثناء المسلسلات التليفزيونية القليلة عن عبد الله النديم والأيام طه حسين والعملاق عن عباس محمود العقاد.

---

* جريدة العمال فى ١٨ ابريل ١٩٨٣.

مقتطفات نقدية عن كتاباته

* وكما يصنع أصحاب الطاقة الكبيرة الخلاقة استحالت مأساة صبحى الجيار الخاصة الى ألوان وتعبيرات تحكى مأساة الانسان كله.. الانسان القلق الممزق الذى يملك مصيره مع ذلك وينسج من خيوط عمره حلمه الخالد بالأمن والحب والسلام والسعادة والصداقة بين الجميع

عبد الرحمن الشرقاوى

«جريدة الشعب فى ١٧/١١/٨٥»

* إن صبحى الجيار يستحق التهنئة بصفة شخصية لأنه هو الذى تعب وتعذب ولم يفقد الأمل ومجلس الفنون الذى اختاره لجائزة الدولة قد منح نفسه جائزة أخرى لحسن التقدير.

أنيس منصور

* إن الأديب صبحى الجيار لا يستحق تهنئتنا له كفائز فى مسابقة نادى القصة فحسب .. وانما يستحق تهنئتنا له لما يعطيه لشبابنا من نموذج طيب للكفاح وعدم اليأس.. فلقد أصيب بشلل منذ ١٨ عاما ولم تستطع هذه الرقدة الطويلة أن تطفئ فى نفسه ذبالة الأمل ولم يدع المرض الذى اقعده يقعد ذهنه ويديه.

يوسف السباعى

«جريدة الشعب فى ١٣/١٠/١٩٨٥»

* تناول الأخ صبحى الجيار فى مجموعته القصصية «سوق العبيد» قصصا ذات أبعاد اجتماعية وقد تناولها من الناحية النفسية البحتة.

فاروق منيب

«جريدة المساء فى ١٩٦٣/٩/٥»

* إن سمة الألم التى أضفاها صبحى الجيار على أبطال مجموعة قصصه «سوق العبيد» تجعلها أكثر انسانية وأكثر حيوية وأكثر نبضا.

ابراهيم نوار

«الجمهورية فى ١٢ أغسطس ١٩٦٣»

* سيرته الذاتية أروع قصة كتبها فى حياته..

ظل سجين سريره ٤٣ سنة كاملة.. لم يغادره إلا مرات قليلة محمولا داخل سيارة الاسعاف. أمسك بالقلم لأول مرة منذ ٣٨ سنة ليكتب أول قصة فى حياته.. من يومها لم يسقط القلم من يده.. لأنه وسيلته الوحيدة للبقاء والحياة.

فتحى رزق

«فى حوار معه بأخبار اليوم فى ١٩٨٣/١٠/٢٢»

* صبحى الجيار انسان لم يغادر فراشه منذ ٢٢ عاما.. أنه لا يعرف أن ميدان باب الحديد نقل منه تمثال نهضة مصر وحل محله تمثال رمسيس إلا من الصحف والمجلات والتليفزيون.. أنه حبيس الفراش وأبعاد دنياه التى يتحرك فيها لا تتعدى القوائم الأربعة للفراش.. لكن أبعاده الفكرية والمعنوية والعاطفية تسع الكون بأسره.

سكينة السادات

«مجلة المصور فى ٢/٥/١٩٦٥»

ولعلنا استطعنا التأكيد من خلال عرضنا للمجموعة القصصية «على الأرض السلام» أنه فى مقابل كل شخصية مثالية أو تقترب من المفهوم المثالى شخصية أخرى تنمو نموا مضادا ليثرى لنا صبحى الجيار عمله الفنى بالتناقض والتضاد وينسج لنا من خلالها فنا ينبض بالحركة والحياة.

محمد جابر غريب

«جريدة المساء فى ١/٦/١٩٨٠»

* الأديب القصاص صبحى الجيار منحته الدولة جائزتها التشجيعية.. وذلك بعد أن انتصر على أربعة عشر كاتبا وأديبا من الاعلام تقدموا لمسابقة الأدب فى العام الماضى.. وقالت عنه هيئة التحكيم المؤلفة من الأساتذة : عزيز أباظة وسهير القلماوى ومهدى علام وأحمد كمال زكى وسليمان حزين وصلاح عبد الصبور وعلى

ادهم ومحمد كامل حسين ويوسف الشارونى فى تقرير فحصها للانتاج المقدم لنيل الجائزة فى فرع التراجم ٦٩/١٩٧٠ - أنه جمع فى كتاب «ربع قرن فى القيود» أهم المقومات التى تميز فن كتابة التراجم فى مفهوم الأدب الحديث.. وفيه تصوير صادق صريح لحياة زاخرة بالأحداث بقلم أديب أحسن تصويرها ونسق عرضها فى عبارة طلية وأسلوب اخاذ وانها أى الهيئة - مطمئنة فى اجماع لترشيح هذا العمل الأدبى للجائزة.

محمد نصر

«جريدة الأخبار فى ١٩٧١/٦/٢٧»

* اعترف بأن عناصر التمثيلية التليفزيونية «سيداتى العزيزات ودمتم» المأخوذة عن قصة بنفس الاسم للأديب صبحى الجيار وأعدها ممدوح الليثى وأخرجها محمد السيد عيسى قد جعلتنى اجلس أمامها حتى النهاية.. وهو ما لا أستطيع أن أفعله إلا نادراً عند مشاهدة تمثيليات التليفزيون.

حسن شاه

«جريدة الجمهورية فى ١٩٦٨/٩/٢٤»

ومن كلمات رواد ندوته الأدبية وأصدقائه

* لقيت الأستاذ صبحى الجيار أول ما لقيته فى منزله بصحبة الأستاذ حسين القبانى، والأستاذ وصفى آل وصفى، والأستاذ عبد المقصود حبيب.. رحمهم الله جميعا..

ولقد فوجئت فى هذه اللقاءات الأولى التى هزتنى أنه يعرفنى من خلال متابعته لنشاطى القصصى فى الصحف والمجلات، وطلب منى يومئذ احضار بعض أقاصيصى لتقوم بتسليمها الأخت الفاضلة «نعمات» للأستاذ فهمى عمر لاذاعتها بصوته فى مجلة الهواء .. وهذه مثوبة منحنى اياها فقيدنا الكريم صبحى الجيار بفضل منه مشكور.. فلقد كان نعم الكاتب الانسان المتنوع الجهد.. ونعمت ذكراه.

رستم كيلانى

«قصاص»

* اطالب بطبع كتاب تذكارى تضم إليه جميع الكتابات التى تناولت أعماله الأدبية والفنية وكل ما قاله عنه الكتاب والمفكرون من الأجيال الرائدة والمعاصرة له والحديثة من أدباء الجيل الجديد.

يعقوب الشارونى

* اتمنى أن نحتفل بالذكرى القادمة للصديق الأستاذ صبحى الجيار فى العام القادم بإذن الله.. وبين أيدينا الأعداد الأولى الجديدة من مجلة «قصتى» التى كان يصدرها من فرق فزاشه فى أوائل الخمسينيات وأتاح للعديد من المواهب القصصية خلالها الظهور والانطلاق.. وكنت قد اتفقت بالفعل على ذلك مع الكاتب الراحل محمد على مطاوع رئيس مجلس إدارة جريدة الصناعة والاقتصاد الاسبوعية وتحمس لتبنى هذه الفكرة واحياء هذه المجلة الأدبية كخير وسيلة للاحتفال بذكرى الأديب صبحى الجيار واعترافا بفضله على كل ما قدمته أياديه البيضاء للحياة الأدبية.

مصطفى كامل فليفل

«أديب»

* عرفت الأديب الفنان صبحى الجيار فى الخمسينيات عندما كان يرسم مجلة «روايات الاسبوع» ويكتب خطوطها ويصمم شكلها «المونتاج» الى أن التقيت به أول مرة فى المنزل القديم بشارع فم

الخليج عند ميلاد مجلة «قصتى» التى كان يرأس تحريرها ويرسمها ويكتب قصصه بها وتوطدت بيننا الصداقة وبدأ ينشر لى قصصا قصيرة فى المجلة وكنت أحضر ندوته الاسبوعية يوم الجمعة فى المنزل الجديد بمصر القديمة.

وكان اللقاء الأخير يوم قال لى الأستاذ يوسف السباعى.

– تعرف بيت الأستاذ صبحى الجيار؟

قلت : نعم.

قال : كلمه فى التليفون وبلغه انى سأمر عليه غدا لتسليمه جائزة الدولة فى التراجم. وكان اللقاء الأخير.

لكن التليفون كان وسيلة الاتصال بيننا حتى آخر العمر.. تحية له فى ذكراه.

الأديب محمد صبرى السيد

نادى القصة

* لقد كنا نستمد من صبحى الجيار نحن – الأصحاء – كل القوة والحماس والقدرة الفعالة على قهر اليأس والصبر على الشدائد والأمل فى مستقبل أفضل يلوح فى آفاق حياتنا الأدبية والفنية لقد كان أستاذاً لنا فى الفن والحياة

محمد عبد الله

«مخرج سينمائى»

* فى ليلة من ليالى فبراير ١٩٨٧ ذهبت ولأول مرة إلى بيته، وعندما رأيته راقدا فى فراشه، وعرفت أنه على رقدته هذه من سنوات طويلة دهشت لهذا الاصرار الذى يتحلى به ولم يستطع المرض اللعين أن يمنعه من استمراريته فى العطاء والابداع بل احتضان المواهب الشابة التى لم تنقطع عن الذهاب اليه ولو مرة واحدة فى الاسبوع، فكان يستمع لهم ويتعمق فى ابداعاتهم ويتناولهم بالنقد البناء، راسما لها الطريق فى حب ومودة.

وفجأة خطفه منا الموت، لكن لم يطمس معالم اصراره الذى سيظل نبراساً يضىء لنا الطريق فى دروب غرقت فى الظلمة.

حسن نور

«قصاص»

* (ربع قرن فى القيود) علامة مضيئة فى أدبنا العربى الحديث.. واضاءتها تنبع من الرؤية العميقة التى تحملها حين يقدم صاحبها وصاحبنا الأديب الفنان صبحى الجيار الذى قدم لنا تجربته الإنسانية والفنية من خلال سيرته الذاتية التى يعد وثيقة عربية رفيعة المستوى وعالية القيمة تدخلنا فى الأدب العالمى وتفتح أمامنا الباب الواسع لأدب الاعتراف.

د. يسرى العزب

«شاعر وناقد أدبى»

* هو انسان تشاهقت عزيمته فوق أسوار المرض والقيد ولم يترنح يوما واحداً أمام جيشان اليأس.

سيد علام

«قصاص ومذيع بالتليفزيون»

* الحياة فى دنيا الواقع اليومى بأزماته وعقباته، تجعل الواحد منا طوعاً أو كراهية يدخل فى صراع معه، ولأننى من الذين لا يملكون القدرة على منازلة الواقع والانتصار عليه، كنت أجرى لأجلس معه.

وفى غرفته الأنيقة أروح أحكى كل عذاباتى..

فى البداية لم أكن أتصور أن صبحى الجيار هذا المخلوق السمح الودود يمكن أن يساعدنى على التخلص من مخاوفى.. لكننى كنت أخرج من غرفته وأنا أكثر وعيا بكيفية التفاهم مع واقعنا الشرس..

رحمه الله لأنه كان عظيماً وشامخاً.

على عيد

«قصاص»

* أنه قصة بطولة حقيقية لانسان حول قيوده لتحقيق آماله وطموحاته وعيشه فى كبرياء الانسان وتحدى الصعب بل وركوبه

وصولا لأنبل غاية.. أنه الأمل والتفاؤل وكبرياء الانسان وشموخه.

د. مرعى مدكور

«قصاص»

* ورحلت يا أستاذى الانسان الصديق صبحى الجيار .. ولكن كتاباتك ونصائحك الغالية ستظل النبراس الذى يضيئ لى الطريق.

حسنى أمين

«شاعر»

لو عاش هذا الرجل بلا عجز لأصبح علما فريدا فى أى فرع من فروع الاجتهاد الإنسانى فهو بإصراره وبعد نظره قائدا عسكرياً فذاً... وبذكائه وتلميحاته وحضور بديهته واستنباطه المغزى من حديث محدثه رجل سياسة من طراز نادر... وبدقته ووسوسته فى عمله فنانا بارعا... وبوسامة وجهه وحلاوة ابتسامته نجما سينمائيا لامعاً تهفو اليه قلوب العذارى... هذا فضلا عن كونه كأديب..

ولقد كان صبحى الجيار هو كل هؤلاء.

لقد كان ... كبيرا ... قويا ... فى كل شىء ... حتى أنسى رواده نظرة الشفقة وحلت محلها نظرة الانبهار.

فتحى فضل

* يقول عنه صديقه الأديب حسين القبانى :

سيرى القارئ حين يقرأ هذا الجانب من قصة طفولتى ثم يقارنه بالجانب من قصة طفولة كل من الزميلين الأديبين صبحى الجيار وايرل مايرز «ايرل شنك مايرز» مؤلف كتاب «لم قدر علىَّ هذا» - أننى دونهما - قدر علىَّ أن أحرم منذ طفولتى من حنان الوالدين وحبهما.. ولست أقول هذا لأبدو «بطلا» فى ميدان الاحتمال والصبر بالنسبة لزميلى.. لأن البطل الحقيقى فى هذا الميدان هو الزميل صبحى الجيار.

« من كتاب - لم قدر علىَّ هذا »

مقتطفات من آراء أصدقاء
صبحى الجيار

* شقيقى وتوأم روحى صبحى شاركنى معظم ساعات حياتى من مراحل الطفولة والصبا الى بداية الشباب حيث غزاه المرض.. وكنت أتابع رحلته الانسانية والأدبية لحظة بلحظة ولا أستطيع أن أمدح نفس فصبحى هو نفسى.

د. مكرم عزيز الجيار

«شقيق صبحى الجيار الأصغر»

* لقد استطاع أخى العزيز وصديقى الحميم صبحى الجيار أن يخلق من اليأس بأساً.. ومن الضعف قوة.

عدلى فرج المحامى

«صديق العمر»

* طيب الله ثراك يا أستاذى صبحى وجزاك عنا خيراً.. بقدر ما أعطيت لوطنك من عصارة فكرك وما خلفته من تراث فى مجالات

القصة وميادين النشر والاعلام مما جعلك موضع التقدير من كل عارفيك.

تلميذتك

شكرية أبو شادى

* أتمنى لو أطلق اسم صبحى الجيار على شارع من شوارع المنطقة التى عاش عمره بها بمصر القديمة، وآمل أن يقام له تمثال على نفس الصورة التى كان يرقد عليها أمام مكتبة هيئة الكتاب بكورنيش النيل المقابلة للشارع الذى كان يسكن فيه رمزاً وتقديرا له على صموده وعطائه ودافعا للكفاح والمقاومة للأصحاء ومن كانوا فى مثل ظروفه على السواء.

محمود الدرة

«الكاتب السياسى العراقى»

* عرفت صبحى الجيار وعظيمته نعمات من سنين طويلة.. وعرفته بعد أن قيده المرض كما يقول هو عن نفسه ورأيت كيف استثمر ما تبقى له خارج القيود بنفس راضية وايمان.. ولم يتواكل بل توكل على الله وبدأ يحفر فى الصخر بيديه ليكون كما أراد الله له أن يكون فى الحياة خطوة بخطوة مع رفيقة كفاحه نعمات.. وكانت

نعمات تحمل الصخور التى حطمها بعيدا عن طريقه.. وكم حملته هو نفسه بين يديها.. وحملت معه آماله وأحلامه وطموحاته وتحملت وصبرت وثابرت معه حتى أصبح هو الأديب المعروف ووقفت بجانبه تعطى وتعطى بلا حدود من قلبها وروحها بفضل من الله عليها وسهرت معه الليل وظلت جواره طوال النهار واستحقت فعلا أن تكون كما أطلق عليها الجميع عظيمة صبحى الجيار.

اصلاح

«جمعية أصدقاء صبحى الجيار»

* لقد رحلت عنا يا صبحى ولكنك ما زلت لنا الآخ والصديق والأستاذ.. لا أقول لك وداعاً.. وانما أقول إلى اللقاء.. رحمك الله بقدر ما لقيته من عذاب وبقدر ما احتملته من شدائد وبقدر ما أمتعت قراءك بحصيلة فكرك وبقدر ما تمتعت به من صبر وايمان.

آمال عصمت

«جمعية أصدقاء صبحى الجيار»

* لم أقابله ولم اتحدث اليه.. ولكننى عرفته كل المعرفة من أحاديث الآخرين عنه.. وتصورت لو قدر لى أن أقابله لكان اللقاء مليئا بالمشاعر الفياضة والأفكار العميقة، كانت أول مرة اسمع فيها

عن اسمه من صديقتى سلوى سبع وما كدت اطلب منها أن تحدثنى عنه إلا وقد رأيت الدموع تنهمر من عينيها قائلة أنه أعظم انسان قابلته فى حياتى. وبعد أيام قليلة من وفاته ذهبت إلى بيته وتقابلت مع شريكة مشوار حياته السيدة / نعمات حامد عيسى وتمنيت أن أكون فى مثل ما كان يتمتع به هذا العملاق فى صبره واصراره على العمل وتحدى مصاعب الحياة.. أن كل ما استطعت أن أقدمه فى ذكرى هذا الأديب بعض الحلقات فى برنامج «بسمة أمل» باذاعة الشباب والرياضة لتكون نبراسا لأصحاب الظروف الخاصة ولكل أبناء مصر الذى هو أحد عظمائها - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

منيرة يوسف

«مذيعة برنامج بسمة أمل

باذاعة الشباب والرياضة»

* أرجو أن تلخص قصة حياته التى كتبها الأديب صبحى الجيار فى قصته الرائعة «ربع قرن فى القيود» وضغط أجزائها الثلاثة فى جزء واحد وتدريسه على طلبة المدارس الثانوية ليتعلموا منها القدوة الحسنة.

كريمة الانصارى

«سكرتير جميعة رفاعة الطهطاوى الأدبية بالمعادى»

نموذج من :
رسائل شخصية
رسالة إليه من الأديب الكبير محمود تيمور

محمود تيمور

[illegible]

١٩ شارع الجبلاية - عمارة ليبون
شقة رقم ٥٠

الزمالك في ١٠/١٢/١٩٦٤م

عزيزي الأستاذ صبحي الجيار

أبعث إليكم بأصدق تحياتي وبعد

فقد وصلتني رسائلكم الكريمة، وآسف جد الأسف إذا كنت قد تأخرت عليكم بالرد إذ أنني كنت مع سفر دفعتين متواليتين إلى الشام استغرقتا وقتا طويلا، فلما عدت إلى مصر شغلتني بعض شواغل خاصة، فأكرر لكم أسفي، وإنه ليسرني كل السرور أن أؤكد على صلة وثيقة بكم، وتأكدوا أنني رغم أعمالي العديدة، أتتبع مجلتكم الغراء معجبا بمجهودكم الطيب فيها، شاكرا لكم عنايتكم بالأدب الرفيع وإن كنت أطمع منكم في أن تزيدوا نسبة احتلاله للصفحات كي يطغى على تلك الألوان من الأدب البوليسي أو الشعبي الخفيف، فإنني أعتقد أنكم من أنصار الفن العالي.

لهذا وقد وردت إلي رسالة من حضرتكم للأستاذ محمد الخضري عبد الحميد يذكرني فيها بمقاله، وقد اطلعت عليه شاكرا لكم عنايتكم بانتدابكم أعداد مجلتكم الغراء، أما رأيي في كلمة الأستاذ الخضري - كما تطلبون مني ذلك - فقد أرسلت هذا بأني في تفصيل الموضوع وشرحه من كل نواحيه. ويتلخص ذلك في أنني لا أعرف عن الأبراج العاجية سوى أنها أسطورة لا أعيش أنا شخصيا فيها ولا أعرف من أدبائنا من يعيشون فيها، فإننا والحمد لله نعيش في أعمالنا الأدبية نحس آلام الناس ونشعر بمعاناتهم، ونتجاوب مع العصر تجاوبا يلمسه الجميع في الجامعات والأندية والمعاهد والمجتمعات وعلى صفحات الجرائد والمجلات وفي السطور بالكتب والمؤلف منتشرة في كل مكان وفي الإذاعة. كل ذلك بقدر العمل الذي تستطيع طاقتنا البشرية الوصول إليه، ونظرة واحدة على الجهود

محمود تيمور
القاهرة – الزمالك

١٩ شارع الجبلاية – عمارة ليبون
شقة رقم ٥٠

٢٠ ،

الذي يبذله شخصي من تعبي الصحي وشواغلي المتعددة وتنوع عملي ؛ - كفيلة بأن تظهر لكل إنسان في جلاء أنني لا أدخر وسعاً أو أضن بجهد على خدمة أبناء شعبي ومشاركتهم وجدانياً في كل ما يهدفون إليه من خير.

على أنني أرحب بنقد صديقكم مع أنه رأي حر وفيه تشجيع مع الإدلاء بالفكرة لتكون تحت الفحص والدراسة والتمحيص.

هذا، وإنه ليشرفني جداً أن أسهم معكم في مجلتكم الغراء، ولكنكم تعلمون أن من طبعي بأن أتأنى في إبرازه على الوجه الذي يناسب ؛ - لا يمكنه في سرعة أن يلبي رغبات الجميع. فأرجو أن تمهلوني لفرصة قريبة موائية إن شاء الله، فلعل متاعبي تزول قريباً، فأسعد بتقديم ما تطلبونه مني للنشر في مجلتكم الغراء.

وإنني أشكركم على شعوركم الأدبي الكريم، راجياً لكم كل نصر وتوفيق
وتفضلوا بقبول وافر احترامي

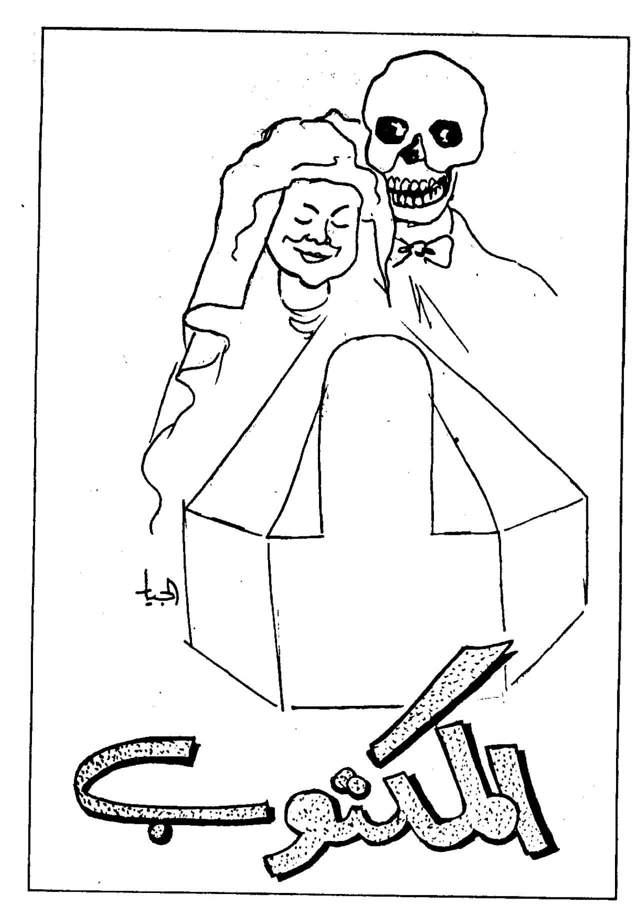
المخلص
محمود تيمور

من لوحاته التشكيلية



لوحة للفنان صبحي الجيار بريشته كما تخيل نفسه


ربع قرن في القيود
الجزء
الثالث
الحصاد
الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ عبد الخالق ثروت - القاهرة
صبحي الجيار



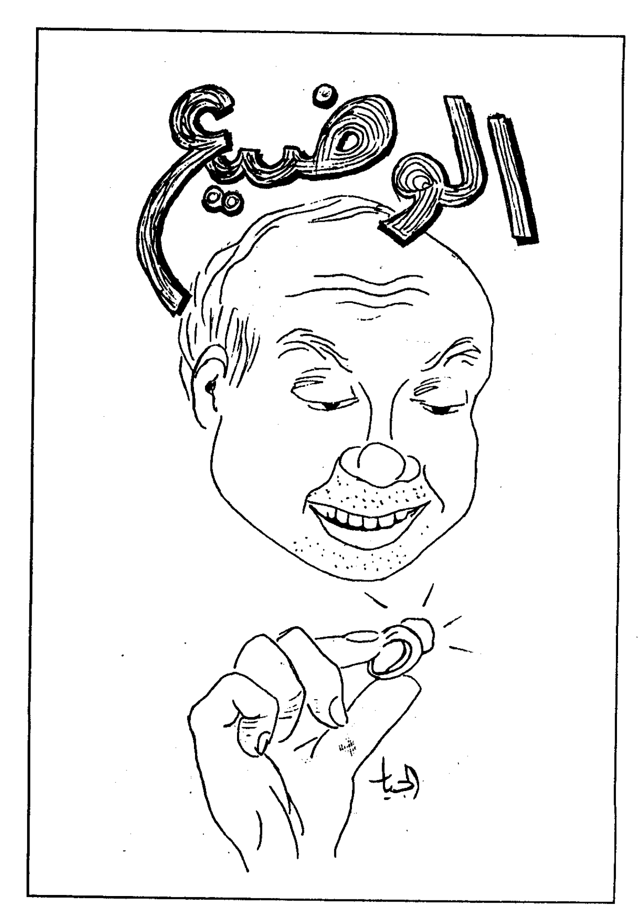
عنوان قصة قصيرة لمصطفى عبد الوهاب



عنوان قصة قصيرة لمصطفى عبد الوهاب



عنوان قصة قصيرة لمصطفى عبد الوهاب



عنوان قصة قصيرة لمصطفى عبد الوهاب

إضاءة حول معد الكتاب
مصطفى عبد الوهاب

* من مواليد ١٩٤٤ - قليوب - محافظة القليوبية .

• عن النشاط الأدبي:

- كاتب قصة وعضو اتحاد الكتاب.
- عضو مجلس إدارة نادى القصة ومستشار التحرير بمجلة القصة.
- عضو ندوة الروائى الكبير الأستاذ / محمد جبريل بنقابة الصحفيين.
- عضو مجلس إدارة جماعة الفجر الأدبية ورائدها الأديب الدكتور يسرى العزب ومدير تحرير مجلة الفجر الأدبية.
- عضو مجلس إدارة ملتقى الأربعاء الأدبى بنقابة الصحفيين ورائده الأديب الوردانى ناصف.
- عضو مجلس إدارة جماعة الجيل الجديد الفكرية ورائدها الأديب حزين عمر ومدير تحرير كتاب الجيل الجديد.

– عضو مجلس ادارة جميعة كمال الملاخ الثقافية ويرأسها الفنان الكبير كمال الشناوى.

– مستشار التحرير بمجلة الأديب التى تصدر عن جمعية أصدقاء الأديب التى تصدر عن جمعية أصدقاء الأديب على أحمد باكثير ويرأسها الشاعر فؤاد حجاج.

– عضو جماعة الفنانين والكتاب (أتيليه القاهرة).

– نشرت قصصه القصيرة للكبار وفى أدب الأطفال منذ عام ١٩٦٩ حتى الآن بمجلات:

القصة – الثقافة الجديدة – الكاتب – الهلال – إبداع – حواء – أدب ونقد – أكتوبر – نصف الدنيا – الشباب – علاء الدين – قطر الندى وغيرها.

وبصحف :

الأهرام – أخبار الأدب – الجمهورية – المساء – الأحرار – العمال – السياسى المصرى وغيرها.

• كما أذيعت بعض قصصه بالإذاعة المصرية :

• صدرت له سبع مجموعات قصصية هى :

– أحزان عبد الجليل أفندى على نفقته الخاصة عام ١٩٧٩.

- أول مرة – للأطفال عن هيئة قصور الثقافة عام ١٩٩٧.
- دبوس فى الرأس عن كتاب الجيل الجديد عام ١٩٩٨.
- النعامة وأشياء أخرى عن هيئة الكتاب عام ١٩٩٨.
- حنين الى الراحة عن هيئة قصور الثقافة عام ٢٠٠٠.
- الجريمة الهزلية على نفقته الخاصة عام ٢٠٠٠.
- هدية من السماء – للأطفال عن دار الهلال عام ٢٠٠١.

• وتحت الطبع:

- طيور الأسئلة «مجموعة قصصية».
- حسين وماريان «مجموعة قصصية للأطفال».

* **وفى الأدب الساخر** : نشر انتاجه فى مجلة كاريكاتير – وصحف الحياة المصرية – والأنباء الدولية.

* **صدر له كتاب** : «أنها حقا بمبى» عام ١٩٩٩ عن مكتبة مدبولى.

* **وتحت الطبع** :

- الهروب من عائلة حيا الله.

• وعن نشاطه فى النقد السينمائى :

- عضو شعبة النقد السينمائى بنقابة السينمائيين.
- عضو مجلس إدارة ونائب رئيس جمعية الفيلم.
- عضو جمعية أصدقاء فنان الشعب الموسيقار سيد درويش.

• نشرت مقالاته فى النقد السينمائى بإصدارات :

جمعية الفيلم ونادى السينما - وصحف:

فنون - جريدة المساء - كتاب السينما بالثقافة الجماهيرية - مجلة الخرطوم - جريدة السينما والفنون - كتاب كاميرا للناقد سامى السلامونى - مجلة الفن - كتاب رواد السينما عن وزارة الثقافة.

• وفى مجال التحرير الأدبى والفنى :

حرر أبواب :

أدب وفن - جريدة الصناعة والاقتصاد

لغة الفن - جريدة الحياة المصرية

ظلال مضيئة - الأنباء الدولية

فى شارع الفن - مجلة الفن القاهرية

فى السينما - جريدة الحوار القاهرية

سينما - جريدة الزمان

ثقافة فنية - جريدة العمال

• فى مجال الكتابة السينمائية:

- نشر له سيناريو الفيلم الروائى القصير «طفل من بلدنا» بمجلة السلام فى أغسطس ١٩٨٦.

- وسيناريو الفيلم التسجيلى «يوم من حياة صبحى الجيار» بمجلة صوت فلسطين فى أغسطس ١٩٨٦.

• وصدرت له كتب:

- سينما النور والظل «رؤية نقدية فى الأفلام التليفزيونية» على نفقته الخاصة - عام ٢٠٠١.

- سينما الحقائق البسيطة «رؤية نقدية فى الأفلام التسجيلية» عن المجلس الأعلى للثقافة - عام ٢٠٠١.

• وله تحت الطبع:

سينما الواقع والأوهام «رؤية نقدية فى الأفلام الروائية».

• وعن شهادات التكريم:

١ - جريدة الحياة المصرية - عام ١٩٨٤

٢ - الجمعية المصرية لهواة المسرح بالمهرجان السابع - عام ١٩٩٢.

٣ - الاتحاد العام لشباب العمال - عام ١٩٩٥.

٤ - شباب أدباء ميت غمر - عام ١٩٩٥.

٥ - جمعية الفنانين العمال - عام ١٩٩٥.

٦ - وزارة الثقافة بالتعاون مع صندوق التنمية الثقافية واتحاد شباب العمال - عام ١٩٩٦.

٧ - جمعية أصدقاء كمال الملاخ الثقافية - عام ١٩٩٧.

٨ - جمعية الخدمات الأدبية والفنية - عام ١٩٩٧.

٩ - النادى الثقافى بالمعادى - عام ١٩٩٨.

١٠ - وزارة الثقافة فى اليوبيل الفضى لمهرجان جمعية الفيلم السنوى للسينما المصرية- عام ١٩٩٩.

١١ - المعهد العالي للدراسات التعاونية خلال عامى ٢٠٠٠، ٢٠٠١.

١٢ - منتدى المثقف العربي بالقاهرة - عام ٢٠٠١.

• وعن الجوائز التى حصل عليها :

- جائزة نادى القصة فى القصة القصيرة - عام ١٩٦٧.

- الجائزة الأولى فى القصة القصيرة بمسابقة احسان عبد القدوس للقصة القصيرة عن قصة : لمن أسرد أفراحى الحزينة - عام ١٩٩٩.

- جائزة الرواية بمسابقة احسان عبد القدوس للرواية عن رواية : حنين إلى الراحة - عام ١٩٩٩.

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)